

الكتاب: أدب الكتاب

المؤلف: أبو بكر محمد بن يحيى الصولي (المتوفى: 335هـ)
نسخه وعنى بتصحیحه وتعليق حواشيه: محمد بجهة الأثري
ونظر فيه علامة العراق: السيد محمود شكري الالوسي
الناشر: المطبعة السلفية - بمصر، المكتبة العربية - ببغداد
عام النشر: 1341
عدد الأجزاء: 1
[ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]

الجزء الأول

فضل الكتابة

قال الله تعالى - وهو أول ما أنزل من القرآن: " اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علقة، إقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم ". فجعل تبارك اسمه

(1/21)

أول ما أنزل من القرآن ذكر التفضيل على عباده بخلقهم لهم، وما ندتهم له بذلك، من البقاء الدائم والنعم المتصل، ملن آمن به ووحده وصدق بنبيه صلى الله عليه وسلم. ثم أتبع ذلك بذكر الأنعام عليهم بما علمهم من الكتاب الذي به قوام أمر دينهم ودنياهم، واستقامة معاشهم وحفظها. ولولا أن من لا يحسن الكتابة يجد من يحسنها معونة وإبانة عنه، لما استقام له أمر، ولا تم له عزم، وحل محل الصور الممثلة، والبهائم المهملة. ومعنى قوله الذي علم بالقلم: الذي علم الكتابة بالقلم.
وقال عز وجل: " ن والقلم وما يسطرون، ما أنت بعممة ربك بمحجرون " فأقسام في القرآن بما خلق من ذلك أعني القرآن وما يكتب به من حبر ومداد وما يكتب فيه من سفر وقرطاس وأشباههما. على أن نون ه هنا، عند بعضهم، السمكة التي تحمل الأرضين. وقال بعضهم: يريد الحرف. وكذلك عند هؤلاء يس وتس وكل ما في القرآن من ذلك. وإنما هو افتتاح سور بهذه الأحرف

(1/22)

التي سور منها غير خارجة عنها. يقول عز وجل هذا القرآن بهذه الحرف العربية، ليس فيها لسان أعجمي ولا حرف من حروف العجم ليبطل بهذا ما زعمه الكفار أن النبي صلى الله عليه وسلم يتعلم القرآن من يهود ونصارى يقرأون بالعبراني وغير ذلك من الألسن. ألا تراه جل وعلا كيف بين ذلك

فقال: " ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعمامي وهذا لسان عربي مبين ".

وسأل رجل أحمد بن يحيى ثعلب، وأنا حاضر، عن قسم الله عز وجل بالأشياء التي خلقها مثل قوله تعالى: " والذين والزيتون، وطور سينين، وهذا البلد الأمين، لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم " فوقع القسم على الآية الأخيرة. فقال أحمد بن يحيى: رأيت الرؤساء من العلماء يقولون معناه: وخلقني الذي لا يقدر أحد أن يخلق مثله لقد كان كذا وكذا.

وقال جل وعلا: " وإن عليكم حافظين، كراماً كاتبين، يعلمون ما تفعلون " وقال: " بأيدي سفرة كرام برة ". فالسفرة الكتبية.

(1/23)

الواحد سافر والجمع سفرة، مثل كافر وكفراً. ومعنى سافر كاتب يكتب في الأسفار، واحدها سفر، وهي الصحف وسفر إذا كتب من سفر فهو سافر. وكان المؤمن وجد على بعض كتابه في شيء، فكتب إليه:

ونحن الكتابون وقد أنسنا ... فهمنا للكرام الكاتبين
فعلا عنه. وبالكتابة جمع القرآن، وحفظت الألسن والآثار، ووكلت العهود، وأثبتت الحقوق، وسيقت التواريخ، وبقيت الصكوك، وأمن الإنسان النسيان، وقيدت الشهادات، وأنزل الله في ذلك آية الدين وهي أطول آية في القرآن.

وقد سمعت بعض من حرم فضيلة الكتابة يقول: لو كانت الكتابة فضيلة، وكانت في رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهو لا يدري أن في ذلك فضلاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ونقصاً لغيره، لأن الكفار إدعوا عليه أنه يحسن الكتابة، وأنه يتعلم ما يأتي به في القرآن من أهل الكتاب، وكتبه فهو يقرأه، ويأتي بتفسير شيء منه، ويشرحه بلسانه، وهو صلى الله عليه وسلم ماقرأ ولا كتب فقط، ولا هيأ الله له طلب ذلك، ولا عرف بتعلم لما أراده جل وعز من الاختصاص بالرسالة، وإيصال الحجة، على من زعم

(1/24)

أنه يكتب. ألا ترى إلى حكاية الله عز وجل لقول الكفار: " أكتبها فهي تملئ عليه بكرة وأصيلاً "، ما كذبهم عز وجل وجعل من أفضل صفاتهم عليه الصلاة والسلام قوله: " النبي الأمي "، فقال: " فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي ". وقال: " الذين يتبعون الرسول النبي الأمي ".

وليس هذا الكتاب والقوائد فيه معمولاً لتابع دون متبع، ولا خامل دون نبيه، ولا محروم دون محظوظ. ولا ينبغي لمن رفعته حال، وساعدته جد، وهو يؤنس من نفسه تقاصراً في الأدب، وتخلقاً عن صناعة الكتابة، أن يغتر بحظه، وإقبال الأيام عليه في وقت، فإنهما دول منقلبة وأحوال متصرفة،

وليتلاف ما ضيع، ويستدرك ما فرط، ولا يتكل على كفاءته، مشتغلاً بذلك، ومرجاً قلبه وجسمه، مستعيراً في كل وقت عليهم، ومتكلأً على كفاءتهم، بنام ويسهرهم، ويفرغ ويشغلهم. فإن هذا الفعل إنما يحسن بالرؤساء إذا أشرفوا على العلم، واستفلوا بالصناعة، وعرفوا ما يحتاجون إليه من أمر الكتبة وحفظوه. فعند ذلك تشرف عندهم أنفسهم، ويحسن بنعدهم استقامتهم، حتى تحملوا عنه ما هو أعلم به منهم، ولا يكونوا أسراء في أيديهم، ولا مضطربين إلى ما عندهم. وقد قال بعض الحكماء: " كل شيء يمكن أن يستعار إلا اللسان " وقال: من خدم السلطان بلا علم واستقلال، وتجربة وكمال، كان بمنزلة راكب

(1/25)

فيل صعب، وسابح في بحر قد جف ". ومع ذلك فإن الأتباع إذا أحسوا من الرؤساء بتفويض إليهم، على قلة علم منهم، واضطرار إلى كفاءتهم، ولم يحس الأتباع منهم حسن مجازة على جيل إفادتهم، سوء مكافأة على قبيح أفعالهم، حتى يستووي عندهم محسنهم، ومسيئهم وخائنهم وأمنهم، وكاففهم وعجزهم؛ انتقل الأمين عن مر الوفاء إلى حلاوة الخيانة، وازداد الخائن بصيرة فأثر الإضرار، وقصر الكافي عن إتعاب النفس وكد الانتصاح؛ فقد يرى الأمين صنيعة فيخون، ويرى الخائن جرماً فيعف، فيضطرب عند ذلك الجيل، وينشر الأمر، وتنعكس مساوى قوم محاسن آخرين. قال أبو بكر: وإنما ذكرت هذا الفصل، لأرغب أهل هذه الصناعة الشريفة، في الإقبال عليها، وإنفاق بعض العمر في طلبها، فإنما من أجل ما كد فيه الفكر، وقطعت به الأيام. وقد استعمل اللفظة التي حكيتها - أعني إنفاق بعض العمر - شاعر من الأزد فقال: هزئت عميرة إذ رأت ظهري الخني ... وذؤابي علت جماء خضاب لا تهزئي مني عمير فإبني ... أنفقت فيكم شري وشباي

(1/26)

وفيه غناء في طريق الشقيل الثاني. وليس يجب ملن صفر من هذه العلوم أن يدع التعلم آيساً من الاستفادة، مولياً عن الاسترادة. فرما كان الإنسان مهياً الذهن لحمل العلم، قريب الخاطر، متقد الذكاء، فيضيع نفسه فإهمالها وعيت خواطره بترك استعمالها، فيكون كما قال علي بن الجهم: والنار في أحجارها مخبءة ... ليست ترى إن لم يشرها إلا زند وإنما أخذه من قول الأول: أنا النار في أحجارها مستكنة ... متى ما يهيجها قادر تتوقد ومثل قوله: أنفقت فيكم شري وشباي ما أنسدناه ابن ذكوان القاسم بن إسماعيل قال: أنسدنا أبو مجلبي السعدي لحضرمي بن عامر يعاتب

عوف بن عبد الله في أبيات:

تبود أسباب المودة بيننا ... حديثاً وأسباب المودة تخلق
لعلك يوماً أن يسألك أنتي ... قريب ودولي من حصى الأرض مخنق
وتنتظر في أسرار كفيك هل ترى ... لها خلفاً مما يفید وينفق

(1/27)

هذا مثل يضرب للنادم قال الأعشى:

فانظر إلى كف وأسرارها ... هل أنت إن أوعدتني ضائري
ومنه قول الله عز وجل: " فأصبح يقلب كفيه على ما أتفق فيها ". وقد روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال: " قريش أهل الله وهم الكتبة الحسبة ". وروي عن كعب الأحبار، أنه قال: " إنا
لنجد قريشاً في الكتاب الكتبة الحسبة ملح الأرض ". وروي في تفسير قوله تعالى: " ويعلمهم الكتاب
والحكمة " قال: يعني القرآن لا الخط قال الشاعر:
إن الكتابة رأس كل صناعة ... وبها تتم جوامع الأعمال

ما روي في أول من كتب الكتاب بالعربي

قد ذكرت أن اختصر جميع ما ذكره، وألقى أسانيده ليقرب على طالبه ومستفيده، إلا ما لا بد منه،
من ذكر نسبته وإسناده، وإنما أجري إلى ما ذكرته.

روي عن كعب الأحبار، أنه قال: " أول من كتب الكتاب العربي والسرياني وسائر الكتب آدم
صلى الله عليه وسلم، قبل موته بثمانمائة سنة، كتبها في طين ثم طبخه، فلما غرق الله جل وعز
الأرض، أيام نوح، بقي ذلك فأصاب كل منهم كتابهم. وبقي الكتاب العربي إلى أن خص الله به
إسماعيل فأصابها وتعلمها".

وروي عن ابن عباس " أن أول من وضع الكتابة العربية إسماعيل على لفظه ومنطقه، فعلمته موصولاً
حتى

(1/28)

فرق بينه ولده ".

وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص وعروة بن الزبير أحهما قالا: " أول من وضع الكتاب العربي
قوم من الأوائل، نزلوا في عدنان بن أدد بن أدد، أسماؤهم أجدد وهوز وحطى وكلمن وسعفص قرشت،
فوضعوا الكتاب العربي على أسمائهم ووجدوا حروفًا ليست من أسمائهم وهي الشاء والخاء والذال
والظاء والضاد والطاء والغين قسموا بالروادف ". وقد روي أنهم كانوا ملوك مدين، وأن رئيسهم
كلمن وأنهم هلكوا يوم الظلة مع قوم شعيب عليه السلام فقالت أخت كلمن ترثيه:

كلمون هد رکني ... هلکه وسط المخل
سید القوم آتاه آل ... حتف ناراً وسط ظله
کونت ناراً فاضخت ... دار قومي مضمحله
وقيل: إن هؤلاء أخذوا كتاب إسماعيل عليه السلام، فعملوا منه كتاباً يتعلّم منه، لأن الأحاديث
عنهم أنهم استعربوا وضعوا

(1/29)

الكتاب العربي والله أعلم.
وروي عن ابن جعده "أن أول من كتب العربية مرامر بن مرة. وأسلم بن الدرة، اجتمعا حتى وضعا
مقطعه وموصله، وهما من أهل الأنبار ". قال: وسئل المهاجرون من أين تعلّموا الكتاب فقالوا: من
أهل الخيرة. فسئل أهل الخيرة من أين تعلّموا، فقالوا: من أهل الأنبار.
وقد أعرّب الناس أبا جاد وسعفاصاً، فقال معاذ الهراء يخاطب رجلاً عاب التحو والعربيّة:
عالجتها أمرد حتى إذا ... شبت ولم تعرف أبا جادها
سميت من يعلّمها جاهلاً ... يصدرها من بعد إيرادها
وقال آخر:
وخطوا لي أبا جاد وقالوا ... تعلم سعفاصاً وقريشات

(1/30)

حدثنا الحسين بن مرثد، قال: حدثنا محمد بن سلام، قال: أخبرنا يونس، قال: سمعت أبا عمرو يقول:
العرب كلها أولاد إسماعيل فأصهر إليهم، والعربية التي روى محمد بن علي بن الحسين بن علي
صلوات الله وسلامه عليهم، أن أول من تكلم بالعربية إسماعيل عليه السلام فإنما يعني اللسان
الفصيح الذي نزل به القرآن وعربية حمير وبقایا جرهم، غير هذه ليست بفصيحة.

أصل كتاب بسم الله الرحمن الرحيم وابتداوه

قال الصولي: سألت أبا خليفة بن حباب الجمي عن ابتداء الكتاب ببسم الله الرحمن الرحيم، فقال:
سأل ابن عائشة عبيد الله بن محمد بن حفص عن ذلك، فقال: حدثني أبي أن قريشاً كانت تكتب في
جاهليتها " باسمك اللهم "، وكان النبي صلى الله عليه وسلم كذلك، ثم نزلت سورة هود وفيها " بسم
الله مجراها ومرساها " فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يكتب في صدر كتبه: " بسم الله "، ثم
نزلت في سورة بني إسرائيل " قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيما ما تدعوا فله الأسماء الحسنى "،
فكتب: " بسم الله الرحمن "، ثم نزلت في سورة النمل: " إنه من سليمان وإنه بسم

الله الرحمن الرحيم". فجعل ذلك في صدر الكتب إلى الساعة. وكتب "بسم الله الرحمن الرحيم" في أول كل سورة من القرآن، إلا في أول سورة التوبة، فإنه يروى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال: لم يكتب بين الأنفال بسم الله الرحمن الرحيم والأنفال من أول ما أنزل الله في المدينة، وبراءة من آخوه، إلا أنها تشبهها، وقصتها كقصتها. وكان النبي صلى الله عليه وسلم رما تلا الآيات فيقول: "هذه مكانها في سورة كذا، فاجعلها تليها". وهذا بفضل من الله عز وجل عليهم.

كيف يفتتحون كلامهم ليبارك لهم فيما يحاولون ويؤجروا عليه

والمعنى: اقرأ يا محمد بسم الله وقل بسم الله، ثم حذفت قل ليعلم المخاطب أن معناه الأمر. والباء صلة فعل مخدوف حذف لعلم القارئ به وهو: أبدأ بسم الله وأقرأ بسم الله، لأن جبريل كان إذا نزل بالوحى قال: "اقرأ يا محمد، قال: وما أقرأ؟ قال: اقرأ بسم الله". والمعنى في الابتداء بها، في غير القرآن، بدأت بسم الله. ثم كثر ذلك وعلم حتى أسقطوا ببدأت. وقال سيبويه: معنى الباء إلى الاصاق تقول: كتبت بالقلم، فالمعنى أن الكتابة ملصقة بالقلم. وهي مكسورة أبداً لأنه لا معنى لها إلا الخفض، فوجب أن يكون لفظها مكسورةً.

والله تبارك اسمه، اسم خاص للمعبود جل وعلا، لا يسمى به سواه. قال الله تعالى: "هل تعلم له سماياً". قال المفسرون: لا يعلم من تسمى الله إلا الله عز وجل، ولا يعرف لهذا الإسم اشتتقاق من فعل. ولا أحب ذكر ما قاله النحويون فيه لأنه يكلف لا يضر تركه.

وأسماء الله عز وجل، بعد هذا، صفات: فالرحمن الرحيم ذو الرحمة، ولا يقال رحمن إلا الله تعالى. ويقال: فلان رحيم لأن رحمن في وزنه فulan، من أسماء المبالغة في الرحمة وغيرها، والله تعالى نهاية في الرحمة وليس شيء كذلك، فلهذا لم يسم به غير الله.

والرحمة من الله تتجاوز عن ذنب، وإحسان عن حسنة، وإيصال الخير إلى عباده. والرحمة من العباد إشراق ورقة، تحدث فيهم.

وليس في الأفعال ما يبني عليه ثلاثة أسماء مثل رحم فهو راحم، ورحيم ورحمان إلا سلم وسليم وسلام، وندم فهو نادم وندمان، ولا يقال من الندمان: نادم إنما يقال: نادمه. والألف في بسم الله وصل لأن غيره تصغيره سمي. وحكى أبو زيد أن العرب تقول: هذا اسم وهذا سمه وسم وأنشد:

بسم الذي في كل سورة سمه

ويروى سمه، وإنما ضموا السين وكسروها، لأنه س هوت وسيبت بمعنى ارتفعت وعلوٌ، فمن قال: سـمـ فـكـسـرـ فـمـ سـيـبـ

(1/33)

ومن قال سـمـ فهو من سـمـوتـ. ومعنى قوله: أـسـمـيـتـ لـفـلـانـ فـلـانـاـ، وإنـاـ هو رـفـعـتـ له صـفـتـهـ وـمـاـ يـعـرـفـهـ بهـ حـتـىـ عـرـفـهـ. والـأـسـمـ مـأـخـوذـ منـ السـمـوـ وـهـ الـارـتـفـاعـ، وأـصـلـهـ سـمـ وـالـجـمـيعـ أـسـمـاءـ مـثـلـ حـنـواـ وـأـحـنـاءـ وـقـنـوـ وـأـقـنـاءـ.

ومن قال الـأـسـمـ مـأـخـوذـ منـ السـمـةـ، كـأـنـكـ إـذـاـ قـلـتـ: أـسـمـيـتـهـ لـفـلـانـ، كـانـ الـمـعـنـىـ وـسـمـيـتـهـ لـهـ بـشـيـءـ عـرـفـهـ بـهـ، حـذـفـتـ مـنـهـ فـاءـ الـفـعـلـ وـدـخـلـتـهـ أـلـفـ الـوـصـلـ أـلـاـ تـرـىـ أـنـ عـدـةـ وـزـنـةـ أـصـلـهـمـاـ وـعـدـةـ وـوـزـنـةـ، فـإـذـاـ صـغـرـهـمـاـ رـجـعـتـ الـوـاـوـ، فـقـلـتـ: وـعـيـدةـ وـوـزـنـةـ.

وـكـذـلـكـ تـصـغـيرـ صـلـةـ وـصـيـلـةـ، فـلـوـ كـانـ اـسـمـ مـنـ سـمـةـ لـكـانـ تـصـغـيرـهـ وـسـيـمـةـ، وـلـكـنـ تـصـغـيرـهـ سـمـيـ، فـبـطـلـ أـنـ يـكـوـنـ مـنـ السـمـةـ، فـكـانـ يـجـبـ أـنـ يـكـوـنـ وـسـمـ وـسـمـةـ، وـوـزـنـ وـزـنـةـ، كـمـاـ قـالـوـاـ صـلـةـ، وـلـكـنـ وـقـعـتـ الـوـاـوـ، وـلـذـلـكـ كـانـ يـجـبـ أـنـ يـقـالـ وـزـنـ يـوـزـنـ، مـثـلـ عـدـلـ يـعـدـلـ، فـوـقـعـتـ الـوـاـوـ بـيـنـ يـاءـ وـكـسـرةـ، فـحـذـفـتـ فـقـيـلـ وـزـنـ يـيـزنـ، وإنـاـ كـرـهـتـ الـعـرـبـ أـنـ تـكـلـمـ بـضـمـةـ بـعـدـ كـسـرـةـ، وـكـسـرـةـ بـعـدـ ضـمـةـ فيـ الـوـاـوـ وـالـيـاءـ، لأنـهـ يـصـعـبـ فيـ الـلـفـظـ قـلـيلـاـ. وإنـاـ يـتـكـلـمـونـ بـاـ خـفـ علىـ أـسـتـهـمـ، وـلـذـلـكـ صـحـتـ هـمـ الـأـسـمـاءـ فيـ الـثـلـاثـيـ كـلـهـ، إـلـاـ فيـ صـنـفـيـنـ.

والـثـلـاثـيـ قـوـلـهـمـ فـعـيلـ وـقـدـ سـمـواـ عـلـىـ فـعـلـ، فـقـالـلـوـ: عـضـدـ وـسـمـواـ فـعـلـ فـقـالـلـوـ: إـبـلـ، وـسـمـواـ بـفـعـلـ فـقـالـلـوـ: طـنـبـ، وـسـمـواـ بـفـعـلـ فـقـالـلـوـ: حـرـدـ، وـلـمـ يـسـمـواـ بـفـعـلـ وـلـاـ بـفـعـلـ كـرـاهـةـ لـثـقـلـ ذـلـكـ لـيـسـ فيـ أـسـمـاهـمـ دـئـلـ وـلـاـ شـيـءـ عـلـىـ وـزـنـهـ، وـلـاـ مـثـلـ دـولـ وـلـاـ شـيـءـ عـلـىـ وـزـنـهـ.

(1/34)

حـذـفـ الـأـلـفـ مـنـ بـسـمـ اللـهـ وـمـاـ ذـكـرـ مـنـ حـذـفـ السـيـنـ

أـجـعـ القـرـاءـ وـكـتـابـ المـاصـحـافـ عـلـىـ حـذـفـ الـأـلـفـ مـنـ بـسـمـ اللـهـ الرـحـمـنـ الرـحـيمـ فيـ فـوـاتـحـ السـوـرـ وـالـكـتـبـ وـعـلـىـ كـتـبـهـمـ إـيـاهـاـ فيـ قـوـلـ: " فـسـبـحـ بـاسـمـ رـبـكـ الـعـظـيمـ "، لأنـهـ وـقـعـتـ مـوـقـعاـ مـعـرـوفـاـ لـاـ يـجـهـلـ الـقـارـئـ مـعـنـاهـ وـكـثـرـتـ فـاسـتـحـقـ طـرـحـهـاـ. إـذـ كـانـ مـنـ شـأـنـ الـعـرـبـ التـخـفـيفـ إـذـاـ عـرـفـ الـمـعـنـىـ وـلـمـ يـكـثـرـ كـكـشـرـتـهـ مـعـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ، فـحـمـلـهـمـ كـثـرـةـ الـاسـتـعـمـالـ وـمـعـرـفـةـ الـمـعـنـىـ لأنـهـ يـقـالـ بـدـأـتـ بـسـمـ اللـهـ فـحـذـفـتـ بـدـأـتـ ثـمـ حـذـفـ الـأـلـفـ فيـ الـخـطـ.

وـحـذـفـ قـوـمـ السـيـنـ وـذـلـكـ مـكـرـوهـ لـأـنـ حـرـوـفـ الـرـيـادـةـ وـالـنـقـصـانـ الـأـلـفـ وـالـوـاـوـ وـالـيـاءـ فـحـذـفـتـ الـأـلـفـ وـلـيـسـ السـيـنـ كـذـلـكـ.

روـيـ أنـ كـاتـبـ عـمـرـ بـنـ العـاصـ، كـتـبـ إـلـىـ عـمـرـ بـنـ الـخطـابـ، رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ " بـمـ اللـهـ " بـاءـ وـمـيـمـاـ وـحـذـفـ السـيـنـ. فـأـمـرـ عـمـرـ بـضـرـبـهـ فـضـرـبـ، فـقـيـلـ: فـيـ أـيـ شـيـءـ ضـرـبـ؟ـ فـقـيـلـ: فـيـ سـيـنـ. فـضـرـبـتـ مـثـلاـ.

ويصير إذا حذفت السين كأنه " بِمَ اللَّهِ " و بم لم يستفهم هما .
وألف اسم لا يحذف إذا أضيفت إلى غير الله، ولا تُحذف في غير الله من الصفات مثل اللام في قولك:
" لَاسْمُ اللَّهِ حَلَوْةٌ فِي الْقُلُوبِ " و " لِيُسَمِّ اسْمُ كَاسِمِ اللَّهِ " لا بد من إثباتها .
وأجاز الكسائي طرح الألف في قوله: باسم الخالق وباسم الرحمن، وغيره يأتي ذلك، ولا يجيزه إلا في
بِسْمِ اللَّهِ وحْدَهُ . وعلى

(1/35)

هذا العمل وهو الصواب .
وكتبوا: الرحمن، بغير ألف لكتمة الاستعمال وإن المعنى لا يدخل .

رسوم الكتاب في كتابتهم باسم الله الرحمن الرحيم

يختار الكاتب أن يبدأ بكتاب باسم الله الرحمن الرحيم، من حاشية القرطاس، ثم يكتبون الدعاء من تحته مساوياً، ويستقيبون أن يخرج الكلام عن باسم الله الرحمن الرحيم، فاضلاً بقليل، ولا يكتبوها وسطاً، ويكون الدعاء فاضلاً، وإنما يفعل ذلك بالترجم .
ومن الكتاب من يرى أن يجعله وسطاً، في أسفل الكتاب، بعد انقضاء الدعاء الثاني والتاريخ، إذا احتاج إلى تبيين نسخة كتاب متقدم، أو حساب، ليفرق بين منزلته من صدر الكتاب وبين عجزه .
وقد ذهب إليه قوم .

ولا يفسح ما بين باسم الله الرحمن الرحيم وبين السطر الذي يتلوه من الدعاء ولكن يفسح ما بين الدعاء، إذا استتم، وبين سائر المخاطبة . ولا يتجاوز بالدعاء ثلاثة أسطر، ولا يستتم السطر الثالث، على المشهور من مذاهب أجلاء الكتاب .

" أما بعد " وما جاء فيها

قال الصوالي: حدثنا زياد بن الخليل التستر، قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر قال: حدثني عبد العزيز بن عمران، عن محمد بن عبد العزيز، عن أبيه، عن أبي سلمة، قال: " أول من قال أما بعد
كعب بن لؤي . وكان أول من سمى الجمعة وكانت تسمى العروبة ".

(1/36)

ويروى أن أول من قال: أما بعد، داود النبي عليه السلام وأن ذلك فصل الخطاب، الذي قال الله عزوجل: " وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ".
حدثنا زياد بن الخليل قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر الحراني، قال: حدثني عبد العزيز بن عمران، عن أبي الزناد، عن أبيه، عن بلال بن أبي بردة، عن أمه، عن جده أبي موسى، أنه قال ذلك .

وقال الشعبي: فصل الخطاب الذي أعطيه داود عليه السلام: أما بعد. فمعنى فصل الخطاب، على هذا، أنه إنما يكون بعد حمد الله، أو بعد الدعاء، أو بعد قوله: من فلان إلى فلان، فينفصل بما بين الخطاب المتقدم وبين الخطاب الذي يجيء بعد. ولا تقع إلا ما ذكرناه. ألا ترى قول سابق البربرى لعمر بن عبد العزيز:

باسم الذي أنزلت من عنده السور ... الحمد لله أما بعد يا عمر
فإن رضيت بما تأي وما تذر ... فكن على حذر قد ينفع الحذر
والمعنى في أنها لا تقع مبتدأة، أن المراد بها أما بعد هذا الكلام، يعني الذي تقدم فإن الخبر كذا وكذا.
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كتب إلى بني أسد:

(1/37)

"بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى بني أسد. سلام عليكم، فإن أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو. أما بعد فلا تقرئن مياه طي ولا أرضهم فإنه لا يحل لكم".
إذا كتب كاتب: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد كان كذا وكذا، فمعناه: أما بعد قولنا باسم الله، فقد كان كذا وكذا وأنه قد كان. فإنها لا تقع إلا بعد ما ذكرناه.
ولابد من مجيء الفاء بعد أما لأن أما لا عمل لها إلا اقتضاء الفاء واكتسابها، فإن الفاء تصل بعض الكلام ببعض، وصلاً لا انفصال بينه ولا مهلة فيه. ولما كانت أما فاصلة، أتيت بالفاء لتردد الكلام على أوله. وليس تدل الفاء على تأخير متقدم، ولا تقديم مؤخر، ولا يستوي معناهما فيها ولا معها. وما أجمع أهل اللغة، على أن حالـاً لو قال: والله لـتين الكوفة والبصرة، فبدأ بالكوفة في لفظه، ثم أتـى البصرة قبل الكوفة ثم أتـى الكوفة، إنه غير حانـث لأن الواو عندـهم أتم حروف النـسق، وإنـها للإـشـراك تدخلـ الآخرـ فيما أدخلـتـ فيهـ الأولـ لا فـرقـ.
وأجمعـوا علىـ أنهـ إذاـ قالـ: لــتينـ الــكــوفــةـ فــالــبــصــرــةـ آــنــهـ إــنــ لمــ يــأــتــ الــكــوفــةـ الــتــيـ بــدــأــ بــهــ فــيــ لــفــظــهــ، ثــمــ يــخــرــجــ مــنــهــ إــلــىــ الــبــصــرــ مــســرــعاــ"

(1/38)

مزعجاً، غير متثبت إلا لفکر في خروجه، أو إصلاح لطريقه، أنه فائت، لأن الفاء حرف إزعاج وإسراع. فإذا قال: لــتينـ الــكــوفــةـ ثــمــ الــبــصــرــ، بــدــأــ بــالــكــوفــةـ وــأــقــامــ ماــ شــاءــ بــعــدــ، لــاــ يــنــقــصــ عــزــمــهــ فــيــ إــتــيــانــهــ. ولا تغير نيته إلى وقت قصده إليها، لأن ثمـ عندـهمـ حـرفـ إـمهـالـ وـتنـفيـسـ. والذـيـ عـلـيـهـ أـكــثــرــ الــفــقــهــاءــ، فــصــلــ الــخــطــابــ، أــنــهــ فــصــلــ الــحــكــمــ وــالــقــضــاءــ. وــقــالــ الــضــحــاــكــ بــنــ مــزاــحــ: فــصــلــ الــخــطــابــ الــعــلــمــ بــالــقــضــاءــ. وــرــوــيــ عــنــ شــرــيــعــ وــالــحــســنــ الــبــصــرــيــ، أــنــهــمــ قــالــاــ: فــصــلــ الــخــطــابــ الــشــهــوــدــ وــالــأــيــمــاــنــ، ذــهــبــ إــلــىــ أــنــ يــجــبــ بــهــمــاــ الــحــكــمــ وــتــنــفــصــلــ الــأــشــيــاءــ.

حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثنا سفيان، عن الأسود، عن قيس، عن ثعلبة، عن عباد،

عن سيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب حين كشفت الشمس فقال: " أما بعد ".

تصدير الكتب وما يقع فيها

فقد استعمل الناس قريراً من ترتيب الدعاء، وتکثیره وتقليله، أشياء كلفوا أنفسهم فيها، مؤونة المخاضة فيها والتحفظ فيها منها. وقد كان المتقدمون يسمحون في ذلك، ولا يتشاحنون عليه إلى الرسوم في الكتب عن الأئمة فإنها على الأمثلة التي كانت تجري عليها الكتب، وتصدر بها في أيام النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً، لم تغير عما كانت تصدر به عن النبي صلى الله عليه وسلم: يبدأ باسمه ويختتم الكتاب باسم كاتبه. وكذلك هي عن الأئمة بإمرة المؤمنين

(1/39)

والإمامية، والتصديير في أول الكتاب، والدعاء في آخره للإمام وولي العهد والوزير واحد. إلا أنهم قالوا: سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، وكذلك لولي العهد في التصدير والدعاء الآخرين. ولم يقولوا للوزير وبركاته ليفرقوا بين المخلين. وقد كتب بعضهم في عجز الكتاب إلى الوزير وبركاته. فاما في التصدير فلا وذلك لفارق بين المخلين.

وكان التصدير ينتهي إلى قوله: " فإني أح مد إليك الله الذي لا إله إلا هو. إلى أن أفضض الخلافة إلى الرشيد، فأمر أن يزداد فيه وأسئلته أن يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ". فكتب بذلك إلى هذا الوقت. فكانت هذه من أفضل مناقب الرشيد.

وكان الرشيد، قال لبيه بن خالد: قد عزمت على أن يكون فيكتي من عبد الله هارون الإمام أمير المؤمنين عبد محمد رسول الله. فقال له بيبي: قد عرف الله نيتك في هذا يا أمير المؤمنين، وحان لك أجره، والتعبد إنما هو لله وحده لا لغيره. قال: فاكتب: " من هارون مولى محمد ". فقال: إن المولى عند العرب ربما كان ابن العم وجزى الله أمير المؤمنين خيراً وهداه إليه.

وقد يزيد في الكتب، ذكر الصفات، التي اختص الله تعالى بها كالمخلص والمهدى والمادى والرشيد. والعجب أن قوماً يسمونها ألقاباً والألقاب مكرورة وإنما هي نعوت وصفات.

وجعلوا مثل ذلك لولاة العهود، وخوطب بها الخلفاء، قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، يخاطب المعتصم بالله، في قصيدة ذكر فيها

(1/40)

ابنه علياً المكتفي بالله.

المكتفي بالله صاحب عهتنا ... فاجعله نخلته من الأسماء

فلما ولـي المكتفي بالله الخلافة قال: قد سمايـ عبد الله باسم لا أريد غيره.

ولـم يكن يدعـى للخلفاء على المنابر بالنعمـ، فيقال: اللـهم أصلـح عـبدك وخـليفـتك عبد الله المنـصور

أمير المؤمنين ولا المهدى. وكان أول من دعى له بذلك محمد الأمين أمير المؤمنين، وجرى على ذلك إلى اليوم.

ولا يكتب بالتصدير الإمام ولا ولـي عهده ولا وزـيره. فأما الإمام فيكتب بالتصـدير إلى كل من خطـابـهـنـ من عـاملـ حـربـ وـخـرـاجـ وـقـضـاءـ، فـيـ الـكـتـبـ المـدـوـنـةـ اـلـمـعـوـتـةـ، بـالـعـهـودـ وـالـعـقـودـ وـجـبـاـةـ الـفـيـءـ، وـالـحـمـولـ وـالـنـفـقـاتـ وـالـإـقـطـاعـاتـ وـالـإـمـارـاتـ وـالـفـتوـحـ، وـمـاـ جـرـىـ هـذـاـ الـجـرـىـ، وـبـيـدـأـ بـنـفـسـهـ. وـلاـ يـخـاطـبـ الـإـمـامـ أـحـدـاـ مـنـ هـذـهـ الـطـبـقـاتـ بـدـعـاءـ لـهـ فـيـ التـصـدـيرـ إـلـاـ وـلـيـ عـهـدـهـ، فـإـنـهـ يـدـعـيـ لـهـ بـعـدـ التـصـدـيرـ بـالـحـفـظـ وـالـخـيـاطـةـ.

مقال الخط

قال يحيى بن خالد البرمكي: " الخط صورة روحها البيان، ويدها السرعة، وقدمها التسوية، وجوارحها معرفة الفصول ".

وقال أبو دلف: " القلم صانع الكلام، مفرغ ما يجمعه العلم ".

وقال أقليدس: " الخط هندسة روحانية وإن ظهرت باللة جسمانية. أخذـهـ النـظـامـ "، فقال: " الخط أصلـيـ فيـ الرـوـحـ وإنـ ظـهـرـ بـالـلـةـ الجـسـدـ ".

(1/41)

ومن فضل حسن الخط، أن يدعوا الناظر إليه إلى أن يقراء وإن اشتمل على لفظ مرذول ومعنى مجهول.

وربما اشتمل الخط القبيح، على بلاغة وبيان، وفوائد مستظرفة، فيرغب الناظر عن الفائدة التي هو يحتاج إليها لوحشة الخط وقبحه.

حدثنا أحمد بن إسماعيل، قال: كان مشايخ الكتاب و Zhao العمال يختارون أن يكون ما يرفعونه عن جماعتهم، إلى دواوين السلطان بخط غير جيد، ومداد غير حalk، في صحف مظلمة، ليشقـلـ عـلـىـ مـنـ يـرـدـ عـلـيـهـ مـنـ الـمـتـصـفـحـينـ فـيـعـدـلـ عـنـهـ إـلـىـ غـيرـهـ مـاـ لـاـ يـتـعـبـهـ.

وزعم صاحب المنطق أن الأشياء مجودة في أربعة مواضع:

في الأشياء ذات المعاني في أنفسها، وفي العقول، والقول، والخط. وإن الخط دليل على ما في النفوس، وما في دليل على ما في الأشياء ذات المعاني، وما في الأشياء ذات المعاني مدلوـلـ عليهـ. وإن اثنـيـنـ مـنـ هـذـهـ الـأـرـبـعـةـ طـبـيعـانـ، وـهـمـاـ الـأـشـيـاءـ ذـوـاتـ الـمـعـانـيـ وـمـاـ فـيـ النـفـوـسـ لـاـ يـتـغـيـرـانـ. وـاـثـنـانـ وـضـعـيـانـ، يـتـغـيـرـانـ بـتـغـيـرـ الـلـغـاتـ وـالـبـلـدـانـ، وـهـمـاـ الـقـوـلـ وـالـخـطـ. وـمـتـالـ ذـلـكـ أـنـ الـذـيـ فـيـ الـجـسـمـينـ، مـنـ التـدوـيرـ وـالـتـبـيـعـ، مـوـجـودـ فـيـهـماـ إـذـاـ نـظـرـ إـلـيـهـماـ نـاظـرـ، اـنـطـبـعـتـ صـورـهـمـاـ فـيـ نـفـسـهـمـاـ، فـصـارـاـ مـوـجـودـينـ

في مـوـضـعـينـ، إـذـاـ أـرـادـ أـنـ يـخـبـرـ غـيرـهـ عـمـاـ وـجـدـهـ، اـحـتـاجـ إـلـىـ التـعـبـيرـ عـمـاـ فـيـ نـفـسـهـ بـالـلـفـظـ، فـيـكـونـ الـلـفـظـ دـالـاـ عـلـىـ مـاـ فـيـ النـفـسـ، وـإـنـ كـانـ الـمـخـبـرـ حـاضـراـ شـافـهـ، وـإـنـ كـانـ غـائـباـ أـدـاهـ إـلـيـهـ بـالـخـطـ.

والـلـفـظـ وـالـخـطـ مـنـ هـذـاـ الـوـجـهـ ضـرـورـيـانـ، لـابـدـ مـنـهـمـاـ فـيـ الـعـبـارـةـ. وـلـوـ شـاءـ قـائـلـ أـنـ يـفـضـلـ الـلـفـظـ، فـيـ هـذـهـ الـحـالـ،

من قول صاحب المنطق، لقال: فاختط أتم من اللفظ فائدة، لأنه قد بلغ مبلغ المنطق، إذ كما قد ننادي الحاضر بحما جيئاً، ففهمه بكل واحد منها، مثل ما فهمه بالأخر، ولا نستطيع إفهام الغائب إلا بالخط، فللخط فائدتان من هذه الجهة، وليس للفظ إلا فائدة واحدة.

فإن قال معترض: فكيف يتهيأ أن يفهم الأعمى والأمي الخط؟ قيل له: ذلك من نقصان آلة، لا من نقصان آلهما، الخط، وإنما قولنا على تمام الآلة وأصل البنية الصحيحة، والعمى عرض دخل على الطبيعة وليس بأصل فيها، والأمي ممكناً أن يتعلم الخط، فالنقيسة فيه عن علمه من ميله. وقد رأينا الشديد الصمم لا يفهم إلا بالخط.

ومن أحسن ما فضل به كلام المخاطب على الخط قول جالينوس "الكتاب كلام ميت، يتناوله قارئه كيف شاء، وكلام المخاطب حي، يمكن صاحبه أن يبلغ به غرضه".

ومن الأعجوبة في الخطوط كثرة اختلافها والأصول واحدة كاختلاف شخص الناس مع اجتماعهم في الصنعة، حتى إن خط الإنسان يصير كحليته ونعته في الدلالة عليه، واللزمون له والإضافة إليه، حتى يقضي به الكاتب له وعليه.

وقد عجبت من بعض الكتاب قال: ادعى رجل من إخلاق الأنساب بالآثار والأشباه، فقال له القائل: أعجب والله من هذا ما يبلغنا من تميزهم الخطوط وإخلاق كل خط بصاحب أو ما ترى العازم على خيانة أو دفع حق، بغير خطه حتى إذا جحد لم ينسب عليه.

وحذني الحسين بن يحيى الكاتب، قال: ادعى رجل على رجل مالاً، وأن معه به رقعة بخطه، فجحد الرجل الخط، وجعل يكتب بين يدي الناس فيحكمون أن الخط ليس خطه. ثم تراضياً بسلامان بن وهب، وما يحكم به في ذلك، فأحضر الخط والرجل، فقال: أكتب فأملي عليه كتاباً طويلاً، ردده فيه مثل الحروف التي في رقعته، فتبين سليمان أن الخط خطه، وأنه صنع في كتاب الرقعة، ولم يكتب على طبعه، بحروف دلت على ذلك، فحكم عليه سليمان، فاعترف الرجل بالخط، وأدى المال وعجب من ذلك. فقيل لسلامان: كيف وقفت على ذلك؟ فقال: إنه يصنع في الرقعة كلها إلا في أحرف قذفتها سجيته، ولم يجترس منها طبعه. ثم أنشد سليمان:

ولما أبت عيناي أن تطعم الكري ... وأن يمنع ذر الدموع السواكب
ثناء بت كي أبي لدمعي علة ... وكم مع لواعتي بقاء التثاؤب

ومن مليح التعلل في الدم ما حدثنا به محمد بن دينار قال: حدثنا مهدي البهدلي، قال: قال يسار لأبي العناهية: يا عتبى أنا والله أستحسن اعتذارك في دمعك حيث تقول:
كم من صديق لي أسا ... رقه البكاء من الحياة
إذا تأمل لامني ... فأقول ما بي من بكاء

لَكْن ذَهَبَتْ لِأَرْتَدِي ... فَطَرَفَتْ عَيْنِي بِالرَّدَاءِ
فَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةَ: وَاللَّهِ يَا أَبَا مَعَاذَ مَا لَذَتْ فِي هَذَا إِلَّا بِعَنْكَ، وَلَا اجْتَنَّتْهُ إِلَّا مِنْ غَرْسَكَ فِي قَوْلَكَ:

(1/44)

فَقَالُوا: لَمْ بَكَيْتَ فَقُلْتَ: كَلا ... وَهُلْ بَيْكِي مِنَ الْطَّرَبِ الْجَلِيدِ
وَلَكِنِي أَصَابَ سَوَاءً عَيْنِي ... عَوِيدَ بَدَا لَهُ طَرْفٌ حَدِيدٌ
فَقَالُوا: مَا لَدْعَهَا سَوَادٌ ... أَكَلَنَا مَقْتَنِيكَ أَصَابَ عَوْدَ
وَالْتَّشَبِيهِ يَقْعُدُ كَثِيرًا بِالْخُطِّ الْجَيْدِ الْحَسَنِ، أَمَّا الْخُطُّ الرَّدِيءُ فَحُكَيَّتْهُ صَعْبَةً مُمْتَنَعَةً.
وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ الْبَحْرَى قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ أَبِي التَّرْجَمَانِ – وَكَانَ الْوَاقِقُ أَنْفَذَهُ إِلَى مَلْكِ الرُّومِ بِهِدَايَا
– قَالَ: وَافَقْتُ لَهُمْ عِيَداً فَرَأَيْتُهُمْ قَدْ عَلَقُوا عَلَى بَابِ بَيْعَتِهِمْ كِتَاباً بِالْعَرَبِيَّةِ مُنْشَوَّرَةً، فَسَأَلْتُ عَنْهَا،
فَقَيْلَ: هَذِهِ كِتَابَ الْمُؤْمِنِ بِخَطِّ أَحْمَدَ بْنِ أَيْيَ خَالِدِ الْأَحْوَلِ اسْتَحْسَنُوا صُورَهُ وَتَقْدِيرُهُ فَجَعَلُوا هَكُذا.
فَحَدَّثَتْ أَنَا بِهِذَا الْحَدِيثِ، أَبَا عَبِيدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنِ دَاؤِدَ بْنِ الْجَرَاحِ، فَقَالَ لِي: هَذَا حَقٌّ قَدْ كَتَبَ
سَلِيمَانَ بْنَ وَهْبٍ كِتَاباً إِلَى مَلْكِ الرُّومِ، فِي أَيَّامِ الْمُعْتَمِدِ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ لِلْعَرَبِ شَيْئاً أَحْسَنَ مِنْ هَذَا
الشَّكْلِ! وَمَا أَحْسَدُهُمْ عَلَى شَيْءٍ حَسْدِي إِيَّاهُمْ عَلَيْهِ. وَالظَّاغِيَّةُ لَا يَقْرَأُ الْخُطَّ الْعَرَبِيَّ، وَإِنَّمَا رَاقَهُ
بِاعْتِدَالِهِ وَهِنْدِسَتِهِ وَحَسْنِ مَوْقِعِهِ وَمَرَاتِبِهِ.
وَوَصَفَ أَحْمَدَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ خَطَا حَسَنَاً فَقَالَ: "لَوْ كَانَ نَبَاتاً لَكَانَ زَهْرَاً. وَلَوْ كَانَ مَعْدَنًا لَكَانَ تِبرَاً. أَوْ
مَذَاقاً لَكَانَ حَلْوَاً. أَوْ شَرَاباً لَكَانَ صَفْوَاً". وَقَالُوا: "الْقَلْمَنْ قَسِيمُ الْحَكْمَةِ".
وَقَالَ أَفْلَاطُونُ: "الْخُطَّ عَقَالُ الْعِقْلِ". وَقَالَ أَرْسَطَاطَالِيُّسُ: "الْقَلْمَنْ الْعَلَةُ الْفَاعِلَةُ. وَالْمَدَادُ الْعَلَةُ
الْهِيَوْلَانِيَّةُ. وَالْخُطَّ الْعَلَةُ الصُّورِيَّةُ. وَالْبَلَاغَةُ الْعَلَةُ النَّامِيَّةُ". وَقَالَ بَعْضُ الْمَلُوكِ الْيُونَانِيَّةِ "أَمْرُ الدِّينِ
وَالْدُّنْيَا تَحْتَ شَيْئَيْنِ: قَلْمَنْ وَسِيفٌ، وَالسِّيفُ تَحْتَ الْقَلْمَنْ".

(1/45)

ما قيل في حسن الخط من المنظوم
فمن مليح ما قيل في ذلك، قول أبي تمام للحسن بن وهب، وقد قرأ كتاباً له فاستحسن خطه ولفظه
من كلمته:
لقد جلى كتابك كل بث ... جو وأصحاب شاكلة الرمي
فضضت ختمه فتبليجت لي ... غرائب عن الخبر الجلي
وكان أغض في عيني وأندى ... على كبدى من الزهر الجني
وأحسن موقعاً عندى ومني ... من البشري أنت بعد النعي
وضمن صدره ما لم تضمن ... صدور الغانيات من الخلبي
فكائن فيه من معنى بديع ... وكائن فيه من لفظ بهي

وكم أنجزت من بر جليل ... به ووعدت من وعد سخي
 كتبت به بلا لفظ كريه ... على أذن ولا خط فمي
 فأطلق من عقال في الأماني ... ومن عقل القوافي والمطى
 وأهدي بعض الكتاب غلاماً كاتباً، إلى رئيس له، وكتب إليه بصفة الخط وغيره - وسمعت من يحكي
 أن فاعل ذلك عيسى بن فرخانشاه بإبراهيم بن العباسى الصولى، وكان عيسى يكتب له ولا أدري
 كيف صحته، لأن لم أعتد بما لم أسمعه من أفواه الرجال:
 أقبل هدية شاكر ... تجزيه بالنزر الجليل
 بدرأً يضيء إذا نظرت إلى ... ه لم يألف أفولاً
 إني بعثت به وكن ... ت بحسن موقعه كفيلاً
 لما رأيت بخطه ... حسناً يصيده به العقولا

(1/46)

كمننم الموسي قد ... سحب القيان به الديولا
 أو كالرياض بكى الحيا ... فيها فاوسعها همولاً
 وتراء للمعنى اللطيف ... إذا أشرت به قبولاً
 لا مستعيداً منك إذ ... تلني عليه ولا ملولاً
 عرف المبادئ والوصول ... من الحكاية والفصولاً
 وصنوف ترتيب الدعاء ... وإن يقصر أو يطيل
 والهمز والممدود والم ... قصور والمثل المقولاً
 والفعل والأسماء وال ... مصروف منها والثقيلاً
 فاستكفه وأضمر له ... أن لا تريده به البديلاً
 يحمل بفضل لسانه ... وبيانه عنك الثقيلاً
 وأنشد أحمد بن إسماعيل نطاحة لنفسه:
 أضحك قرطاسكعن جنةأشجارها من حكم مشمره
 مسودة سطحاً ومبضة ... أيضاً كمثل الليلة المقرمه
 ولـي من قصيدة مدحت بها الوزير أبا القاسم عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن يحيى:
 ينظم دراً في قراطيسه ... أفادـي أبا العباس من ناظم

(1/47)

يطلع أنواراً بها غصة ... بوابل من نقشه واسم
 بنفسجاً أو مشبهاً لونه ... في أرض نسرين له فاحم

كالدر في اللفظ وكالوش ... ي في الرقم أجادته يد الراقص

فقال أحمد بن إسماعيل:

وإذا ننمت بناتك خطأً ... معرباً عن إصابة وسداد

عجب الناس من بياض معان ... تجتني من سواد ذاك المداد

حدثنا محمد بن إبراهيم الأننصاري أبو الحسن، قال: وصف أحمد بن صالح جارية كاتبة فقال: "كان

خطها أشكال صورتها. وكان مدادها سواد شعرها. وكان قرطاسها أديم وجهها. وكان قلمها بعض

أناملها. وكان بيالها سحر مقلتها، وكان سكينها سيف لحاظها. وكان مقطها قلب عاشقها". وأنشدا

عبد الله بن المعتر لنفسه يصف خطأً:

فدونكه موشى ننمته ... وحاكته الأنامل أي حوك

بشكل يؤمن بالإشكال فيه ... كان سطوره أغصان شوك

ومثل هذا لأحمد بن إسماعيل نطاحة:

مستودع قرطاسه حكماً ... كالروض ميز بينه زهره

وكان أحرف خطه شجر ... والشكل في أضعافها ثمره

(1/48)

أنشذ محمد بن يزيد المبرد، قال: استعار محمد بن عبد الملك الريات من الحسن بن وهب دفتراً فيه

شعر أبي يعقوب الخريبي، وكان معجبًا به، فوجه الحسن به إليه، وكان بخط حسن، ثم وجه الحسن

يطلبه منه، فوجه إليه محمد بالنسخة التي كانت عنده واحتبس نسخة الحسن وكتب إليه:

إني نظرت ولا صواب لنظر ... فيما يهيم به إذا لم ينظر

إذا كتابك قد تخير خطه ... وإذا كتابي ليس بالمخير

إذا وسوم في كتابك لم تدع ... شكاً ملعتسف ولا لمحكر

تبنيك عن رفع الكلام وخفضه ... والنصب فيه حاله والمصدر

إذا كتاب أخيك من ذا كله ... خلو فينس لبائع أو مشتري

فأقبل كتاب أخيك غير منافس ... فيه وخل له كتابك واعذر

واعلم بأنك لا تزال مؤخرًا ... في العلم عند الناس ما لم تكسر

إني أرى حبس السمع على الذي ... شاركته فيه وكسر الدفتر

واستهدى أحمد بن إسماعيل دفترًا فيه حدود الفراء، فأهداه إلى مستهدئيه وكتب على ظهره:

خذه فقد سوغت فيه مشبهًا ... بالروض أو بالبرد في تقويفه

نظمت كما نظم السحاب سطوره ... وتألق الفراء في تأليفه

وشكلته ونقشه فأمنت من ... تصحيفه ونجوت من تحريفه

بستان خط غير أن ثماره ... لا تجتني إلا بشكل حروفه

وللخط صفات وتركيبيات وأسماء مختلفات، تحد وتصنف ما يقال ذلك في النغم واللحون. فمنه

الرياشي الحقق والخفيف المطلق، وهو الذي يتعلق ببعضه ببعض، ومنه منثور ومجموع.

(1/49)

وَسَلِيلُ بَعْضِ الْكِتَابِ عَنِ الْخُطْ مَقِيْ يَسْتَحِقُ أَنْ يُوصَفَ بِالْجُودَةِ، فَقَالَ: إِذَا اعْتَدَلَتْ أَقْسَامُهُ، وَطَالَتْ أَلْفُهُ وَلَامُهُ، وَاسْتَقَامَتْ سُطُورُهُ، وَضَاهَى صَعْدَوْهُ حَدُورَهُ، وَتَفَتَّحَتْ عَيْوَنَهُ، وَلَمْ تُشَبِّهْ رَاءُهُ نُونَهُ، وَأَشْرَقَ قَرْطَاسُهُ، وَأَظْلَمَتْ أَنْقَاصُهُ، وَلَمْ تُخْتَلِفْ أَجْنَاسُهُ، وَأَسْرَعَ إِلَى الْعَيْوَنِ تَصْوِرُهُ، وَإِلَى الْعُقُولِ ثُمُرُهُ، وَقَدَرَتْ فَصُولُهُ وَانْدَجَتْ وَصُولُهُ، وَتَنَاسَبَ رَقْيقُهُ وَجْلِيلُهُ، وَخَرَجَ عَنْ نُمْطِ الْوَرَاقِينِ، وَبَعْدَ عَنْ تَصْنِعِ الْمُحْدِرِينِ، وَقَامَ لِكَاتِبِهِ مَقَامُ النَّسْبَةِ وَالْخَلْيَةِ، كَانَ حِينَئِذٍ كَمَا قَلْتُ فِي وَصْفِ خَطِّ:

إِذَا مَا تَحَلَّلَ قَرْطَاسُهُ ... وَسَاوَمَهُ الْقَلْمَ الْأَرْقَشُ
تَضَمَّنَ مِنْ خَطْهُ حَلَةً ... كَنْقَشَ الدَّنَانِيرَ بِلَ أَنْقَشَ
حَرَوْفَ تَعِيدُ لَعِينَ الْكَلِيلِ ... نَشَاطًا وَيَقْرَأُهَا الْأَخْفَشُ
وَقَالَ آخِرٌ:

أَتَانِي كَتَابُكَ يَا سِيدِي ... فَأَنْسَ نَفْسًا بِمَبْهَجِهِ
وَكَانَ بِمَا سَاقَ مِنْ فَرْحَةٍ ... وَسَكَنَ مِنْ لَوْعَةِ مَزْعَجِهِ
أَبْرَ وَأَمْتَعَ مِنْ رِيْطَةٍ ... عَلَى كُلِّ مَائِدَةٍ مَدْرَجِهِ
قَدْ ذَكَرْتُ فِي هَذَا الْكِتَابِ مَا اسْتَحْسَنَ مِنْ خَطِّ الْجَوَارِيِّ: وَقَدْ كَرِهَ أَهْلُ الْنَّبْلِ مِنَ النَّاسِ وَذُوو الرَّأْيِ
مِنْهُمْ أَنْ يَعْلَمَ النِّسَاءُ الْخُطَّ، وَجَاءَ فِيهِ النَّهْيُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ: "لَا تَسْكُنُوا النِّسَاءَ

(1/50)

العلالي ولا تعلمونهن الكتابة".

وقال حمزة بن أبي سلامة الكوفي:

جَاءَ خَطٌّ كَانَهُ شِعْرَاتٍ ... وَسَطَ خَطٌّ وَلَمْ يَصْلِهِ عَذَارٌ
أَوْ كَنْقَشَ الْحَنَاءِ فِي كَفِ عَذْرَا ... ءَأَبْاحَثُكَ لَهُ الأَسْتَارِ
يَا كَتَابًا يَكَادُ يَضْحَكُ مِنْ جُو ... هُرُوهُ فِي نَظَامِهِ الطَّوْمَارِ
وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ:

يَا رِقْعَةَ جَاءَتْكَ مَثْنَيَةً ... فَكَأَنَّهَا خَدٌ عَلَى خَدٍ
نَبْدُ سَوَادٍ فِي عَذَارٍ كَمَا ... ذَرَ فَتِيتَ الْمَسْكِ فِي الْوَرَدِ
سَاهِمَةُ الْأَسْطَرِ مَصْرُوفَةً ... مِنْ مَلْحِ الْهَنْزِلِ إِلَى الْجَدِّ
يَا كَاتِبًا أَسْلَمْنِي عَبِّيَّهُ ... إِلَيْهِ حَسْبِيَّ مِنْهُ مَا عَنِيَّ

(1/51)

وقال أبو نواس:

زجرت كتابكم لما أتاني ... بمر سوانح الطير الجواري
نظرت إليه محزوماً بزبر ... وفي ظهر وختوماً بقار
فعفت الظهر أحور قرقرياً ... تركب صداغه سين العذار
وكان الشدو ذا زبر مصيبة ... وكان الختم من رق العقار
فكيف ترونني وترون زجري ... ألسنت من الفلاسفة الكبار

ما قيل في قبح الخط

قال الصولي أنسدini أحمد بن محمد بن إسحاق، قال: أنسdini علي بن محمد العلوi لنفسه:
أشكوا إلى الله خطأ لا يبلغني ... خط البليغ ولا خط المرجينا
إذا همت بأمر لي أزخرفه ... سدت سماجته عني التحسينا
وقالوا: "رداعة الخط زمانة الأديب". ونظر عبد الله بن طاهر إلى خط بعض كتابه فلم يرضه، فقال:
"نحواً هذا عن مرتبة"

(1/52)

الديوان فإنه عليل الخط، ولا يؤمن أن يعدي غيره". وقالوا: "رداعة الخط إحدى الزمانتين، كما أن حسنها إحدى البلاغتين".

حدثني طلحة بن عبد الله، قال: اعتذر رجل إلى محمد بن عبد الله بن طاهر من شيء بلغه عنه، فرأى خطه قبيحاً فوق في رقعته: "أردنا قبول عذرك، فاقتطعنا عنه ما قبلنا من قبح خطك. ولو كنت صادقاً في اعتذارك لساعدتك حركة يدك. أو ما علمت أن حسن الخط يناضل عن صاحبه بوضوح الحجة. ويمكن له درك البعية".

وكان أبو هفان عبد الله بن أحمد المزمي من أقبح الناس خطأ، وكان يبتدىء الخط من رأس الورقة ويعوج سطوره حتى يبقى آخر سطر في الورقة كلمة واحدة فرثاه يحيى بن علي فقال في موريه: مع خط كأنه أرجل البطل ... أو الخط في ذوي الفبيان

أنشدni العنزي الحسن بن علي في قبح الخط، وكان والله قبيح الخط والوجه، حسن العلم والعقل: جزعت من قبح خططي ... وفيه وضعي وخطي
رجعت من بعد حذقي ... إلى تعلم خططي

الوصاة بإصلاح الخط آلته: قال بعض الرؤساء من الكتاب: "ارخوا ذوائب خطوطكم"، يريد بذلك الحروف المخطوطة، كاليماء والنون والعين والراء المفصلات وما أشبههن.

(1/53)

قال الصولي: حدثني أبو الحسين محمد بن أحمد النيسابوري، قال: سمعت الحسين بن يحيى بن نصر الجرجاني يقول: قال إبراهيم بن العباس الصولي لغلام كان يكتب بين يديه: "ليكن قلمك صلباً بين الدقة والغالط، ولا تبره عند عقدة، ولا تجعلن في أنبويه أنبوية، ولا تكتبن بقلم ملتو، ولا ذي شق غير مستو، واختر من الأقلام ما يضرب إلى السمرة. وأحد سكينك، ولا تستعملها لغير قلمك. وتعهدك بالإصلاح يصلح. ولتكن مقطتك صلباً ليمضي الخط مستوياً لا مستطيلاً، وابر قلمك بين التحريف والاستواء. وإذا كتبت الدقيق فأمل قلمك إلى إقامة الحروف لإشباع الخط، وإذا جللت فإلى التحريف. واعلم أن تبطئين القلم شؤم، وتحريفه حرف، وهما دمار الخط. واعلم أن وزن الخط مثل وزن القراءة، فاجود الخط أبينه، كما أن أحمد القراءة أبينها".

وقال بعض الكتاب: "الصدق بالخط أن يقدر الكاتب بقلمه أجزاء حروفه وكلمه، وخاصة في طول الحرف لا في عرضه، ويفرق بين الحرف والحرف على قياس ما مضى من شرطه في قرب مساحته وبعد سياقه. ولا يقطع الكلمة بحرف يفرد في غير سطره. ويساوي إصلاح خطوطه كتابته ولا يغيره في حالاته بما ليس من زينته، ولا يمنعه حقاً فيخلف حالاته، ويفسد قسمته.

ويستريح أن يقع في الخط نوعان مختلفان، ويقوم في النفس من ذلك ما يقوم فيها من الشعر إذا اختلفت أعاريضة، وخلط فصيحه بمولده. وأحلى الخطوط الحق اللطيف، المستدير الحروف، المفتوح الصادات والطاءات، المختلس الناثات والآلات.

(1/54)

ولا يحسن أن يجمع في الحرف مشقتان، ولا بين يائين معروقين". قال الصولي: والمشتق مكروه، وخاصة في الكتاب إلى الرئيس، لأنهم يتأنلون ذلك ضرباً من الاستخفاف بقدر المكاتب. كذلك قال إبراهيم بن العباس الصولي، وهو إمام من أئمة الكتاب يقتدى به فيها: وربما طغى القلم فوصل منفصلاً، وفصل متصلاً.

وقد يمشق الكاتب في حالين متضادين في أشد ما يكون نشاطاً، لشوق يده إلى الخط، وبعد عهدها به، وتفلتها إليه، فتنازعه يده إلى ذلك، وتغلبه إلى الإسراع، فتجري على غلوائها، وتتضي على درها، ولا تتمهل لرفع حرف ولا خفض آخر.

وتسنر أيضاً في حال التعب والكلال إلى المشتق، لما يلحق الأنامل من مشقة التعطف والتلوى على القلم، بتقريب بعض الحروف من بعض، وعطف شيء على شيء. فإذا كانت الكلمة على أربعة أحرف جعلت المشقة واسطة بين حرفين أولين وحروفين آخرين، مثل مقيد ومحلب، وعنها وفيها. فإن كانت ثلاثة أحرف أو سطها ميم، كانت المشقة بين الميم والحرف. ولا يجوز أن يمشق بين حرفين أحد هما ميم.

إذا اتصلت باء وباء ونون في كلمة، فكان على عدد أشكال السين والشين رفعت الوسطى، مثل بينك وبينك. ولو لم تفعل

(1/55)

ذلك، وسويت بين الثلاث، جاءات الكلمة كأنها شك أو سك، ويحتمل الإثنين السين والشين. وأن يشقا ولا يتحقق في كل الموضع؛ إلا في: بسم الله الرحمن الرحيم، لمعان أولها التعظيم لاسم الله تبارك وتعالى، والثاني ليتبين تحقيقك لذلك وتحسينك له، ولأن بسم الله الرحمن الرحيم أول ما يبتدئ الكاتب به وهو وافر النشاط، غير حسير اليد، ولا جافي القلم؛ فليس له عذر في ترك التحقيق حينئذ ولا له حاجة إلى التروح.
وكذلك يكره مشقهما منفصلتين، مثل الناس والباس، لا يكون معهما في هذه القسمة حرف يعتصدهما.

وقد روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: " شر الكتابة المشق، وشر القراءة المذرمة ".
وأكثر سروات الكتاب يكرهون شق الكاف، وقد شقها بعضهم إذا كانت أول الحرف ومبتدأ السطر، ويستقترح شقها إذا كانت في آخر الكلمة منفصل أو متصلة، وذلك في مثل مالك وتارك.
ويستقترح أن ينقطع دعاء فيقع أوله في آخر السطر وبعضه في أول السطر الآخر، وكذلك الكنية والمضاف وغير ذلك، وما عمل بعضه في بعض، وما جعل اسمًا واحدًا وهو اثنان في الأصل، وذلك مثل أعزه الله في الدعاء، وعبد الله في الأسماء، وغلام زيد في الإضافة، وتنطبق شرًا في العامل بعضه في بعض، وخمسة عشر فيما جعل الإسمان اسمًا واحدًا، ومعدني كرب وحضرموت وأيادي سباء ويد الدهر ويد المسند وهو الدهر أيضًا،

(1/56)

وشدر مذر وقالي قلا، ومثل هذا كثير، وما ذكرناه منه يدل على سائره.

ما في النقط والشكل والخط الدقيق

كره الكتاب الشكل والإعجماء، إلا في الموضع الملتبسة من كتب العظماء إلى دونهم، فإذا كانت الكتب من دونهم إليهم ترك ذلك في الملبس وغيرهم، إجلالاً لهم عن أن يتوهם عنهم الشك وسوء الفهم، وتتنزيهاً لعلومهم وعلو معرفتهم عن تقيد الحروف، ولو لا أن الذي جددهم من ذلك في كتاب الرئيس إلى تابعه يجري مجرى الزيادة في الإيضاح له، ونفي الارتياب عنه، وإيجاب الحاجة عليه فيما يؤمر به وينهى عنه، لكن الأحسن أن لا يستعمل في الحالتين معاً.
وقد رأى قوم أن تكون كتبهم إلى سلطانهم بأكبر الخطوط وأجلها، واختاروا الشكل والإعجماء فيها.

(1/57)

وحكوا عن بعض الخلفاء، أنه تأذى من إخالء الكتب من ذلك في المؤامرات وغيرها. وقال الذين اختاروا ذلك لا نعرضهم للشكوك، ولا نكلفهم إعمال الفكر في المشكل، وأنه يجب أن نوضح لهم الشكوك ونضبط الحروف، بما يسبق معه المعاني إلى قلوبهم في أول وهلة.

ونسبوا الأصل في هذا إلى المأمون، وهذا ما لا يجمع المميزون عليه، ولا يلتفتون إلى ما يتأنّل فيه، لأن الأمر لو كان على ما يختاره من يشكل وينقطع، لما وقع من الكتاب تصحيف، في كثير مما قرأوه في مجالس الخلفاء، حتى أحصيت عليهم غلطات سقطوا بها في عصرهم، وبقي عارها عليهم، كالذي صحف من " حامرطي " جاضرطي، والذي صحف بين يدي المأمون " البريدي " فقال الشريدي، فأمر المأمون أن يطعم، وقال: أبو العباس جائع - يعني وزير ابن أبي خالد - فغدوه. ثم قرأ فلان الحمصي فقال: الخبيسي، فقال المأمون: ما في طعام أبي العباس خبيص فأطعموه.

وقرأ كاتب عبيد الله بن زياد كتاب عبيد الله بن أبي بكرة أنه وجد بعض الخوارج في شرب فقال عبيد الله: وكيف لي بأن أكون من يشرب هو ونظراوه إنما هو في سرب أبي سرداد. وكتب رجل من أغبياء الكتاب إلى صاعد بن مخلد كتاباً فصیر العین غبناً ونقطعها من فوق ونقط الخاء من مخلد من أسفل فصیرها جیماً. فقرأ كتابه صاعد بن مخلد فلم يفطن لذلك، ووقع فيه فخرج إلى

(1/58)

الديوان فرأاه الناس فقال فيه بعض الشعراء:

رأيت الوزير كثير الشكوك ... بعيد الإفادة من غفلته
فما عرف الجد من والد ... ولا اسم ابنه الفذ من كنيته
رأيت الكتابة قد عطلت ... ورسم البلاغة في دولته

وأغفل كاتب سليمان بن عبد الملك الإعجم في كتاب كتبه إلى عامله بالمدينة يأمره بإحصاء المختفين فقال له: احص من قبلك من المختفين. فقرأه أخض، فخصى منهم جماعة حتى خصى الدلال، فقال: الآن والله أشبهنا النساء، هذا والله الختان الأكبر.

وأخرج كتاب عبيد الله بن سليمان على عامل مالاً، فنظم منهم، فوقع عبيد الله " هذا هذا " فقدر الرافع لبعد ذهنه أنه وقع هذا هنا أي حجة ثابتة كما تقول: أنت أنت، وأنا أنا، فآخر التوقيع إليهم فقال: قد قبل حجتي، فلم يعرفوا ذلك، وجاءوا بالتوقيع إلى صاحب الديوان، فرده إلى عبيد الله بن سليمان واستأمره فيه، فما زاد عبيد الله على أنه شدد الذال، ووقع تحته: الله المستعان، كأنه نسب صاحب التوقيع إلى الهذيان. ومثل هذا كثير جداً وإنما بطرف منه.

حدثني يعقوب بن بيان قال: حدثني علي بن الحسين قال: لما أخرج بغا إلى منبع وقلدها، كان معه كاتب فقرأ عليه يوماً كتاب عامل بسمساط وأن فلاناً سقط عن برذونه، يزيد عن برذونه، فقال له بغا: وما برذونه ويحك؟ فقال: جبل بين سمساط والروم وهو الحد بينهما، فلم يدر من أي شيء يتعجب! من تصحيفه أم من احتاجه بما احتاج به. وكتب بعض الكتاب إلى رجل كتاباً فدقق خطه فيه فكتب الرجل إليه: ما كاتبني وإنما عوذتني! شبه كتابه بالتعويذ.

وكتبت إلى بعض إخواني كتاباً بقلم دقيق، فأنكر ذلك فكتب إليه:
 أنكر الخط إذ رأه ضئيلاً ... قال: هلا كتبت خطًا جليلاً
 قلت لا تسبقن باللوم عذري ... بخل الخط إذا رأي بخيلاً
 وكذا الجسم إذ رأى علة الأل ... حاظ من مقلتيك صار عليلاً
 وقال آخر في نحوه:
 يقول وقد كتبت دقيق خط ... إليه لم تجنبت الجليل
 فقلت له: عشقت فصار خطى ... دقيقاً مثل صاحبه ضئيلاً
 ومن مليح ما قيل في النقط والإعجام قول عبد الله بن المعتز:
 غاللة خده ورد جني ... ونون الصدغ معجمة بحال
 وقال أبو نواس يصف صغر أثافي قدر الرقاشي:
 رأيت قدور الناس سوداً من الصلى ... وقدر الرقاشيين بيضاء كالبدر
 يبيّنها للمعتفي بفنائهما ... ثلاث كنفط الشاء من قلم الخبر
 وما رأيت النقط والإعجام وقعًا أصح من مكان أوقعهما عصابة الجرجاني يهجو الحسن بن رجاء فإنه
 قال:
 خوان الأمير معنى المكان ... له شبح ليس بالمستبان
 يرى بالتوهم لا بالجنس ... وبالخبر الفذ لا بالعيان
 دعا بالخوان على لؤمه ... لكثما يقال دعا بالخوان
 فأماماً غضائره الواردات ... فأسماه ليست لها من معان
 ونقط منها عراق عراق ... كم تعجم الصحف بالزعفران
 وتقول: قرمطت الخط أقرمته قرمطة إذا قاربت بين حروفه.

وحكمي التنوخي: قرمط خطوه إذا قارب بينه.
 ومن مليح ما قيل في النقط والشكل قول أبي نواس:
 يا كاتباً كتب الغداة يسبني ... من ذا يطيق براعة الكتاب
 لم ترض بالإعجام حين كتبته ... حتى شكلت عليه بالإعراب
 أخشت سوء الفهم حين فعلته ... أم لم تتق بي في قراءة كتاب
 لو كنت قطعت الحروف فهمتها ... من غير وصلكهن بالأنساب
 وأردت إفهامي فقد أفهمتني ... وصدقت فيما قلت غير محاب
 وقال التنوخي: يقال: "كتاب نزل الخط" إذا كانت الكتابة كثيرة فيه. ويقال: "رجل ذو نزل"

حر كثیر. " وطعام له نزل " أی ربع کثیر. والعامۃ تقول: نزل وذلک خطأ قال لبید:
ولن تعدموا في الحرب ليثاً محربا ... وذا نزل عند العطیة نازلا
ذا نزل ذا عطاء.

ونحو قول أبي نواس، قول العباس بن الأحنف:
إذا الذي كتب الكتاب يسبني ... قصداً بالغ في الكتاب وأعجمما
إذا أردت هديت من إعجامه ... إني أراك حسبت أن لا أفهمها
وتقول: شكلت الكتاب أشکله شکلاً. وشكلت الطائر شکولاً وشكلت الدابة شکالاً. وشكلت
المرأة شکلاً. وأشكل الأمر إشكالاً التبس. والقوم أشکال أي أشباه.

الحروف التي شبّهت الشعراء بها
أنشدنا القاسم بن إسماعيل، قال: أنسدنا محمد بن إسماعيل لأبي

(1/61)

النجم العجلي الراجز، وكان له صديق، يقال له زياد يسقيه الشراب، فينصرف أبو النجم من عنده
ثلاً:
أقبلت من عند زياد كالخرف ... تحط رجالي بخط مختلف
كأنما قد كتبنا لام ألف
وقد عيب أبو النجم بهذا، فقيل: لو لا أنه يكتب ما عرف صورة لام ألف كما عيب ذو الرمة في
وصف ناقته:

كأنما عينها فيها وقد ضمرت ... وضمها السير في بعض الأضاميم
يريد كأن عينها دارة ميم لتدويرها، والأضاءة الغدير، يقال أضاءة وأضاً مثل قطة وقطا وأضاءة وآضاءة
مثل أكمة وآكام. فقيل: لو لا أنه يكتب ما عرف الميم.
وحدثنا الغلاي قال: حدثنا عبد الله بن الضحاك، عن الهيثم بن عدي، قال: فرأى حماد الروية على
ذي الرمة شعره قال: نراه قد ترك في الخط لاماً، فقال له ذو الرمة: اكتب لاماً فقال له حماد: وإنك
لتكتب! قال: اكتنم على فإنه كان يأتي باديتنا خطاط، فعلمنا الحروف تحطيطاً في الرمال، في الليالي
المقمرة، فاستحسنتها، فثبتت في قلبي، ولم تحطتها يدي. ومن مليح ما قيل في التشبيه بلام ألف قول
بكر بن النطاح:

يا من إذا درس الإنجيل ظلل له ... قلب الشقي عن القرآن منتصرا
إني رأيتك في نومي تعانقني ... كما يعانق لام الكاتب الألفا
فقيل: قلب حال القافية، لأن المعنى كما تعانق ألف الكاتب اللام لأن الألف تعطف على اللام.
والذي عندي أنه صواب لأن كل شيء عائق شيئاً، فإن ذلك الشيء أيضاً قد عائقه. وقال آخر في
التشبيه بالهاء:

(1/62)

تنزو إذا مسها قرع المزاج كما ... تنزو الجنادب أوقات الظهيرات
وتكتسي لؤلؤات في تقلبها ... من الحباب شبيهات بجاءات
وفي مثله يقول أبو نواس:
ثم شجت، فأدارت ... فوقها طوفاً فدارا
كافتران الدر بالد ... ر صغاراً وكبارا
خلته في جنبات ال ... كاس واوات صغارة
وقال عبد السلام بن رغبان الحمصي:
فاصرف بصرفك وجه اماء يومك ذا ... حتى ترى نائماً منهم ومنصرفها
فقام مختلفاً كالبدر مطلعاً ... والظبي ملتفناً والغضن منعطفاً
كان قافاً أديرت فوق وجنته ... واحتخط كاتبها من فوقها ألفاً
وقال عبد الله بن المعتز:
وكان السقاة بين الندامى ... ألفات بين السطور قيام
وقال أبو مقاتل الديلمي واسمه صالح:
شهدت لها لام الطراز بأنها ... كتبت وكانت قبل عند مهندس
إذا أدارت قاف صدع خلتها ... أخذت قوام الشكل من إقليدس
وقال أحمد بن إسماعيل:
وسائل عذاره من تحت صدع ... فصارت لام ذاك الصدع عيناً
وقال بعض الأعراب يصف طوق القمرية:
كان بنحرها والجيد منها ... إذا راقت عيون الناظرينا
مداداً لاقه قلم لطيف ... فصاغ به لطوق النحر نونا
وقال أبو نواس يصف ريش الصقر:
واجتتاب من طرازه تفويضاً ... وشياً ترى بسيطه مكفوفاً

(1/63)

مثل استراق الكاتب الحروفا
وقال أيضاً يصف منسراً:
في هامة علياء هدي منسراً ... كمعطفة الجيم بكف أغسرا
يقول من فيها بعقل فكراً ... لو زادها عيناً إلى فاء ورا
فاتصلت بالجيم فصارت جعفراً
وقال غيره:

له من عيون الوحش عين مريضة ... ومن خصوة الريحان خصورة شارب
كان غلاماً ماهراً خط خطه ... فجاء كنصف الصاد من خط كاتب
وقال غيره:

صدغ على خدك أبكاني ... ورد لي همي وأحزاني
كأنما قومه صائع ... وخطه كاتب ديوان
وقال آخر:

وقد بدا صدغه من فوق وجنته ... كمشقة عطفت من نقطة الراء
وقال محمد بن عبد الملك الزيات:

ماذا تواري ثيابي من أخي دنف كأنما الجسم منه بقة الألف
وقال الثروانى الكوفي:

أما ومطال ذي خلف ... به أمسيت ذا شغف
ورحمة من خضعت له ... بلا ميل ولا لطف

(1/64)

خضوع فتي مالكه ... بذل الرق معترف
لقد أصبحت ذا كلف ... بحال غير ذي كلف
كان معاقد الزنا ... ر قد عقدت على ألف
ولي من آخر قضيدة إلى بعض الرؤساء أساله حاجة:
سبقتما في حلايب المجد بينكما ... فرط التجارب ميمون لميمون
فأتبع النون عيناً في المقال ولا ... تؤخر الميم عن عين وعن نون
وقال عبد الصمد بن المعذل لعلي بن عيسى بن جعفر وقد شرب دواء:
وقد أهديت ريحاناً ظريفاً ... به حاجيت مستمعي مقالي
وريحان الببات يعيش يوماً ... وليس يوموت ريحان المقال
ولم تك مؤثراً ريحان شم ... على ريحان أسماع الرجال
وقال هشام بن عبد الملك لأعرابي: أنظر كم على هذا الميل من عدد الأميال؟ وكان الأعرابي لا
يحسن أن يقرأ، فمضى ونظر ثم عاد فقال: رأيت كرأس الحجن، متصلة بحلقة صغيرة، تتبعه ثلاثة
كأطباء الكلبة، تفضي إلى هنة كأنما رأس قطة بلا منقار. ففهم بصفته أنها خمسة.
وقال أبو نواس يشبه نحوله بقلة حروف لا:
يا عاقد القلب مني ... هلاً تذكرت حلا
تركت جسمي علياً ... من العليل أقل

(1/65)

يكاد لا يتجزا ... أقل في اللفظ من لا
 وقال الصولي وأنشدي ابن الخراساني:
 مستهتر بالصدود موصوف ... مؤلف للحاظ مألف
 كأنه في اعتداله ألف ... ليس لها في الكتاب تحريف
 وقال أبو الهندى، وهو أشعث الريواعي، يخاطب خمارة كانت تبيعه الخمر، فإذا أعطته كوزاً خطت
 عليه خطأً، فرآها تزيد عليه فقال:
 إذا ما بعنتي كوزاً بخط ... فخطي ما بدا لك أن تخطي
 وزيدي ثم زيدي ثم زيدي ... على وغاضي بالله شرطي
 وصحي في أبيرق صغير ... كأن الأدن منه رجع خطى
 وقال يهجو ابن حجام:
 يا ابن من يكتب في الأ ... رقاب من غير دواة
 لم يكن يكتب فيها ... غير خط الآلفات

ما جاء في وصف القلم من الكلام المنشور
 قد ذكرنا من فضل القلم، في أول الكتاب، ما يعني عن إعادته.
 وقال أحمد بن يوسف: "القلم لسان البصر يناجيه بما استتر عن الأسماع، إذا نسخ حله، وأودعها
 حكمه".

(1/66)

وقال ابن المقفع: القلم بريد القلب " وقال أبو دلف: " القلم صانع الكلام ويفرغ ما يجمعه العلم ".
 وقال الجاحظ: " الدواة منهل، والقلم ماتح، والكتاب عطن ".
 وقال سهل بن هارون: " القلم أنف الضمير، إذا رعف أعلن أسراره، وأبان آثاره ".
 وقال عمرو بن مسuda: " الأقلام مطايا الفطن ".
 وقال المؤمنون: " الله در القلم، كيف يحوك وشي المملكة ".
 وقال جالينيوس: " القلم طبيب المنطق " فوصفه من جهة صناعته.
 وقال أحمد بن عبد الله: " القلم راقد في الأفندة. مستيقظ في الأفواه ".
 وقيل: " عقول الرجال تحت أقلامها ".
 وقال آخر: " القلم أصم يسمع النجوى. وأخرس يفصح بالدعوى. وجاهل يعلم الفحوى ".
 وقال أحمد بن يوسف: " عبرات الأقلام في حدود كتبتها أحسن من عبرات الغواي في صحون خدودها".

(1/67)

وقال العتاي: "الأقلام مطايا الأذهان".
وقال عبد الحميد: "القلم شجرة ثرثها الألفاظ، والفكر بحر لؤلؤه الحكمة".
وقيل: "برى القلم تروى القلوب الظلمة".
وقال ابن المفعع: "القلم بريد القلب يخبر بالخبر، وينظر بلا نظر".
وقال ابن أبي دؤاد: "القلم سفير العقل، ورسوله الأنبل، ولسانه الأطول وترجمانه الأفضل".
وقال ابن أبي دؤاد: "القلم الدنيا والآخرة".
وقال آخر: "بنوء القلم تصوب الحكمة".
وقال ابن ميثم: "من جحالة شأن القلم أنه لم يكتب لله تعالى كتاب قط إلا به".
وحدثني الحسين بن عمر ويعقوب بن بيان، قالا: حدثنا علي بن الحسين بن عبد الأعلى، قال: كتب عبد الله بن طاهر إلى إسحاق بن إبراهيم، من خراسان إلى بغداد أن يوجه إليه بأقلام قضبية، كتاباً نسخته.

(1/68)

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فإننا على طول الممارسة لهذه الكتابة التي غلت على الاسم، ولزمت لزوم الوشي، فحلت محل الأنساب، وجرت مجرى الألقاب. وجذبنا الأقلام القضبية أسرع في الكواحد وأمر في الجلود. كما أن البحرية منها أسلس في القراطيس، وألين في المعاطف، ولكل عن تعرّيقها والتعلق بما ينبو من شظايتها ونحن في بلاد قليلة القصب رديء ما يوجد منها، فأحبببت أن تقدم في اختيار أقلام قضبية، وتتنوّق في انتقالها قبلك، وطلّبها من مظاها، ومرامها من شطوط الأئمّار، وأرجاء الكروم. وأن تتيّم باختيارك منها الشديدة الحبس، الصلبة المغض، النقيّة الجلود، الغليظة الشحوم، المكتنزة الجوانب، الضيقّة الأجوف، الرزينة الوزن فإنّها أبقى على الكتاب، وأبعد من الحفاء. وأن

(1/69)

تقصد بانتقادك الدفاق القضبان، اللطاف المنظر، المقومات الأود، الملمس العقد، " فلا يكون فيه التواء عوج ولا أمت. وضم الصافية القشور، الخفيفة الأتن، الحسنة الاستدارة "، الطويلة الأنابيب، بعيدة ما بين الكعوب، الكريمة الجواهر، المعتدلة القوام، يكاد أسفلها يهتز من أعلىها، لاستواء رؤوسها بأصولها، المستحكمة ييساً، القائمة على سوقها، قد تشربت الماء في لحائها، وانتهت في النضج منتهاها، لم تعجل عن تمام مصلحتها، وإنّابان ينبعها، ولم تؤخر إلى الأوقات المخوفة عاهاها من خصر الشتاء، وعفن الأنداء. فإذا استجمعت عندك أمرت بقطعها ذراعاً ذراعاً قطعاً دقيقاً تتحرّز معه من أن تتشعّث رؤوسها وتنشق أطرافها. ثم عبات منها حزماً فيما يصونها من الأوعية، وعليتها

الخيوط الوثيقة، ووجهتها مع من يحتاط في حراستها وحفظها وإيصالها، إذ كان مثلها يتوازن فيه لقلة خططها. واكتب معه بعدها وأصنافها، وأجناسها وصفاتها، على الاستقصاء؛ من غير تأخير ولا توان ولا إبطاء، إن شاء الله.

فأجابه إسحاق - ووجه إليه بالأنايب - وليس بالجواب مما سمعته، إنما وجدته في كتاب:

(1/70)

أتاني كتاب الأمير بما أمر به، وتحصه من البعثة إليه، بما شاكل نعته، وضاهى صفتة، من أجناس الأقلام. فنيممت بغيته قاصداً لها، واستنهجت معلم سؤاله آخذناً بها، فأنفدت منها حزماً نشأت بليف السقية، وحسن العهد والبقاء. لم تعجل بأخراجها، ولا بودرت قبل إنصاحها. فهي مستوية الأنابيب معتدلتها، متفقة الكعوب مقومتها. لا يرى فيها أمت زور، ولا وسم صغر. وقد رجوت أن يجدوها الأمير عند إرادته، وحسب بغيته. إن شاء الله.

حدثنا أحمد بن إسماعيل قال: أهدى مهد أقلاماً وكتب: أنه لما كانت الكتابة قوم الخلافة، وزينة الرياسة، وعمود المملكة، وأعظم الأمور الجليلة غايةً؛ أحبت أن تحفه من آلتها بما يحلف عليك حمله، وتقل مع ذلك قيمته، ويکثر نفعه، ويصغر خطره. فبعثت إليك أقلاماً من القصب النابت في الأعذاء، المغذوة بماء السماء. كاللالي المكونة

(1/71)

في الصدف، والأحجار المحجوبة بالسدف. تنبو عن تأثير الأسنان، ولا يثنى عنها غمز البنان. قد كستها طبائعها جوهراً كاللوشي الخطير، وفرند الدبياج المنير. فهي كما قال الكمي:

ويبيض راق صفاح المتون ... تسمع للبيض فيها صريرا
مهنددة من عتاد الملوك ... يكاد سنانه يعشى بصيرا
وكقداح النبل في ثقل أوزانها، وقضب الخيرزان في اعتدالها، ووشيج الخطى في أطرادها، كأنما خرطت في شهر لاستدارتها. تمر في القرطاس كالبرق اللامح، وتتجري في الصحف كالماء السائح. أحسن من العقبان، في رقاب القيان.

وقيل: المختار من بري القلم أن تطيل السنين وتسمنهما، وتحرف القطة وتيمنها، وتفرق بين السطور، وتجمع بين الحروف منها. ولا نقط مبلولاً حتى يجف لثلا يتشظى.

حدثنا الحسين بن يحيى، قال: انكسر قلم لبعض الكتاب فرثاه بأبيات فقال:

ما عيب طولاً ولم يعب قصراً ... عري من دقة ومن عظم
كان إذا ما تصايقت سبل ال ... لفظ كفاني مخارج الكلم
لا حصر القول عند خطبته ... وليس في قوله بمعهم

وجاء يوماً عبد الله بن المعتز في المسجد الجامع إلى أبي العباس أحمد بن يحيى ليسسلم عليه، فقام له وأجلسه مكانه، فداس ابن

(1/72)

المعتز قلماً فكسره فلما جلس قال ملن حوله:
لكفي وتر عند رجلي لأنها ... أثارت قبلاً ما لأعظمه جبر
فعجب الناس من سرعة بديهته! .

أهدى رجل إلى إبراهيم بن المدبر قلماً وكتب إليه: قد وجهت إليك - أعزك الله - بفاتح العلوم باد
جمالها، تام كمالها، فهيء كما قال الشاعر:
ليس فيها ما يقال له ... كملت لو أن ذا كملا
كل جزء من محاسنها ... كائن من حسن مثلا

حدثنا أبو العباس الريعي، قال: حدثنا الطلحي، قال: حدثنا أبو العباس الريعي، قال: حدثنا
الطلحي، قال: حدثني أحمد بن إبراهيم قال دخل إلى الرشيد أعرابي فأنشده ارجوزة - واسماعيل بن
صبيح يكتب بين يديه كتاباً، وكان أحسن الناس خطأ، وأسرعهم يداً - فقال الرشيد للأعرابي: "
صف هذا" ، فقال: " ما رأيت أطيش من قلمه. ولا أثبت من حلمه ". ثم قال:
رقيق حواشي الحلم حين تنوره ... يديك اهوننا والأمور تطير
له قلماً بؤسى ونعمى كاللاما ... سحابته في الحالتين ذرور
يناجيك عما في ضميرك لحظه ... ويفتح باب النجاح وهو عسير
فقال الرشيد " قد وجب لك يا أعرابي عليه حق هو يقضيك إيه، وحق علينا فيه نحن به. ادفعوا إليه
دية الحر " ، فقال له: " على عبده دية العبد ".
ومن مليح ما في القلم ما أنسدناه محمد بن زياد الزبيدي، لعم بن إبراهيم بن حبيب العدوبي يرثي
قلماً له سرق:

(1/73)

يا عين جودي بواكف سجم ... جودي بدمع مشبع بدم
لا تعطمني عقدة وكيف وقد ... أسيت حرى لفجعة القلم
جودي على الناطق البلبل إذا اس ... تنطق من غير منطق وفهم
لا حصر القول عند خطبته ... وليس في حكمه بعثهم
حلت عرى الحزم منه جانحة ... ضمت بما عربها إلى العجم
أصفر في حمرة كان على ... جلدته بردة كلون دم
إذ أنها والقرطاس لاح له ... مج عليه حنادس الظلم

ما عيب طولاً ولم يعب قصراً ... عوي من دقة ومن عظم
إن قدح العائدون فيه بأن ... صم فأكرم به أخا صمم
كان إذا ما تضيّقت سبل ال ... لفظ كفاني مخارج الكلم
حسبك منه لسان مطلع آل ... ناظر في ظاهر ومكتشم
ينبيك إن جلجل الغبي بما ... أضمر من خبر عالم فهم
فاذهب حميداً كما قد فقدت وما ... فقدت مما مناعت الکرم
حدثني يعقوب بن بيان الكاتب قال: قال بعض الكتاب: "القلم الرديء كالولد العاق".
وقالوا: "القلم أحد اللسانين، والعلم أحد الأبوين، والتشتت أحد العقوبين، والمطل أحد المنعين وقلة
العيال أحد اليسارين، والقناعة أحد الرزقين، والوعيد أحد الضربين، والإصلاح أحد الكسبين،
والرواية أحد الهاججين، والهجر أحد الفرافقين، واليأس أحد التنجحين، والمزاح أحد السبابين".
وقال: "القلم لسان اليد".

(1/74)

وفاخر صاحب سيف صاحب قلم، فقال صاحب القلم: "أنا أقتل بلا غرر، وأنت تقتل على خطرك
". فقال صاحب السيف: "القلم خادم السيف، فإن بلغ مراده وإلا فإلى السيف معاده. أما سمعت
قول أبي تمام:

السيف أصدق أنباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب
وقال آخر: "مساق أمر الدنيا بسین وقف فيقال سق" يزيد السيف والقلم.
حدثني وكيع قال: حدثني جعفر بن كوال قال: سمعت بشر بن الحارث يقول: "لسان الإنسان قلم
ملكه الموكل به ومداده، وقرطاسه جلد، يعلی عليه كتاباً إلى ربه. فلينظر الإنسان قبل فوت النظر
ماذا يعلی".

ذكر ما قيل في القلم من الشعر
قال أبو تمام:
لك القلم الأعلى الذي بشباته ... تصاب من الأمر الكلى والمفاصل

(1/75)

لعاد الأفاعي القاتلات لعابه ... وأري الجنى اشتارته أيد عواسل
له ريقه طل ولكن وقعها ... بآثاره في الشرق والغرب واابل
فصيح إذا استطقطته وهو راكب ... وأعجم إن خاطبته وهو راجل

إذا ما امتنى الخمس اللطاف وأفرغت ... عليه شعاب الفكر وهي حوافل
اطاعته أطراف الرماح وقوضت ... لنجواه تفويض الخيام الجحافل

(1/76)

إذا استغزر الذهن الذكي وأقبلت ... أعلىه في القرطاس وهي سوافل
وقد رفدها الخنصران وسدلت ... ثلات نواحيه الأنامل
رأيت جليلاً شأنه وهو مرهف ... ضئي وسمينا خطبه وهو ناحل
وقال أحمد بن إسماعيل: أحسن قدوة القلم، أن لا يجاوز به الشير بأكثر من خلقته، وأن تبعد منه
الأنامل الثلاث، ويؤخذ من أوسطه لأنها إذا أدنى لم تؤمن أن يماس القرطاس بها فتسوده.
وقد مدح الشاعر بعض الكتاب بنحو من وصفه هذا فقال:
شريف الصناعة محمودها ... تساعده الكف والمقول
يقيم من الخط أشكاله ... ويأخذ أقلامه من عل
وقال غيره يصفه بمقدار الشير:

(1/77)

له ترجمان يطرب اللفظ أخرس ... على حذو شير أو يزيد على الشير
له منخر في غير وجه وبهتدى ... بمر جناحين استعيرا من الفكر
إذا خر يوماً ساجداً عند وحيه ... تضعضع أصحاب المثقفة السمر
يدمر أقواماً وينعش معشاً ... ويصدر آراء الملوك وما يدرى
قال أبو بكر: ولی من قصيدة في بعض الرؤوساء ذكر هذا المعنى:
ينفادى أعداؤه من خطيب ... بيديه يروض عقاً وفكرا
ناحل الجسم ليس يعرف من كا ... ن نعيمأ وليس يعرف ضرا
ناطق في الورى بلفظ سواه ... مذهب اللون قد تطرف جرا
قلم يجلب السواد ويجري ... مع جري المداد نفعاً وضررا
ضامر الكشح مخطف الجيد م ... ذ حذف شابوره وقدر شبرا
ويد ما تزال تنتشر وشياً ... في قراطيشه وتنشر درا
وقال الفضاضي:
في كفه أخرس ذو منطق ... بقافه واللام والميم
شير إذا قيس ولكنه ... في فعله مثل الأقاليم
محرف الرأس ومسوده ... كإبرة الروس من الريم

قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولي: قلت قول عدي بن الرقاع العاملي، في صفة طرف قرن الrossا،
وهو ولد الطبي، وتشبيهه

(1/78)

بالقلم قال عدي:
تزجي أغن كان إبرة روقه ... قلم أصاب من الدواة مدادها
ويروى أن جريأا قال – وكان حاضراً – لعدي وهو ينشد هذه القصيدة، لما أنسد صدر البيت: "
تزجي أغن كان إبرة روقه ". رحمته وقلت هلك فلما قال: " قلم أصاب من الدواة مدادها " حالت
الرحمة حسداً. وأخذ البيت الثاني من هذه الثلاثة أبيات ابن الرومي فقال يهجو ويصف هن امرأة:
يملاً السبعة الأقاليم طرأ ... وهو في إصبعين من إقليم
ولحمدان الدمشقي من أبيات:
أهدت له الحية الرقشاء جلدتها ... لما استعارت لساناً منه مقدوداً
وله في نحو هذا البيت:
الأيم نفثته وشق لسانه ... وله إذا لم تجره اطراقه
فكأنه النضناض إلا أنه ... من حيث يجري سمه ترافقه
وقال غيره من أبيات:
ولأفلامهم زئير مهيب ... يزدري عنده زئير الأسود
أرغبتهم عن القنا قصبات ... مغنيات عن كل جيش مقود
والقراطيس خافقات بأيد ... يهم كمرهوب خافقات البنود

(1/79)

وكتب إلى أبي علي محمد بن علي في أيام ابن الفرات الأولى بقصيدة منها:
مشف على الرأي نظار عاقبه ... إذا تشبه وجه الرأي واجتجبا
في كفه صارم لانت مضاربه ... يسوينا رغباً إن شاء أو رهباً
السيف والرمح حدام له أبداً ... لا يبلغان له جداً ولا لعباً
يرمي فيرضيهما عن كل مجرم ... ويعصيان على ذي النصح إن غضباً
تجري دماء الأعدى بين أسطره ... ولا يحس له صوت إذا ضرباً
فما رأينا مداداً قبل ذاك دماً ... ولا رأينا حساماً قبل ذا قصباً
وقد شككنا فيما ندري لشربته ... أنظم الدر في القرطاس أن كتبنا
وقال آخر في سفر طويل:
وعاشق تحت رواق الدجى ... أغرى به الحيرة فقدان

أعرب عن مكتون إضماره ... أحوى لطيف الكشح خمسان
يتبح غدراً لثري جادها ... من باكر الوسي هنан
يحوك وشياً نقش ديباجه ... بلاغة تسدى وبرهان
وفيه للناظر أujeوية ... يكسو عراة وهو عريان
كأنما الدنيا بأقطارها ... له إذا ما أجبت ميعان
تجري به خمس مطايلا له ... مختلفات القصد أقران
كأنما من ضم تركيبها ... من خالص الفضة قضبان
له لسان مرهف خده ... من ريقه الكرسف ريان
في دقة المعنى إذا أغرت ... القول في التدقير أذهان
كأنما يفتر عنه إذا ... ما افتر للمنطق ثعبان
ترى بسيط الفكر في نظمه ... شخصاً له حد وجثمان

(1/80)

كالخلي إلا أنه أحرف ... بيض المعاين وهي سودان
كأنما يسحب في إثراها ... ذيلاً من الحكمة سجان
لولاه ما قام منار الهدى ... ولا سما بالملك ديوان
وقال أبو يزيد عتاب بن ورقاء:
لک القلم الذي لم يجري إلا ... أبان لك العدو من الولي
إذا استرعته ألقى سواداً ... على القرطاس أبهى من حلي
فيما طوي ملنأدلى إليه ... بإحسان وويل للمسبي
شباء سنانه في الحرب أمضى ... وأنفذ من شباء السمهري
فقال: سلاح مثلك وهو يعزى ... سلاح الفارس البطل الكمي
وأنشدي عون:
وأنسر طاوي الكشح آخرس ناطق ... له ذملان في بطون المهارق
إذا استمطرته الكف جاد سحابه ... بلا صوت إرداد ولا صوت بارق
كان اللاي والزبرجد نظمه ... ونور الأقاحي في بطون الحدائق
كان عليه من دجى الليل حلة ... إذا ما استهلت مزنة للصواعق
إذا ما امتنى غر القوافي رأيتها ... مجللة تمضي أمام السوابق
وأنشدي عون للفضفاضي:
لک القلم الذي لم يجر يوماً ... لغاية منطق فكبا لعي
ومبتسماً من القرطاس يأسو ... ويخرج وهو ذو بال رخي
فما المقدار أمضى من شباء ... ولا الصمصاص سيف المذحجي
قال أبو بكر: ولي من قصيدة، مدحت بها ابن الفرات، في

وزارته الأولى:

في يديه محكم في ذوي اللب ... وما فيه إن تبيّنت لب
 شهد السيف أنه السيف حقاً ... ناقص القدر زائد الحد عصب
 وسيوف العداة انفذ جداً ... حين تعدد بدرة الموت حرب
 من رأى مثل ما وصفت حساماً ... نافذ ضربه وما منه ضرب
 كل يوم له ولم يلق كيداً ... من دماء العصابة ولع وخضب
 قال أبو بكر: ولِي من قصيدة طويلة مدحت بما بعض الرؤساء:
 في يدك الأعلى محلى به ... تواصل الضرب مع الطعن
 إن نبه السيف لأمر له ... جاء إليه مرعد المتن
 ينظر ما يهوى بلا ناظر ... ويسمع السر بلا أذن
 يذري دموع العاشق المبتلى ... يطعن من يهواه في الطعن
 فيضحك الملك بكاء له ... لم يك من غم ولا حزن
 ترى لديه فصحاء الورى ... إذا امتطى القرطاس كاللُّكن
 سيف على الأعداء لكنه ... لم يغتمضه ظلم الجفن
 وأنشدني أحمد بن محمد بن إسحاق:
 ما ضر من أضفى به جرانه ... قلب كثيب القلب حرانه
 لو فرج الكربة عن مدنف ... تشقه لوعة أحزانه
 برقة ينظمها كفه ... نظم لآلية ومرجانه
 برهف الأحساء ذي حلة ... موشية ترفع من شأنه
 لعابه عيش وموت إذا ... جاد به تفليج أسنانه

إذا امتطاه بشبيهاته ... كشف أسراراً بإعلانه
 يركض في ميدان قرطاسه ... ركض جواد وسط ميدانه
 حدثنا أحمد بن أبي الموج البازري قال: أنشدني الحسين بن عبد الله العبدي الهمداني لنفسه:
 حين نادى حاديهما بانطلاق ... وجرى بالفرق طير الفراق
 ورأى العاشقون أن لا معين ... هو أجدى من عبرة واحترق
 ظلت أش��و صبابتي وإنني ... متخل بحيلة العشاق
 ناحل جسمه كأن يد الي ... ن سقته منه بكأس دهاق
 آخرس في لسانه للعطايا ... وأهلايا عتاد ريق مراق

فإذا مجّه أتى بلعاب ال ... ليل حلو الخطاب مر المذاق
وشبّيهاته ثلاث حوطه ... هن منه مفاتح الأرزاق
يُمْطِيْهِنْ ثُمَّ يُرْجِلُ القول ... لفصل الخطاب في الآفاق
فتراه بمصر يحكم ما شا ... و بالصين وهو خلف العراق
وله في صفة القلم أبيات من قصيدة في بعض الرؤساء:
له القلم الأعلى الذي سار عدله ... وتدبره ما بين بر إلى بحر
يشابه حد السيف رقة حده ... وينسب لوناً في المتنففة السمر
ويبلغ ما لم يبلغوا في عدوه ... إذا رد من طي الدواة إلى النشر
تصرفه منه ثلاث أصابع ... وكف براها الله للنفع والضر

(1/83)

إذا ما حوطه وامتطى بطن مهرق ... تسظر نوراً فوق أرض من الدر
إذا أظلم الدهر الخؤون بصره ... أبان له إحسانه وضح الفجر
قال أبو بكر: و كنت أنشدت العباس بن الحسن قصيدة استحسنها الناس، ووصفوا بيّناً فيها عنده
أخذه ذكره: المستبيح سن القرامط راية ... لما استباحوا حرمة الإسلام
أجرى المداد بكيدهم فكأنما ... أجرى دمائهم على الأقلام
حدثني محمد بن أحمد الأنباري، قال: دخل عيسى بن فرخانشاه على جارية وهي تكتب خطأً حسناً
فقال:

سريعة جري الخط تنظم لؤلؤاً ... وينثر دراً لفظها المترشف
وزادت لدنيا حظوة ثم أقبلت ... وفي إصبعيها أسمر اللون مرهف
أصم سماع ساكن متحرك ... ينال جسيمات المدى وهو أعجف
وقال بعض الوراقين يصف قلمه ويدحه ويذكر استغناه:
يا مجرّي من سطوة الأمراء ... وعميدي في نوبة الألواء
والذي صان حر ديباجة الوج ... ه عن الأسفacie والبخلاء
والذى لا أزال أنت فى الشعر وأطريه غاية الإطراء
وسفيرى بما أريد من الأم ... ر إلى إخوتي من الأدباء

(1/84)

والذى لا يزال يخبر فى المهرق عن سالف الأنباء
وإذا ما ابتعثته استن كالثا ... قب يفرى دجنة الظلماء

وقال عبد الله بن المعتز في القاسم بن عبيد الله:
 قلم ما أراه أو فلك يج ... ري بما شاء قاسم ويدور
 راكع ساجد يقلب قرطا ... ساً كما قلب البساط شكور
 وفيه يقول:
 عليم بأعقاب الأمور كأنه ... مخلفات الظن يسمع أو برى
 إذا أخذ القرطاس خلت يمينه ... يفتح نوراً أو ينظم جوهرا
 وقال ابن الرومي فأحسن:
 لعمرك ما السيف سيف الكمي ... بأخوف من قلم الكاتب
 له شاهد إن تأملته ... ظهرت على سره الغائب
 أراه المنية من جانبي ... ه فمن مثله رهبة الراهب
 ألم تر في صدره كالستان ... وفي الردف كالمرهف القاضب
 وقال أبوأسامة الكاتب كاتب عياض:
 وأعجف مشتق الشباة مقلم ... موشي القرى طاوي الحشا أسود الفم
 تبين خفي السر آثاره لنا ... ويعرب عن غير الضمير المكتوم
 يؤدي صحيح القول عنه مخاطباً ... به العين دون السمع لا بالتكلم
 إذا استغزرته الكف فاضت سجاله ... من الفكر فيض الرياح المتغيم
 وقال صالح بن عبد الملك بن صالح يخاطب كاتب أبيه:
 أجويت فوق صدور كتبك دامغاً ... يسكيه ضحك الفكر والأوهام
 ميتاً تشافهه القلوب بعلمها ... ييدي ضمائرها بغير كلام

(1/85)

مستعجمأً فإذا لواحظ ترجمت ... عنه أتي بفصاحة الأعجم
 تجري سناكب بغير حوارف ... فيديرينا ورداً بغير جام
 قال: ودخل محمد بن ذؤيب العماني الراجز على الرشيد، فأنشده أرجوزة يصف فيها فرساً شبه أذنيه
 فيها بقلم محرف:
 كان أذنيه إذا تشوفا ... قادمة أو قلماً محرفاً
 فقال له الرشيد: دع كأن، وقل: " تحال أذنيه إذا تشوفا " حتى يستوي الإعراب.

ما قيل في القلم وبيريه

حدثنا أحمد بن إسماعيل بن الخصيب قال: من كلام مسلم بن الوليد الأنباري، في صفة بري القلم قوله: " حرف قطة قلمك قليلاً ليتعلق المداد به، وأرهف جانبيه ليrid ما استودعته إلى مقصده، وشق في رأسه شقاً غير عاد ليحتبس الاستمداد عليه، ورفع من شعبيته ليجمعوا حواشي تصويره. فإذا فعلت ذلك استمد القلم برشقه بمقدار ما احتملت ظبته فحينئذ يظهر به ما سداد العقل، وأحلمه

اللسان، ويلته اللهوات، ولفظته الشفاه، ووعته الأسماع، وقبته القلوب ".
ويقال: بريت القلم أبريه برياً فأنا بار له والقلم مبرى. وكذلك بريت القدح والمغزل وهو أخذك منهما حتى يتقوما على إرادتك قليلاً قليلاً، لأنك إن لم تفعل ذلك برفق قطعه.

(1/86)

وقال عبد الله بن مصعب:
قد طاما قد بروا بالجود أعظمنا ... بري الصناع قدح النبع بالسفن
وقلما يلبث شيء على البري إذا لم يكن صلباً قوياً في جنسه، فلذلك يستجاد للقلم القصب. ألا ترى
إلى قول كثير:

ولن يلبث الواشون أن يصدعوا العصا ... إذا لم يكن صلباً على البري عودها
ويقال جمجمة ما يسقط من قلم وسهم ومغزل إذ بري البراءة.
وقال أوس بن حجر يصف صانعاً لقوس يبريه بمبراته:
على فخذيه من براءة عودها ... شبيه سفي البهمى إذا ما يفتلا
ويقال لما بين العقدتين من القصب أنبوب، والجمع أنايب.
وكان بعض الكتاب يجيد الخط ولا يجيد بري القلم، فيبرى له. وبعضهم يرى أن في ذلك مهنة يترفع
عنها. وقال بعض الكتاب:

لم تربني قط باريأ قلماً ... في بريه كل مهنة وضعه
ما كل من يحمل الحسام لكي ... يردي به سنه ولا طبعه
وقد عيب بعض الكتاب بأنه لا يجيد بري القلم فقيل فيه:
دخل في الكتابة ليس منها ... فما يدرى دبيراً من قبيل
إذا ما رام للأنبوب برياً ... تنكب عاجزاً فقصد السبيل
فكائن ثم من قطع رحيب ... لأصبعه ومن قلم قتيل
وكان اشتقاد القلم من التقليم، وهو القطع ومنه تقليم حافر الدابة ومنه قلمت ظفري.

(1/87)

وكل شيء تبرى به شيئاً وتقطعه فهو مبراة والجمع مبار، والمبراة السكين الذي يرى به القوس ثم
جعلوا ما يقطع مبراة. قال امرؤ القيس يصف قرن ثور:
فكر إليه بمبراته ... كما خل ظهر اللسان المحر
المحر الفاعل، وأصل الإجرار أن يشق طرف السان لسان الفصيل حتى لا يرضع أمه، وخله جعل فيه
خلاقاً. وذكر امرؤ القيس أن الثور طعن كلب الصيد ففعل به هكذا. وكان الوجه أن يقول: فكر
إليه بمبراته فخله كما خل، فاستغنى عن قوله " فخله " لعلم المخاطب بما يريده.

والبراءة ما سقط من القلم إذا بريته والليطة ما كان من قشر الأنوب والجمع ألياط مثل عنب وأعناب وليط وألياط مثل جمل وأجمال. والشظية ما تشظى من الأنوب والجمع شظايا وشظي القلم يشظى شظاً إذا صارت مع أحد سنيه شظية عنه. وأصل التشظي في اللغة " التفرق والتشقق " وشظي الفرس تفرق عصبه وتشقق. قالوا: شظية وشظايا مثل بلية وبلايا وشظاة مثل نواة ونوى لا يكتب إلا بالألف لأنه يقال ثلات شظايا وشظوات. وحفي القلم يحفى وحفاء وحفاية وكذلك في غيره.

(1/88)

ومن وصف الكتاب

حدثني القاسم بن إسماعيل قال: رأى ابن شبل البرجمي إبراهيم بن العباس وهو يكتب فقال: ينظم المؤلفو المنشور منطقه ... وينظم الدر بالأفلام في الكتب حدثنا الحسن بن علي الكاتب قال: حدثني سليمان بن وهب قال: رأى أبو تمام وأنا أكتب كتاباً فقال: " يا أبا أيوب كلامك ذوب شعري ". وأنشدني محمد بن الفضل بن الأسود: إذا شئت يوماً أن ترى بضم الوجه ... بلا هز طي ولا سل قاضب فحرك عنان الطرف نحو معاشر ... وجوههم في الملتقى كالكتواب يهرون صفر الخطيات كأنها ... أنامل ربات الخدور الكواعب إذا أرعنوها زينت برعافها ... قراطيس تحكي واضحات الترائب وشبيه باليت الثالث قول القصافي يصف جارية كاتبة: أفدي البنان وحسن الخط من علم ... إذا تقمص بالحناء فالكتم كأنما قابل القرطاس من يدها ... شبها ثلاثة أفلام على قلم حدثنا الحسين بن علي البامطاني لسليمان بن وهب قال، وكان قلمه يصر من شدة اعتماده عليه:

(1/89)

إذا ما حددنا وانتضينا قواطعاً ... أصم الذكي السمع منها صريرها
تظل المنايا والعطايا شوارعاً ... تدور بما شئنا وتنضي أمورها
يساقط في القرطاس منها بدائعاً ... كمثل الآلي نظمها ونشرها
يقود أبيات البنان بفطنة ... تكشف عن وجه البلاغة نورها
إذا ما الخطوب الدهم أرخت ستورها ... تجلت بنا عما تسر ستورها
وأنشدنا يعقوب بن بيان:
لک حزم یلقی الخطوب بعزم ... مستفل بكل أمر جليل

ولسان في الحفل غير كليل ... بالغ في جوامع وفضول
ويد لم تزل من العز والسل ... طان بين التوقيع والتقبيل

(1/90)

الجزء الثاني
ما قيل في الدواة

أنشدنا أحمد بن محمد بن إسحاق، قال: أنشدني أبو هفان:
آلة المجلس الظريف إذا ما ... كنت فيه الدواة والأقلام
يتهادى فيه البلاغة والآ ... داب منثورها معًا والنظام
قال أبو بكر: أما المشهور مما قيل فيها فشعر بعض الكتاب، وقد أهدى دواة محلة بذهب، وهي من
الأبنوس:

قد بعشنا إليك أم المنايا ... والعطايا نجية الأحساب
تنزيا بصفرة وكذا الزنج تنزيا عجباً بصفر الشياب
ريقها ريق نحلة مع صاب ... حين يجري لعاجا في الكتاب
في حشاها لغير حرب حراب ... هن أمضى من مرهفات الحراب
وقال غيره:
وما أم أولاد وطا تلدهم ... عقام إذا ما استنجدت لم تكلم

(1/92)

وأولادها خرس ويأتيك عنهم ... أحاديث من أيام طسم وجرحم
إذا استعجلوا في حالة أرقلت بهم ... أثافي من لحم كريم ومن دم
وشكرا بعض الكتاب أن دواهه بلا مداد، فقال لبعض أخوانه يطلب منه مداداً:
أنا أشكوك إليك أن دواي ... وهي عوني في حاجتي وعتادي
عطلت من مدادها واستعاضت ... يقق اللون من حلوك السواد
لم تزل من بنات حام فصارت ... منبني يافت بغیر ولاد
أنت للحوادث عدة صدق ... خلق أن تمدها بمداد
 وأنشدنا علي بن الصباح:
دواة حديد زين الله خلقها ... بکف فتنی حلوا الكتابة حاذق
تدبر العطايا والمنايا حرابها ... إذا طعنت في شاكلات المهاراق

ولأحمد بن إسماعيل في وصف الدواة، إلا أن وصف القلم يتقدمها في أبياته:
في كفة مثل سنان الصعدة ... أرقش بز الأفعوان جلده

(1/93)

يلتهم الجيش اللهم وحده ... كأنه متssh ببرد
لو صادم الطرد المنيف هذه ... أو صافح السيف الحسام قده
يأوي إلى طير له معده ... ينزع فيه صبر بشهدته
ترضعه من مقلة مسوده ... يمدّها جار كثيف العده
كأنه الليل إذا استمده ... مقلتها مكحولة بنده
قوله: " كأنه الليل إذا استمده " ن يشبه قول ابن الرومي يصف حبر أبي حفص الوراق:
كأنه ألوان دهن الخيال ... حبر أبي حفص لعاب الليل
يسيل للإخوان أبي سيل ... بغير ميزان وغير كيل
وعلى ذكر الخبر فإننا نذكر قول بعض الوراقين:
وجلة بحر أجم العباب ... بادي تياره يزخر
تثور إذا جاش من قعرها ... بذورها حمم تفطر
فأكرم ببحر له جلة ... جواهرها حكم تنثر
وقال بعضهم: إنما سمي الخبر حبراً لأنّه تخبر به الأخبار. أنسدبي الحمدوني لنفسه:
ثنتان من أدوات العلم قد ثنتا ... عنان شاوي عما رمت من وهمي
أما الدواة فأودى حملها جسدي ... وقلم المآل مني حرفة القلم
وحبرت في صحف الحرف محبرة ... تذود عنني سوام المآل والنعم
ونحوه، وليس هو، مما قصدناه في كتاب الكتاب، ولكنه

(1/94)

اعتراض فجئت بما أحفظ فيه لغير الحمدوني:
جمعت حروف الحرف في الخبر كلها ولو شقائي ما عرفت المخابرا
وقد زاد في الإخفاق في كل موطن ... لحملي في كمي إليه الدفاترا
وسيطر في أثناء قلبي تعلا ... طلاي ما أن عرفت المساطر
وفي مثله:
لما أخذت حروف الخط حرفني ... عن كل حظ وجاءت حرفة الأدب
أقوت منازل ملي حين أوطنهها ... منحنيا سقط الآداب والكتب
وقال آخر:

أدمي البكا جفني والماقي ... وظلت ذا هم وذا احترق
 ما أن أرى في الأرض والآفاق ... أدنى ولا أشقي من الوراق
 إذا أتى في القمص الأخلاق ... رايته مطزنة العشاير
 يفرح بالأقلام والأوراق ... كفرحة الجندي بالأزرق
 قال أبو بكر: حدثني أحمد بن محمد الأنباري، قال: قيل لوراق: ما تشتئ؟ قال: قلماً مشاقاً،
 وحبراً براقاً، وجلوداً رقاقاً.
 وقال بعض المحدثين في محبرة:
 ولقد غدوت إلى المحدث آنفاً ... فإذا بحضرته ظباء رتع
 وإذا ظباء الأنس يكتب كل ما ... يملأ وتحفظ ما يقال وتسمع
 يتجادلون الخبر من ملمومة ... بيضاء تحملها عائق أربع

(1/95)

من خالص البلور غير لونها ... فكأنها سبع يلوح ويلمع
 إن نكسوها لم تمل ومليكتها ... فيما حوتها عاجلاً لا يطمع
 ومتى أمالوها ارشف رصاصها ... أداء فوها وهي لا تتمناع
 فكأنها قلب رصين سره ... أبداً ويكتم كل ما يستودع
 يمتاحها ماضي الشباء مذلق ... يجري بميدان الطرووس فيسرع
 رجاله رأس عندها لكنه ... تلقاء برغفة ساعة يطلع
 فكأنه والخبر خضب رأسه ... شيخ لوصل خريدة يتصنع
 لم لا ألاحظه بعين جلاله ... وبه إلى الله الصحائف ترفع
 وقد قال بعض الكتاب: حكم الدواة أن تكون متوسطة في قدرها، نصفاً في قدرها، لا باللطيفة جداً
 فتقصر أقلامها، ولا بالكبيرة فيشق حملها. لأن الكاتب - ولو كان وزيراً مائة غلام مرسومون بحمل
 دواته - مضطر في بعض الأوقات إلى حملها ووضعها ورفعها بين يدي رئيسه، حيث لا يحسن أن
 يتولى ذلك منها غيره، ولا يتحملها عنه سواه. وأن يكون عليها من الخلية أخف ما يتھيأ أن يتحلى
 الدوي به من وثاقة ولطف صنعة، ليأمن أن تنكسر أو تنفص منها عروة في مجلس رياضة أو مقام
 محنة. وأن تكون الخلية ساذجة، لا حفر ولا ثبات فتحمل القدى والدنس، ولا نقش عليها ولا صورة
 لأن ذلك من زyi أهل التوضع، لا سيما في آلة يستعان بها مثل هذه الصناعة الجليلة المستولية على
 تدبير المملكة، وإن أحقرت الفضة حتى يكون سعادتها أكثر من بياضها، فإن ذلك أحسن وأبلغ في
 السرو وأشباهه بقدر من لا يتكلّر بالذهب والفضة.

(1/96)

وقد حكى عن المؤمن أنه رأى على أسنان دابة له فضة فنهى عن استعمالها وقال: إنما يتکثر بالذهب والفضة من قلا عنده.
وكذلك قال المنصور للمهدي وقد رأى تخته سرجاً جامه مفضض: أترى الناس لا يعلمون أنك من وراء كل شيء تريده فأنزل هذا اللجام.
حدثنا أحمد بن يزيد المهمي قال حدثني أبو هفان قال سألت ورافقاً عن حاله فقال " عيشي أضيق من محبرة، وجسمي أدق من مسطرة، وجاهي أرق من الزجاج، ووجهي عند الناس سواداً من الحبر، وحظى أحقر من شق القلم، وبدني أضعف من قصبة، وطعامي أمر من العفص، وسوء الحال ألزم لي من الصبغ ". فقلت له: عبرت عن بلاء ببلاء.
وقال آخر:

ترى الرشا والحبيل أنبوية ... يقلب ماء اسوداً من قليب
روض الندى ينبت زهر الليمي ... وهذه تنب زهر القلوب
وسهل وراق عن حاله فقال:
إذا كنت بالليل لا أكتب ... وطول النهار أنا ألعب
فطوراً يبطلني مأكل ... وطوراً يبطلني مشرب
فإن دام هذا على ما أرى ... فيبني أول ما يخرب

(1/97)

ولا يستحسن أن يكثر عدد الأقلام في الدواة، فاحسن ذلك أن تكون أربعة إلى ما دون ذلك. وقد قيل فيه:
لا أحب الدواة تحشى يرعا ... تلك عندي من الدوى معيبة
قلم واحد وجودة خط ... فإذا شئت فاستزد أنبوية
هذه قعدة الشجاع عليها ... سيره دائباً وتلك جنبيه
ويقال: دواة ودوبيات لأدنى العدد وفي الكثير دوى. وقال أحمد بن ثور يصف ناقته:
كان توشي أقرأها ... إذا ما نشحن مخط الدوى
نشحن: عرقن. وجمع الدوى دوى. وأراد بمحظ الدوى مخط أقلام الدوى، فاستجار ذلك لأن المعنى
لا يشتبه كقوله عز وجل: " واسأـل القرية " يريد أهل القرية.
 وأنشد الفراء:

ملـن الدار كـخط بالـدوى ... أـقفر المـعـروف مـنـها وـانـجـحـى
ويقال: حلـيت الدـواـةـ أـحـلـيـهـ تـخلـيـهـ وـحلـيـهـ حـسـنةـ وـجمـعـ الـخـلـيـ الـخـلـيـ مـثـلـ ثـدـيـ وـثـدـيـ. وـقـالـواـ: حلـيت
الـرـجـلـ إـذـاـ أـخـذـتـ عـلـامـاتـ مـنـ جـسـدـهـ، أـحـلـيـهـ تـخلـيـهـ، وـهـذـهـ حلـيـةـ الرـجـلـ وـجمـعـهاـ حلـىـ وـحلـىـ بـضمـ
الـحـاءـ وـكـسـرـهـاـ قـدـ قـرـئـ "ـ مـنـ حـلـيـهـ عـجـلاـ "ـ وـ "ـ مـنـ حـلـيـهـ "ـ. وـدـواـةـ وـدـوىـ مـثـلـ نـوـاـةـ وـنـوـيـ، وـدـواـةـ
وـدـوىـ مـثـلـ فـتـاةـ وـفـتـىـ، وـدـواـةـ وـدـوـيـاتـ مـثـلـ حـصـاءـ وـحـصـيـاتـ، وـيـقـالـ دـواـةـ وـدـوـيـاـ وـهـيـ رـدـيـةـ، قـالـ

الشاعر:

إذا نحن وجهنا إليكم صحيفة ... ألقنا الدوايا بالدموع السواجم

(1/98)

اللقة الدواة

يقال ألقت الدواة أليقها للاقة، إذا أدرت كرسفها حتى تسود، وألقوها بينهم كلاماً أي أداروه بشرعية، ومنه القراءة: "إذ تلقونه بالستكم"، أي تديرونه بسرعة، وقال بعض المفسرين: تلقونه تسرعون منه إلى ما لا تعلمون. وقال ابن الرقيات:

جاءت به عيسى من الشام تلق
أي تسع وقرها يحيى بن يعمر. وحقيقة ألاق الدواة في اللغة إنما هو أدار المداد فيها حتى لصق
وعلق، ومنه قولهم لا يليق هذا بهذا أي لا يلتصق به ولا يعلق.

قال أبو بكر: حدثنا محمد بن القاسم، قال: حدثنا الأصممي قال: قدمت على الرشيد في بعض
قدمياتي فقلت: "ما ألاقني الأرض حتى رأيت أمير المؤمنين"، فلما خرج قال: ما معنى ألاقني قلت:
ما أصلقتني بها ولا قبلتني.

والصواب المختار أن يقول ألقت الدواة فأنا مليق لها وهي ملامة.
وحكى عن ابن دريد: ألقت الدواة ولقت من لاق يليق فهو لائق وذاك مليقة من هذا والمصدر لاق
ليقا ولبيقا. وما لاقت المرأة عند زوجها أي ما لصقت بقلبه. ولاقت الدواة صارت هي نفسها مليقة.
وفلان ما يليق شيئاً أي ما يثبت في يده شيء. وأنشدنا محمد بن الفرج أبو جعفر المعري قال: أنشدنا
محمد بن أحمد الطوالي عن أبي الحسن الكسائي في لاق الدواة ليقاً:
لو يكتب الكتاب عرفك فرغوا ... ليق الدوى وانفذوا الأقراama

(1/99)

الكرسف وما قيل فيه

قال أبو بكر: الكرسف القطن خاصة دون غيره، ثم صاروا يسمون كل شيء وقع موقعه في الدواة
من صوف وخرقة كرسفاً قال طرفة:

وجاءت بصراد كان صقيعه ... خلال البيوت والمنازل كرسف
وكرسفت الدواة جعلت لها كرسفاً والجمع كراسف. قال وهب الهمداني:
سحاب حكي القرطاس لون صبيره ... وعاد به جو العواصف أكلفا
إذا كتبت فيه يد البرق أسطراً ... يلبس وجه الأرض بالثلج كرسفا

ما قيل في المداد

قال بعض الكتاب: ليكن الكرسف في نهاية ما يكون من السواد، ولتكن الليقة التي نهاية اللين والنعمه، والأجود أن تكون مستديرة، فإن كان كذلك أجزأا الكتاب أن يسمها روق القلم، ولا يلحقه كلفة ولا إبطاء في الاستمداد. وإن حفر الموضع الواقع على الليقة من الغطاء وغشي بأرق ما يكون من الفضة، حتى إذا أطبقت الدواة تجاف ذلك الموضع عن الليقة، فلم ينله شيء من سوادها، كان ادعى إلى النظافة والسلامة وأكثر الدرر لا تسلم منها ما لم تكن على ما وصفنا.

(1/100)

ويعنى بتعهد الليقة والكرسف بالملح والكافور، وإن غيرت في كل يومين أو ثلاثة كان آمن لتغيرها وربما أغفل ذلك فاستكرهت الرائحة وظهر من تنفسها ما يتججل له. وكميا ذلك على بعض الكتاب حتى ظن رئيسه أنه أبخر فشكرا ذلك إلى نديم له فقال النديم: ما عرفت ذلك منه، ولكن لعلة أغفل ذلك من أمر دواهه وتفقدتها. فقال الرئيس: عذرها في بخزه أبسط عندي منه في نتن دواهه، لأنه في ذلك مضطر وهو في هذا مختار. ثم نبهه نديمه على ذلك فلم يجر عليه بعد. وقال بعض الشعراء في هذا المعنى يهجو كاتباً:

دخل في الكتابة ليس منها ... له فكر تعد ولا بد فيه

تشاكل أمره خلقاً وخلقأً ... ظاهره لباطنه شبيه

كان دواهه من ريقه فيه ... تلاق فشرها أبداً كريه

وقال أحمد بن إسماعيل حذراً من هذا:

كأنما النafs إذا استمده ... غالبة مذوقة بنته

قال وأنشداً أحمد بن إسماعيل للحسن بن وهب:

مداد مثل خافية الغراب ... وقرطاس كرقراق السراب

وأقلام كمرهفة الحراب ... وألفاظ ك أيام الشباب

وأحمد بن إسماعيل الذي يقول:

إذا ثمنمت بثانك خطأً ... معرباً عن إصابة وسداد

عجب الناس من بياض معان ... يجتئي من سواد ذاك المداد

والداد كل شيء يمد به هذا أصله قال الأخطل:

(1/101)

رأت بارقات بالأكفف كأنها ... مصابيح سرج أوقفت بمداد
يريد بدهن أمدته به كثر الأستعمال لما تمد به الدواة فقلب كل شيء غيره فإذا قيل: مداد، لك
يعرف شيء غيره وقال بعض الكتاب مدح المداد:
من كان يعجبه في صحن عارضه ... مسك يطيب منه الريح والنسمة

فإن مسكي مداد فوق أغلبي ... إذا الأصابع مني مست القلما
وقال آخر:
وما روض الريبع وقد زهاء ... ندى الأسحار يأرج بالغداة
بأعقب أو بأطيب من نسيم ... تؤديه الألاقة من دواة
وقالوا: "المداد خضاب الرجال". وقال آخر:
إنما الزعفران عطر العذاري ... ومداد الدواة عطر الرجال
حدثني يعقوب بن بيان قال: كتب إبراهيم بن العباس يوماً كتاباً فآراد حرف منه، فلم يجد سبيلاً
فمحاه بكمه، فقيل له في ذلك، فقال: الماء فرع والقلم أصل، فهو أحق بالصون منه، وإنما بلغنا
هذه الحال واعتقدنا الأموال بهذا القلم والمداد ثم قال:
إذا ما الفكر أظهر حسن لفظ ... وأداء الضمير إلى العيان
رأيت حلى البناء منورات ... تصاحك بينها صور المعاني

(1/102)

ويقال: مددت الدواة جعلت فيها مداداً وكل شيء زدت فيه فإنك تقول: مددته أcede مداً. قال الله تعالى: "والبحر يمده من بعده سبعة أبخر". وإذا أمرت قلت: مد الدواة بكسر الدال. ومد الدواة تتبع الضمة الضمة وإمداد الدواة. ولا يقال أمددت إلا ما كان على جهة الإعابة كقولك: أمدنته بمال ورجال، ومنه قوله عز وجل: "أي مددكم بآلف من الملائكة مردفين". ومنه: "أمدتناكم بأموال وبين". أي أعناكم وقرباتكم. ويقال مداد ونقس بالسين وكسر النون، والكثير أنقاس.
وقال حميد بن ثور:

ملن الديار بجانب الحمس ... كمخط ذي الحاجات بالنفس
 وأنشدنا محمد بن موسى الرازى لحمد بن مهران:
لا تخزعن من المداد ولطخه ... إن المداد خلوق ثوب الكاتب
وأبهر بذلك إنه لك زينة ... هبة من الله الجود الواهب
لولا المداد ويسرنا بدليله ... ما صح في مال حساب الحاسب
ولما تبينت الأمور لطالب ... ولكن شاهدنا شبيه الغائب

الحبر واشتقاقه

قال أبو بكر: ذكرنا أشعاراً قيلت في الحبر في باب الدواة لاتصالها بها، كاتصال التوريق بالكتابة والوراقين بالكتاب، وبالحبر

(1/103)

تكتب المصاحف والسجلات وما يراد بقاؤه. وإنما سمي الخبر حبراً لتحسينه الخط من قولهم حبرت الشيء تحيراً وحبرته حبراً زينته وحسنته. والاسم الخبر كقولك طحنته طحناً. في الحديث "يخرج من النار رجل حسن الخبر والسرير" وقال ابن أحمر: ليسنا حبره حتى اقتضينا ... بأعمال وآجال قضينا وقيل: الخبر مأخوذ من الحبار وهو أثر الشيء كأنه أثر الكتابة وقال: ولم يقلب أرضها البيطار ... ولا حبلية بها حبار أي أثر. وقال آخر: لقد أشتقت بي أهل فيد وغادرت ... بجسمي حبراً بنت مصان باديا أي أثراً. ويقال محبرة ومحبرة وهما أفعى ما قيل فيها. وحبر

(1/104)

فلان كتابه: حسنه، وكذلك ثمنه ونفقه ورشهقه. قال مرقس: الدار فقر والرسوم كما ... رقش في ظهر الأديم قلم ويقال: رقش كذبه أي حسنه حتى يقبل قال رؤبة: عازل قد أولعت بالترقيش ... إلى سراً فاطري وميسي وسموا طفلياً الغنوبي محبراً لتحسينه شعره. وقيل: سمي بذلك لقوله يصف بربداً: سماوته أعمال برد محبر ... وسائله من أخمى معصب

القرطاس وما يكتب فيه

تسمى العرب ما يكتب فيه القرطاس، وجمعه قراتيس، ومهرقاً وجمعه مهارق، وصحيفة وجمعها صحائف، وسفراً والجميع أسفار، قال الله عز وجل: "يمحل أسفاراً"، وقد نزل القرآن بجميعها إلا المهرق. قال الله تعالى: "تجعلونه قراتيس"، وقال تعالى: "ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس"، وقال تعالى: "إن هذا لفي الصحف الأولى". والعرب تشبه المنزل، إذا خلا ودرجت عليه

(1/105)

الريح وصار أرضاً، بالمهرق. قال الأعشى: سلا دار ليلى هل تبين فتنطق ... وأن ترد القول بيضاء سملق وأن ترد القول دار كأنها ... لطول بلاها والقادم مهرق وشبه أبو نواس الناقة البيضاء بالقرطاس فقال: واحتازها لون جرى في جلدتها ... يقع كقرطاس الوليد هجان

قيل: خص قوطاس الوليد لأنه معه كالرسم لم يكتب فيه بعد، والهجان أيضاً الكرام من الإبل وغيرها
وما أعلم أحداً استوفى في وصف القرطاس إلا جعفر بن حمدان المصري الكاتب فإنه قال:
في يديه من القراطيس كالماء ... نة جادت بوأكف مدرار
كاملاء الرحيب كالبيض بيض الهند كالبيض كالبيض الجواري
السراب الرقراق في عنفوان الصيف نصف النهار في أيار
ما تبالي أجلت عينك فيه ... حين يطوي أم في حضور العذاري

(1/106)

يسبح الخط فيه عفواً فما يك ... بو بوعث فيه ولا بحبار
حدثني أبو تذكون القاسم بن إسماعيل قال: سمعت عمك أحمد بن عبد الله بن العباس، المعروف
بطمامس، يقول - وكان حسن البلاغة: القرطاس أمره ما لم تكحله مل الدواة.
ومن مليح الأخبار التي ذكر فيها القرطاس ما حدثني به أحمد بن محمد الأننصاري، قال حدثنا أبو
العيناء عن الجماز قال: أراد أبو نؤاس أن يكتب إلى إخوانه له، فلم يجد شيئاً يكتب فيه فحلق رأس
غلامه، وكتب عليه ما أراد، وفي آخرها كتب: وإذا قرأتم الخطاب فخرقوا القرطاس قال: فردوه بلا
جلدة رأس. ورأى جرير رجلاً أسود عليه ثياب جد فقال:
كانه لما بدا للناس ... أير حمار لف في قوطاس
وقال أبو نؤاس:

لم يقو عندي على تخريق قوطاسي ... إلا فتي قلبه من صخرة قاسي
إن القراطيس من قلبي بمنزلة ... تكون كالسمع والعينين في الراس
لولا القراطيس مات العاشقون معاً ... هذا بغم وهذا كم بوسواس
فأما الكراريس فواحدتها كراسة، قال الأصممي: كرست الكتب والورق جعلت شيئاً منه إلى شيء
وأكرس الغنم اجتماع

(1/107)

بعرها وبولها في مواضعها حتى يتطرق بعضه إلى بعض، قال العجاج:
يا صاح هل تعرف رسماً مكرساً
قال أبو عبيد: أكرس البير عليه فهو مكرس، ويروى مكرساً كأنه أكرس فهو مكرس وأصله ما
ذكرت لك. وتكراس ورق الشجر تحته وقع بعضه فوق بعض.
ويقال دفتر دفتر. وما سمع شيء في اشتاقه إلا أنه عربي فصيح. قال جندل بن المثنى الطهوري:
هل لا بحجر يا ربتع تبصر ... قد قضي الدين وجف الدفتر
ويروى الدفتر. وأنشدني الحسين بن يحيى:

هل تذكرين إذا الرسائل بیننا ... تأیيك في الشجر الذي لم يغرس
إذ سر نفسي في يديك ومثله ... لك في يدي من الفصيح الأخرس
وقال ابن الأحنف:

صحائف عندي للعتاب طويتها ... ستنشر يوماً والعتاب طويل
عتاب لعمري لا بنان يخذه ... وليس يؤدیه إليك رسول
آخر:

جاء الرسول بقراطاس فهیج لي ... شوقاً وأحیبت منه كل قراطاس
فيه معايبة منها تذکرني ... عهد الوصال كأني غافل ناس
وقال:

أتاني كتاب من مليكي بخطه ... فما أعظم النعيم وما أصغر الشكرا
فظللت تناجي بي بما في صمیره ... أنا مل قد صاغت بأقلامها سحرا
قال وكتب إلى فوز كتاباً أغضبها:

كتبت ولبيه شلت يمينه ... ولم أكتب إليك بما كتبت
كتبت وقد شربت الكأس صرفاً ... فلا كان الشراب ولا شربت

(1/108)

وقال ابن الأحنف أيضاً:
أهدت إلى صحيفة مختومة ... نفسی الفداء خط ذاك الكاتب
ففكتها فقرأت ما قد حبرت ... فإذا مقالة مستزيد عاتب
حدثني أبو عبد الله الأسباطي قال: كان رجل من الكتاب يهودي مغنیة ويکاتبها، فكانت تخرق كتبه
وتأمره بتخريق كتبها، فكتب إليها: إني أحتفظ بكتبك وتنهاونين بكتبي فتخريقنها فكتبت إليها:
يا ذا الذي لام في تخريق قراطاس ... كم مر مثلك في الدنيا على راسي
الحزم تخrique إن كنت ذا نظر ... وإنما الحزم سوء الظن بالناس
إذا أتاك وقد أدى أمانته ... فاجعل كرامته دفناً بأرماس
وشق قراطاس من تھوى وكن حذراً ... يا رب ذي ضيعة من حفظ قراطاس
فكتب إليها: الصواب رأيك وخرق رقاعها.

قط القلم

يقال: قطّطت القلم أقطعه قطاً. والقطّ والقد متقاريان، لأنّ القط أكثر ما يستعمل فيما وقع السيف
في عرضه، والقد لما وقع في طوله. ومنه قولهم: كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه،
إذا علا بسيفه شيئاً قدّه، وإذا اعترضه قطّه. وقد يحمل هذا على هذا. وقال عمرو بن معد يكرب:
فكم قط سيفي من قونس ... غداة التقينا ومن مفرق

ومط حاجبيه ومد معنى. وإنما جاز ذلك في قد وقط ومد ومط لأن خرج الطاء والدال من مكان واحد من أصول الثناء وطرف السان، كما يقال: طين لازب ولازم، لأن خرج الباء والميم من الشفة من مكان واحد.

المقط

هو المقط بكسر الميم فاما المقط فالوضع الذي يقطع من رأس القلم. وأحسن المقاط وأمكنها المربع كهيئه فص النرد زائداً عليه في الطول والعرض ساذج الطرفين، فإذا كان على هذا الشكل رحب مطاه، ووطئ قراه، وكان أملاً لليد، وأمكن للقط. وفيه يقول بعض الكتاب:

الحمد لله شكرأ ... يعلو الورى وأحط

وغادرتني مداها ... منها كأني مقط

لم يبق مني إلا ... صبر جميل فقط

وقال بعض الكتاب:

فإن تكن الخطوب فرين مني ... أديعاً لم يكن قدماً يغط

فإن كرائم الأقلام تحفى ... فيصلح من تشعثها المقط

وقال بعض الكتاب: إذا قططت ولم تسمع لقطتك صوتاً كصوت نبض القسي، ووقة كوقة عصب المشرفي، فأعد فإن قلمك بعده حف. وأكثر ما يقع ذلك والقلم رطب بمداده، وإنما القطة تصلح مع جفافه. وأنشدني بعض أصحابنا لنفسه في المقط من أبيات خاطب بها بعض الكتاب أولها:

يا ذا الكتابة قد بعشت بمعرض ... سوداء قد خرطت من الإظلام

بل ناسبت لون الخطوب وضمنت ... كشفاً لها بخضانة الأقلام
معها مقط قد تخلى بينها ... شبه الصدود بداخلف غرام
يحكى سويداء القلوب إذا رمت ... فيها لواحظ شادن بسهام
أعربت في وصفي له إذ قصرت ... من قبل عنه خواطر الأوهام
وانضاف محراك إليه كأنها ... احذوه قد الصارم الصمصم

المرفع

قال بعض الكتاب: المرفع ضرب من الكبر، وفضيلة في الآلة، وترفه مفرط لا يليق بذوي التقدم في العمل، والصبر عليه، والتجرد له. وما يسرع إليه إلا كل ذي نخوة ورياسة محدثة. وهو أحسن في مجالس الخلوات منه في الجماعات. فاما مجالس الرياسة والجلد في الأعمال فلا موقع له فيها. قال أحمد

بن إسماعيل: قلما رأيت سيداً رئيساً يجعل بين دواته وبين الأرض مرفعاً في مجالس رياسته. وإذا عجز الكاتب عن الاستمداد من الدواة على الأرض، فيغمض رفها إلى يده بهذه الآلة وتقريب متناولها، فهو عما سوى ذلك من تمشية الأعمال وتنفيذ الأمور أعجز. وقد هجي بعض الكتاب بذلك فقيل:

إني بليت بجاهل متغافل ... متتكلف في فعله متصنع
حاز الكتابة حين فضض مرفعاً ... وجرت أنامله بخط مسرع
متتابه في الحفل يغى عزة ... فيدل في مرأى هناك ومسمع
فكلامه دون المدى متواضع ... ودواته للطرف فوق المرفع

(1/111)

حدثني أحمد بن محمد بن إسحاق قال: دخلت أنا وأبو علي بن المربزان على يحيى بن مناوة الكاتب، وبين يديه مرفع قد قارب صدره عليه دواته، فقلت لابن المربزان: أما ترى هذا المرفع؟ فقال: هذا مرفع وصاحب رقيع لا رفيق.

وقيل لبعض الرؤساء - وقد جعل دواته على مرفع: ما كل الأجلاء تفعل هذا. فقال: من جلس على فرش تعليه قليلاً بعثت عليه مسافة الاستمداد، فأما من كان على حصير أو سماط فلا عذر له فيه. وقد وصف بعضهم مرفعاً مفضضاً واحتاج له فقال:

قرب البعد مركب للدواة ... ملجم من حليه بلجام
فضة تستضيء في أبنوس ... مثل ضوء الإصباح في الإظلام
كخوان الطعام سهل للأك ... قال: منه ما كان صعب المرام

محراك الدواة

كذا تسمية الكتاب. وللعيдан التي تحرك بها العرب الأشياء أسماء: فالعود الذي تحرك به النار مسغر ومسعار، ومحرك ومحراث، ومنه قيل: "مسعر حرب" أي يسعنها بوقدها.

ويقال لما يجده به الأشربة مجده ومجد مخاض، ويقال له أيضاً مخوض.

ويقال أيضاً للميل الذي يحرك به الجراحات محراك، ومحراف، ومسبار أي يسبر به قدر الجراحة أي تخبر به، وربما سموا

(1/112)

المبضع بذلك. وقد روى القطامي يصف جراحة:
إذا الطبيب بمحراكيه حوطا ... زادت على النقر أو تحريكها ضخماً
ويروى بمحرافيته. وقد ذكر المحراك بعض الشعراء من الكتاب فقال:
بدر من الديوان لم يحترم ... ضياءه بالنقض أفالكه

صير جسمي قلماً هجره ... يردي دم العشاق سفاكه
وقلب الهرج هواه كما ... يقلب الكرسف محراكه

الكتب في اللغة

قولهم: كتبت الشيء، يريدون ضممت بعضه إلى بعض. ويقال: كتبت الشيء كتاباً وكتابة. ويقال: أكتب بغلتك أي ضم حيالها بحلقة حتى لا يطأها الفزارى لأن فزارة تعبر بذلك. قال الفرزدق في النافقة:

لا تأمنن فزارياً خلوت به ... على قلوصك واكتبها بأسيار

وقيل: المعنى قارب بين شدها حتى لا يسرقها الفزارى، وهذا أشبه، لأن الفرزدق أيضاً يهجو ابن هبيرة الفزارى بسرقة فزارة قال يخاطب هشاماً:

أطعمنت العراق ورافديه ... فزارياً أحد يد القميص

يقول: قد رق فقط فكمه خفيف قصير.

وقيل: كتبية الجيش لاجتماعها، وكتبت تجمعت. والكتب الخرز الواحدة كتبة بضم خرزة إلى خرزة، وقال ذو الرمة

(1/113)

يصف المزاددة التي يستنقى فيها الماء:

وفراء غرفية أنثى خوارزها ... متشلشل ضيعته بينها الكتب

يريد أن هذه الخرز لما اتسعت ضياع الماء، وفراء واسعة، وغرفية دبغت بالغرف وهو شجر، والخوارز

نساء، وأنثى أفسد والثاني الفساد، والمتشلشل الذي يتصل قطره وهو مروف على شيء تقدم في

البيت الأول وكاتب والجمع كتاب وكتبة وكتابون. والموضع الذي يتعلم فيه الكتاب كتاب ومكتب.

ويقال أيضاً أكتب فهو مكتب. واكتبت الرجل ما أراد أكتبه اكتاباً جمعته له وأمليته عليه. ويقال

زبرت الكتاب إذا كتبته أزبره زبراً. وقال رجل من حمير: أنا أعرف بزبرني أي كتابي. وسميت الكتبية

لاجتماعها، وتكتب القوم تجمعوا. وقال عبيد بن الأبرص:

أنباءت أنبني جذيلة أوعوا ... سفراء من سلم لنا وتكلبوا

أي تجمعوا.

وقال التوجي: الموضع الذي يعلم فيه الكتاب مكتب ومكتب مثل مطلع ومطلع، وكاتبت الرجل إذا

خبرته الخط مكتبة وكتباً مثل نادمه منادمة ونداماً. وكتبت فكتبته مثل غالبه فغلبته وخابرته خابرة

وخياراً فخرته. وقال المازني:

(1/114)

يقال أكتب الرجل إذا صار كاتباً حاذقاً.

قيل: أجاد إذا صار له فرس جواد. وألبن إذا صار ذا لبن. وأتيت فلاتاً فأكتتبه وأحسبته إذا وجدته كاتباً حاسباً. كما تقول أنيته فالمخلة أي وجدته بخيلاً. وأتيت بلد كلها فأمطرته أي وجدته مطيراً.

وقال الحرمزي: سمعت أعرابياً يقول: ظلمني هؤلاء الكتب مثل صائم وصوم وقائل وقول. ومثله في المعتل غاز وغزى، قال العجاج:

حتى إذا ما حان قطب الصوم

وزبرت الكتاب كتبته وزبرته قرأته. ووحيت الكتاب أحيه وحيأ كتبته، وكتاب موحى ومكتوب بمعنى، فوحيت كتبت، وأوحيت أعلمت وأشارت، وقد قيل في هذا وحيت وأوحيت، فاما في الكتاب فوحيت قال الشاعر:

ما هيج الشوق من الأطلال ... أصبحت قفاراً لوحى الواحى
وإذا أردت أن تكتب من هذا قلت يا واحي حه، أثبت الهاه إذ كانت العرب لا تتكلم بحرف واحد.
ويَا واحيان حيا ويَا واحون حوا. وإذا أمرت من أوحيت قلت يا موحى ويَا موحيان أوحيا ويَا موحون
أوحاوا.

السكين

قال بعض الكتاب: السكين مسن الأقلام يسنها إذا كلت، ويلصقها إذا بت، ويطلقها إذا وقفت، ويليمها إذا تشعشت. وأحسنها ما عرض صدره، وأرهف خصره، ولم يفضل عن القبضة نصابه. والسكين تذكر ورما تؤثر قال أبو ذؤيب.

(1/115)

يرى ناصحاً فيما بدا فإذا خلا ... فذلك سكين على الخلق حاذق
أي قاطع. ومنه حدق الصبي قطع عنه التعليم. وفي تأنيتها، يقول بعض بنى ثعلب:
فانحى للسانم غداة قر ... بسکین موثقة النصاب
وفيها يقول أحمد بن إسماعيل:

إني إذا ماضي البراع بلدا ... وحار في ميدانه وعمردا
لمصلح من حده ما أفسدا ... بمديمة كريمة من المدى
كادت تفل الصارم المهندأ ... تهدى إلى الأقلام حيناً وردي
كأنما يوقع منها بعدي ... وهي بما تفعل تولينا يدا
لأنها تقيم منها الأودا ... حين ترى الآكل منها مبردا
يفوف القرطاس تفوف الردى ... بلحمة من البيان وسدى
وقال بعض الأحداث من الكتاب:
يا منتهي الفضل حليف الندى ... وابن البهاليل الأكارم
جد لي بسکینك ذاك الذي ... لام لام ألف قاف لام ألف ميم

قال أبو بكر : والسكين يذكر ويؤنث والغالب عليه التذكرة . ونصاصها أصلها ونصاب كل شيء أصله . وأنصبت السكين جعلت له نصابة . وأقربته جعلت له قرابةً وهو الغلاف . وغلفته جعلت له غلافاً . وسكين مقارب ومقربة ملن أنت . ومغلف ملن ذكر ومغلفة . وجمع نصاب نصب . وجمع غلاف غلف ، وجمع قراب قرب . وأنشدنا أحمد بن يحيى ثعلب لأبي محكان :

(1/116)

يا ربة القوم قومي غير صاغرة ... ضمي إليك ثياب القوم والقريبا
قال: إنما خص القرب وهي الغلف يريد السيف يقول: "خذني سيفهم، واعلمهم أئمهم في دار عز
وأمان وطمأنينة لا يخافون" ، لأن العرب إذا نزلت منزلة لم تضع سلاحها حتى تأمن .
وأشعرت السكين جعلت لها شعيرة، وهي الحاجز بين آخر الحديدية وأول النصاب . وسيلان الحديدية
مركب فيها . واقبضت السكين جعلت له مقبضاً . وسکین مقبض . وقد حكي قربت السكين والسيف
 فهو مقروب أيضاً . وأنشدوا:

إن يسألوا الحق يعط الحق سائله ... والدرع مطوية والسيف مقروب
ويقال هذا حد السكين وشفerteه وظبته وغرره وذبابه . فظبته طرفه والجميع ظبات . وشفرتة حدده
من أوله إلى آخره . وغرره وشفرتة واحد . وذباب كل شيء حدده . وأكثر ما يوصف به السيف من
الحد يجوز في السكين وأحددت السكين أحده إحداداً وحد السكين نفسه صار حاداً وأحد فهو حمد
إذا أمرت قلت أحد سكينك وسکین حديد أي قاطع قال حسان:
بكل صقيل له ميعة ... حديد الغرار حسام خدم
وكل السكين يكل كلاً وكلولاً وكلة . وكذلك البصر . وصدأ يصدأ صدأ إذا توسع . وكذلك طبع
يطبع طبعاً .

(1/117)

الإنشاء

أنشا الكاتب الكتاب ابتدأ عمله على غير مثال يحتذيه قال الله تعالى: "قل يحييها الذي أنشأها أول
مرة" . وتقول العرب: أنشا يفعل كذا، وأنشا يقول كذا إذا ابتدأ . وأنشا الله الخلق . ينشئهم إنشاءاً
إذا ابتدأ خلقهم . وأنشأت أنا الشيء أنشئه إنشاء . وقال عز وجل: " وأن عليه النشأة الأخرى" .
إذا أمرت قلت: أنشئ الكتاب، بإثبات الياء في الكلام والخط لأن هذه الياء هي همة فذهبت
للأمر منها الحركة .

حدثنا أحمد بن إسماعيل قال: كان بعض النساخ قد صار منشأ لبلاغة ظهرت منه، فقال فيه المنشي
الذي كان ينسخ رسائله:
أيتها المنشي الذي ... كان بالأمس ناسخاً

نحو تلك الرسائل ال ... متغيرات المشائخ
ترك الناسخ المم ... ثل في العلم راسخاً
رغم أنف اصاره ... لذوي العلم شامخاً

السطور

أصل السطر في اللغة الآخر المستطيل على استواء وجمعه أسطار وأسطر وسطار وسطور. وكل مقدم على استواء غير خارج شيء منه عن نظيره يناء ويسرة فهو مسطر من سطر يسطر تسطيراً. وقال المسيب بن علس:

(1/118)

جرى للسيوط بحizzومها ... ندوياً وللدف منها سطارا
والكاتب مسطر وساطر. ويقال للذى يصلح بها الورق سطوره في دفاتره حتى لا تعوج سطوره "مسطرة" ، وقد سطر إذا كتب خاصة إذا لم يذكر شيئاً، علم أنه للكتابة لكثرة الاستعمال وقد يقال:
سطر خله إذا غرسه على استواء. قال رؤبة:
إن وآيات سطرن سطرا.
وقال الله جلت عظمته: " والطور وكتاب

(1/119)

مسطور ". أي مكتب قد سطر وتقول: كل شيء عمله مستطر عندي أي مكتب. وقال الله عز وجل: " وكل صغير وكبير مستطر ". وقالوا: أسطور وأساطير، وقالوا: سطر وسطر مثل سقف وسقف. وأنشدنا ثعلب للشماخ:

أتعرف رسماً دارساً قد تغيرا ... بذروة أقوى بعد ليلي وأف克拉
حكي خط عربانية يبمينه ... بيتماء حير ثم عرض أسطرا
عرض أخفى سطورة كما تقول عرض بكذا إذا لم يصرح به وإن لم يكن كذا فسد معنى الشعر.

المقابلة بالكتاب ونسخه

يقال: قابلت الكتاب بالكتاب أقبابه مقابلة وقبلاً، المعنى جعلت ما في واحد من الكتابين مثل "ما في الآخر مشبهاً له من جهة ما كتب فيه، لا من كل جهة، لأن القدود مختلف وكذلك الألوان الذي يكتب فيه. وتقابل الموضعان إذا كان أحدهما حيال الآخر وقبالته، وكأنه في الحقيقة أقبل كل واحد منها على صاحبه وشاحبه في التقابل. وأقبلت الميرم الجرح الصقتة به قال ابن أحمر:

(1/120)

شربت الشكاعي والتددت أللدة ... وأقبلت أفواه العروق المكاويا
يريد: جعلت المكاوي حيال العروق مقابلة لها ملصقة بها فقال الأعشى:
وأقبلها الشمس في دتها ... وصلى على دتها وارتسم
ويروى: قال الأصمسي: أصلها استقبل بها. وتقول العرب أقبل نعلك أي اجعل لها قبلاً
وهو الشراك لأنه يقابل العجل قال أبو نواس:
ما على وجه به قا ... بلتني اليوم مهابه
وعارضت الكتاب بالكتاب إنما هو عرضت ذا على ذا وذا على هذا حتى استويا. وعارضت داري
ببساته سويت بينهما في القيمة وأخذت هذا بهذا. وعارضته في قوله: أتيت بمثل ما قال.

(1/121)

والنسخ على معندين أحدهما أن تنسخ الشيء لما تقدمه، فنذهب به فيحل مكانه ومنه قول الله عز
وجل: " ما ننسخ من آية أو ننسها ثأت بخير منها أو مثلها ". وفي كل الآيات خير، والمعنى ثأت بخير
منها لكم وأخف عليكم. ومنه قوله: نسخت الشمس الظل حلث مكانه. والمعنى الآخر أن ينسخ
الشيء الشيء فيجيء بمثله غير مخالف له يقول: نسخت كتابك لم أغادر منه حرفاً، وفي القرآن: "
إنا نستنسخ ما كنتم تعملون ". ويروى أن أو من عمل الكتب نسخاً زياد.

الخطأ في الكتاب

تقول أخطاء في الكتاب تخطئ خطأً وخطأً وخطاءً. وقرأ أبو حعفر: " إنه كان خطأً كبيراً "،
مفتوحة الطاء والخاء غير ممدودة. وقرأ أكثر القراء " إنه كان خطأً "، من خطيء يخطأ خطاء، مثل
أثم يأثم أثماً، وأخطاء خطأً مفتوحة الخاء والطاء ممدودة.
والخطأ في اللغة ضد الصواب، وتقول: لا تخطئ يا هذا - إذا أمرته - بالهمز ساكتة وإنما أسقطت
للجزم حركة المهمزة كما تقول: إقرأ يا هذا. فإذا أمرت الإنسان أن يقرئ الضيف قلت له: أقر
ضيفك فحذف لأنه غير مهموز من قراه يقرئه قرئ يا هذا. وتقول وهمت في الكتاب أوهم وهماً إذا
سهوت فيه فكتبت شيئاً مكان شيء. وأوهمت فيه أسقطت منه شيئاً فلم تكتبه. قال أبو عبيدة
يصف إنساناً بالبلاد: ما فهم ولو فهم لوهـمـ.

(1/122)

المشق في الكتاب

يقال: مشق في الكتاب يمشق مشقاً، إذا أسرع الكتابة، والمشق في اللغة تأثير الشيء بسرعة قال ذو الرمة:

فَكَرِيمِشَقْ طَعْنَاهُ فِي جَوَانِهَا ... كَأَنَّهُ الْأَجْرُ فِي الْإِقْبَالِ يَحْتَسِبُ
وَكَثُرَ ذَلِكُ فِي كَلَامِهِمْ حَتَّى صَارَ كُلُّ مُسْتَلِبٍ شَيْئاً قَدْ مُشَقَّهُ قَالَ الْأَخْطَلُ:
وَالْخَيْلُ نُشِقَ عَنْهُمْ أَسْلَابِهِمْ ... فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ وَكُلِّ مَغَارٍ
وَتَقُولُ: تَرَكَ ثُوبَهُ مُشَقَّاً وَمَزِقاً إِذَا خَرَقَهُ، وَتَقُولُ: مُشَقَّتِ الْأَبَلُ الْكَلَاءُ إِذَا أَكَلَتْ مِنْهُ بِسْرَعَةٍ.

الزلف

يقال: زلف في قرابة يزلف فيها زلفاً إذا تجاوز من شيء إلى شيء. وهو في حق اللغة القرب مما تريده كأنه يقرب بذلك من القراء ما يريد قال العجاج: طي الليالي زلفاً فرلفاً ... سماوة الهملا حتي احقوقها زلفاً فرلفاً بعد قرب، حتى عاد الهملا محققها، وقال الله عز وجل: " وزلفاً من الليل " جمع زلفة، مثل غرفة وغرف

(1/123)

والزلفة القرية كأنه يريد وقتاً بعد وقت من الليل يقرب هذا من هذا. وقال أبو عمرو الشيباني: المزالف ما قرب من المنازل من الأنصار مثل القادسية من الكوفة، والمحدثة من البصرة وله عندنا زلفة أي قربة قال عز وجل: " وإن له عندنا لزلفي ". قال المفسرون: قربة. وقال تعالى: " وأزلفنا ثم الآخرين " .

فض الكتاب

يقال: فضكت الكتاب أفضه فضاً إذا نحيت عنه طينه وسحاته. وأصل الفض في اللغة التفرقة، كأنه فرق بين الكتاب وبين طينه وسحاته.

وقال تعالى: " هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ". قال المفسرون: كلهم حتى تفرقوا.

وحضرتني نادرة عند ذكر " حتى ينفضوا " ليست من الكتاب، حدثني يحيى بن المدرع قال: كان بالشام معلم رقيق طينه مشهور بشتم الصبيان، فقال: أقعدوا حتى تسمعوا، فإن كنت معذوراً ولا فلوموا، قال: فقعدنا قرأ عليه صبي منهم: هم الذين يقولون لا تنفقوا إلا من عند رسول الله. فقال: كذبت يا ماص سلحه، أتلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة لا تجب عليه، وهو لا يملك مالاً؟ قال: فضحك. ثم قرأ آخر: عليهها ملائكة غلاظ شداد يعصون الله ما أمرهم ولا يفعلون ما يؤمرون. فقال: يا ابن الفاعلة هؤلاء أكراد شهاد زور ليسوا ملائكة. قال: فضحك وضحكنا

وقلنا ما نلومك بعد هذا. ومن الأول: لا يفصح الله فاك، أي لا يفرق الله ثناياك وأراد بالفم الأنسان. وانفصال القوم تفرقوا.

(1/124)

ويقال: فضضت ختم البكر افتضضتها قال الفرزدق.
فبن بجانبي مصرعات ... وبت أفض أغلاق الختم

السحابة

تقول: سحوات الكتاب اسحوه سحواً وسحيته أسماء سحاجاً. والواو أكثر، وسحيت بالتشديد
اسحاجي تسحاجية ومعنى سحيت قشرت. وسحاجة القرطاس والجمع سحاج ممدود. وحكي بعض أهل
اللغة أنه يقال: سحاجة وسحاجية ويقال: سحوات اللحم عن العظم إذا قشرته. وقال الأصمسي:
السحاجية من المطر التي تنشر وجه الأرض.
وقال أعشى همدان:

جرت به ذيلها غراء سحاجية ... في يوم نحس من الجوزاء من خرق
والمسحاجة مشتقة من ذلك لأنها تسحون وجه الأرض. وإذا قال: سحيت الكتاب فإنما يريد جعلت
عليه سحاجة مثل عظمة سحاجية. وما أحسن سحيتك للكتاب! أي أخذك سحاجيه.
إذا أمرت من سحوات قلت: اسح يا هذا ومن سحاج سح يا رجل ومن سحيت سح وكتاب مسح
ومسحوا. وإذا أخلق الكتاب فصار كالسحاجايا قيل: قد أسمح الكتاب فهو مسح. وكذلك إذا كان
أخذ السحاجية منه سهلاً. وإذا وضع السحاجية على الكتاب فقد سحيته وسحواته. وخرماته خرماً
وكتاب مخزوم. والسحاجية من هذا خزامة وجمعها خزائم والخزم الشد في كل شيء.

(1/125)

ترب الكتاب وتطيبينه

يقال: تربت الكتاب تربيناً، ولا تقل: أتربيت، فإذا أمرت قلت: ترب كتابك، ولا تقل أتربي، اللهم
إلا أن تقول: إن كتابه كثير التراب، فتقول: أتربي بكتابك كما تقول: برد بطعمك، فإذا تعجبت
من بردك قلت: أبرد طعامك.

وقد جاء في التراب لغات قالوا: تيرب وتوراب وقال اللحاجي: تورب أيضاً وتراب وترب وأتربيه وتربيان
وتربيان ويقال هذه ترباء طيبة وتربيه وترب.

ويقال طينت الكتاب أطينه تطينناً، إذا جعلت عليه طين الخاتم. وتقول: طنت الكتاب أطينه طيناً،
مثل زنته أزنه زيناً، ولا يقال: أطنت. فإذا أمرت قلت: طين كتابك وإن شئت قلت: طن كتابك من
طن أطين وما أحسن طينتك للكتاب! من هذا وكتاب مطين مثل قوله: زت العجين فهو مزيت إذا

ألقيت فيه زيتاً قال الشاعر:

ولم يقلوا نحو العراق ببره ... ولا حنطة الشام المزيت خميرها

الخو في الكتاب

يقال: محوت الكتاب أمحوه محواً باللواو، فإذا أمرت من هذا قلت: أمح. ومحكي محيت أمحى محيًا. ومن أمثالهم " ما أنت إلا محيًا وكتباً ". فإذا أمرت من هذا قلت: امح واللواو أفعص وبما نزل القرآن: " يمحو الله ما يشاء ويثبت ". والخو في اللغة تعفيه الأثر حتى لا يرى.

حدثنا محمد بن الحسن البلعي، قال: حدثنا أبو حاتم قال: قيل للأصمسي: لم سمت العرب الشمال محوة؟ قال: لأنها تمحو السحاب

(1/126)

ولا يرى شخصه. واستدعي أبو نؤاس أن يكتب له الخو في كتابه فقال:

أكثرى الخو في الكتاب ومحى ... ه بريق اللسان لا بالبنان
وأمري كلما مررت يسطر ... فيه محو لطعنه بلسانين
فأرى ذاك قبلة من بعيد ... أسعدتني وما بربحت مكانى
وقال أبو نؤاس:

يا ذا الذي قبلته فمحاه ... أخشيت أن تقرأ حروف هجاه
ظي يرى التقبيل فيه مؤثرا ... فتراء منه كيف يمسح فاه
ويظنه لكتابه في لوحه ... يبقى بقاء دائمًا فمحاه

عرض الكتاب

يقال: عرضت الكتاب أعرضه عرضًا، إذا أمرته على طرفك بعد فراغك منه، لئلا يقع خطأ، وكذلك عرضت الجند. ولا تقل

(1/127)

أعرضت الجند لأن الإعراض انصرافك بوجهك عن الشيء، وحقه في اللغة أنك وليته عرض وجهك
قال عمرو بن كلثوم:

وأعرضت اليمامة واشترت ... كأسياf بأيدي مصلتيها
ويقول: صرنا إلى موضع رأينا منه عرضها أي جانبها فكأنها هي أريناه. وقد عرضت ما قلت على
قلبي. وهذا خلاف العرض على العين، إنما يريد أفكرت فيما قلت. وعرض الرجل على ماله فهو
عارض وعرض على فلان فهو معروض عليه.

وقال ابن الأحνف:

كأن خروجي من عندكم قدرأ ... وحادثأ من حوادث الزمن
من قبل أن أعرض الفراق على ... صبـي وأن أستعد للحزن
أنشد هذين الـبيتين محمد بن يزيد المبرد وقال: عمك إبراهيم بن العباس أحزم رأيـاً من خاله العباس بن
الأـحنـف حين قال:

وناجـت نـفـسي بالـفـرـاق أـرـوضـها ... فـقـالتـ: روـيدـاً لاـ أـعـزـكـ منـ صـبـيـ
فـقـلتـ لهاـ: فالـبـلـيـنـ والمـجـرـ رـاحـتـ ... فـقـالتـ: أـمـنـيـ بالـفـرـاقـ وبـالـجـرـ
فـقـلتـ لهـ: إـنـهـ أـخـذـهـماـ أـيـضـاـ ابنـ الأـحنـفـ:

عرضـتـ عـلـىـ قـلـبـيـ السـلـوـ فـقـالـ ليـ: ... مـنـ الـآنـ فـتـشـ لـاـعـزـكـ منـ صـبـرـ
إـذـاـ صـدـ مـنـ أـهـوـيـ رـجـوتـ وـصـالـهـ ... وـفـرـقـتـهـ جـمـرـ أـحـرـ مـنـ الجـمـرـ
وـأـمـاـ قـوـلـهـ عـزـ وـجـلـ: " وـعـرـضـنـاـ جـهـنـمـ يـوـمـنـ لـلـكـافـرـ عـرـضاـًـ ،ـ فـإـنـهـ يـقـولـ عـزـ وـجـلـ: أـظـهـرـنـاـهـاـ لـهـ
وـأـبـرـزـنـاـهـاـ ،ـ هـكـذـاـ قـالـ الـمـفـسـرـونـ .ـ وـعـرـضـتـ الـمـتـاعـ عـلـىـ الـمـشـتـريـ أـبـرـزـتـهـ لـهـ .ـ وـعـرـضـتـ الـحـوـضـ عـلـىـ

(1/128)

الـنـافـةـ إـذـاـ اـمـتـحـنـتـ عـطـشـهـاـ .ـ وـقـدـ قـلـبـواـ فـقـالـواـ: عـرـضـتـ الـنـافـةـ عـلـىـ الـحـوـضـ كـمـاـ قـالـواـ:
كـانـ عـقـوبـةـ مـاـ فـعـلـتـ كـمـاـ ...ـ كـانـ الرـنـاءـ عـقـوبـةـ الرـجـمـ
فـأـمـاـ مـعـارـضـةـ الـكـتـابـ فـعـرـضـ وـاحـدـ عـلـىـ الـآـخـرـ حـتـىـ يـسـتـوـيـاـ.

الـلـحـنـ فـيـ الـكـتـابـ

قالـ: حـدـثـنـاـ أـبـوـ بـكـرـ قـالـ: حـدـثـنـاـ الـمـغـيـرـةـ بـنـ مـحـمـدـ الـمـهـلـيـ قـالـ: حـدـثـنـاـ مـحـمـدـ بـنـ عـبـادـ عـنـ أـبـيهـ، قـالـ:
لـحـنـ أـيـوـبـ فـيـ حـرـفـ فـقـالـ أـسـتـغـفـرـ اللـهـ.

وـكـتـبـ عـمـرـ بـنـ الـخـطـابـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ إـلـىـ أـيـ مـوـسـىـ الـأـشـعـرـيـ وـقـدـ قـرـأـ فـيـ كـتـابـهـ لـهـ: قـنـعـ كـاتـبـكـ
سوـطاـ.

حـدـثـنـاـ أـحـمـدـ بـنـ يـحـيـيـ ثـلـعـبـ، قـالـ: كـانـ اـبـنـ قـادـمـ مـعـ إـسـحـاقـ بـنـ إـبـرـاهـيمـ الـمـصـبـيـ فـكـتـبـ كـاتـبـهـ مـيـمـونـ
بـنـ إـبـرـاهـيمـ إـلـىـ الـمـأ~مـونـ كـتـابـاـ فـيـهـ: " وـهـذـاـ اـمـالـ مـالـاـ يـجـبـ عـلـىـ فـلـانـ "ـ ،ـ فـخـطـ الـمـأ~مـونـ عـلـىـ "ـ مـالـاـ"ـ
وـوـقـعـ بـخـطـهـ فـيـ حـاشـيـةـ الـكـتـابـ: أـنـكـاتـبـيـ بـلـحـنـ يـاـ إـسـحـاقـ؟ـ!ـ فـاشـتـدـ ذـلـكـ عـلـيـهـ.

قـالـ: فـحـدـثـنـيـ اـبـنـ قـادـمـ، قـالـ: أـتـأـيـ مـيـمـونـ فـقـالـ: اللـهـ اللـهـ فـيـ اـحـتـلـ لـيـ.ـ فـحـضـرـتـ فـسـأـلـنـيـ إـسـحـاقـ عـنـ
الـحـرـفـ فـقـلتـ: الـوـجـهـ وـهـذـاـ اـمـالـ مـالـ ،ـ وـمـالـاـ يـجـوـزـ عـلـىـ تـأـوـلـ ،ـ لـأـخـلـصـ الـكـاتـبـ.ـ فـقـالـ إـسـحـاقـ لـكـاتـبـهـ:
قـدـ عـفـوـتـ عـنـكـ فـدـعـنـيـ مـنـ يـجـوـزـ وـالـزـمـ صـحـيـحـ الـإـعـرـابـ.ـ قـالـ: ثـمـ أـكـبـ مـيـمـونـ عـلـيـ يـقـرـأـ النـحـوـ حـتـىـ
فـهـمـ مـنـهـ

(1/129)

شيئاً كثيراً.

حدثني أبو عبد الرحمن الألوسي العباس بن عبد الرحيم قال: سمعت عبد الله بن قبيطة يقول كتب إلى رجل من سر منرأى: قد قرأت كتابك المترجم بكتاب الكتاب وقد أعتبرت عليك قوله حرفًا. فكتب إليه: وصل كتابك وفهمته وقد عجبت عليك قوله وأعتبرت عليك والسلام.

قال أبو بكر: هذا شيء يتسع فيكثير فجئت منه بطرف لأنه وحده يكون كتاباً كثيراً لو ذكرته. وقالوا: "الحن في الكتاب، أقبح منه في الخطاب".

وأكثر العلماء يلحن في كلامه لثلا يناسب إلى الشغل والبغض، فأما في الكتاب وإنجاد الشعر فإن ذلك قبيح غير جائز.

يقال: حن يلحن لحنناً فهو لاحن إذا أمال الصواب عن جهة إلى جهة أخرى. وأما قوله عز وجل: "ولتعرفهم في لحن القول"، فإن الكلبي يقول في لحن في مداره. قال: وحقيقة في اللغة إمالة الشيء من جهة، إما خطأ أو عدم، ليؤري عن إرادته. قال القتال الكلبي:

ولقد لحت لكم لكيما تفهموا ... ووحيت وحيًا ليس بالمرتاب

وحكمي الجاحظ في كتاب البيان والتبيين أنه يستحسن من الحاربة اللحن وتكره الفصاحة. قال ولذلك قال مالك بن أسماء الفزارى:

(1/130)

منطق رائع وتلحن أحيا ... ناً وأحلى الحديث ما كان لحننا

فذهب بهذا إلى لحن الخطأ، وهو قبيح من مثله وخطأً فاحش عليه أن يتأول هذا، ثم لم يرض حتى احتاج له. والذي أراد مالك أنها فطنة تأتي بالشيء تزيد غيره وتقليل ظاهره عن باطنها. وقد قيل

للجاحظ: غير هذا في كتابك فإنه قبيح، فقال: أفعل، ولكن كيف لي بما سارت به الركبان.

ويقال من هذا: فلان لحن بحجته من فلان، أي لحن بإمالة الباطل إلى الحق بفصاحتته وعلمه.

ويصدق ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لعل أحدكم أن يكون لحن بحجته من صاحبه، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار".

قال أبو بكر: حدثنا محمد بن يزيد قال: حدثني الجاحظ عن أبي عبيدة قال: رأى أبي وأنا أكتب كتاباً فقال:

(1/131)

"يابني اجعل فيه لحنناً ليزول عنه حرفة الصواب".

يقال: حن الرجل يلحن لحنناً إذا أخطأ بتسكين الحاء وحن يلحن لحنناً إذا أمال الشيء إلى الجهة التي يريد لها. ويجعلون هذا مكان هذا، إلا أن الاختيار في الثاني فتح الحاء. قال ابن أم صاحب فحرك

الحاء:

غمست عنهم وما ظني مخافتهم ... وسوف يعرفهم ذو اللب واللحن
غمست عميت. حدثنا أبو العيناء قال: قدم أبو علاء المتنري. من الأهواز فقال لي: يا أبا عبد الله
ما أكبر دباءها وما أجمل أهلها! قلت: وما أكثر اللحن فيها! قال: كثير جداً. وكان فصيحاً على
لحنه.

حدثنا جبلة بن محمد الكوفي، قال: حدثني أبي قال: عاد بن أبي ليلى بعض أشراف الكوفة، وكان له
أخ لحان، فجعل يقول: "يا أخي افتح عيناك حرك شفتاك كلام أبي عيسى". فقال له ابن أبي الحبيبي:
"أطن علة أخيك استماع لحنك".

قال الصوالي: وحدثنا أبو العيناء قال: قال رجل لأبي شيبة القاضي: علي كفارة مين فبأي شيء
أكفر. بدقيقاً بسويقاً. فقال الرجل: ما لحنت أطيب من لحنك. وقال له بن مصلحة: لو كان لحنك
من الذنوب لكان من الكبائر.

وقال أبو بكر وأنشدي عون بن محمد:
لقد كان في عينيك يا حفص شاغل ... وأنف كمثل العود عما تتبع

(1/132)

تبعد لحنناً من كلام مرقس ... وأنفك كمثل إيطاء وأنت المرقع
حدثنا الباقي قال: كتب ابن الرومي كتاباً بخطه فلحن فيه إلى أبي الحسن محمد بن أبي سلاة وقد
كان احتبس عن ابن الرومي فكتب إليه ابن الرومي وقد علم بذلك:
الآية الموسوم باسم وكنية ... وجدناهما اشتقا من الحمد والحسن
أتبخل بالقرطاس والخط عن آخر ... وكفاك أندى بالعطاء من المزن
أيغلق عني علمه بكتابه ... آخر لي وقلبي عنده علق الرهن
عطفناك فاعطف إن كل ابن حرفة ... آخر مكسر صلب ذو معطف لين
وإن سقطاتي في كتابي تتبع ... فلا تلحنني فيما جنبت على ذهني
حدثنا محمد بن القاسم بن خلاد قال: حدثني الأصممي قال: دخلت على مالك بن أنس بالمدينة،
فما هبت عالماً قط هيبيتي له، فتكلمت فلجن فقال: مطرنا البارحة مطرًا وأي مطرًا، فخف في عيني
فقدت له: يا أبا عبد الله قد بلغت من العلم هذا المبلغ فلو أصلحت من لسانك! فقال لي: فكيف
لو رأيت ربيعة بن عبد الرحمن؟! قلنا له: كيف أصبحت؟ فقال: بخيراً بخيراً.
وما أحسن ما قال بعض الرهاد: "أعربنا في كلامنا فيما لحن، ولحننا في كلامنا فيما أعرب".

(1/133)

التوقيع والإيجاز

يقال: وقعت في الشيء أوقع توقيعاً وكتاب موقع فيه ورجل موقع فإذا أمرت قلت: وقع فيه. وحقة في اللغة التأثير القليل الخفيف، يقال: دف هذه النافقة موقع إذا أثرت فيه جبال الأهمال - والدف الجنب - تأثيراً خفيفاً.

وحكى العتبى أن أعرابية قالت خل لها: حديثك ترويع وزيارتك توقيع.
وقال جعفر بن يحيى لكتابه "إن استطعتم أن تكون كتبكم كالتوقعات فافعلوا". يزيد بذلك حضهم على الإيجاز والاختصار.

وحدثني أحمد بن إسماعيل قال: حدثني أحمد بن محمد بن إسماعيل بن صبيح قال: كان أبو سلمة يوقع في الكتب: "آمنت بالله وحده". فخرجت لأبي اللفائف الكوفي صلة بكتاب من السفاح فجاء ينشد أبي سلمة وقد تأخر تعليمه فيه:

قل للوزير: أراه الإله في الحق رشه
الباذل النصح طوعاً ... لآل أحمد جهده
أطلت حبس كتابي ... وحمله ثم رده
يا واحد الناس وقع ... آمنت بالله وحده
يقال أوجز في كلامه وكتابه وفعاله يوجز إيجازاً إذا أسرع وخفف. وموت وجيز وهي سريع. ورجل موجز إذا كان يفعل ذلك. ووجز الكلام بنفسه يجز وجراً. قال رؤبة:
ها وجز

(1/134)

المعروفك بالرماق

التعليم في الكتاب

يقال: علمت في الكتاب أعلم تعليماً إذا وقعت فيه خطأ تعرفه به ويعرفه غيرك. ولا نقل أعلمت فيه. ولا أعلمت عليه. ولا تعلمت فيه. ومن العرب من يقول: أعلم كذا وتعلم كذا بمعنى. وقال: تعلم أن سر الناس حي ... تنادي في شعارهم يسار فتعلم بمعنى إعلم.

الإملاء

يقال: أمليت الكتاب وأمللت. وقد نزل القرآن باللغتين جميعاً قال الله عز وجل: "وقالوا أسطoir الأولين اكتتبها فهي تملّى عليه". وقال جل وعلا: "فليمل وليه بالعدل". وقال الهذلي:
وإني كما قال: تملّى الكتا ... ب في الرق أو خطه الكاتب وأصله في اللغة من الإطالة. ومنه الملوان الليل والنهار. ومنه: "إنما غلبي لهم ليزدادوا إثماً و لهم عذاب مهين". وإنما آخرهم الله ليتوبوا فلما كان تأخيرهم سبب إثتمهم وآلته آل أمرهم بسبب التأخير

والإماء إلى الإثم. وكما قال عز وجل: " فالنقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً ". وهم لم يلتقطوه لذلك ولكن لما آلم أمره إلى أن كان لهم عدواً نسب الالتقاط إلى المآل . وأنشد التنوخي :

(1/135)

وكان لنا قيدان قد أملينا لنا ... وفي الدهر والأيام للمرء زاجر

طي الكتاب ودرجه

يقال طوى الكتاب يطويه طيًّا وطية واحدة وطواه طية فقال ذو الرمة: من دمنة نفت الصبا كدرا ... كما تنشر بعد الطية الكتب ومضى لطيته إذا سافر . وقالوا: الطية البعد، وهو عند بعضهم من طي المنازل . وقد قيل: إن طيئاً سمي بطيه للمنازل ، وهذا خطأ عند أكثرهم، يقولون: فمن أين جاءت هذه الهمزة؟ وأصله من الطي . والمحققون في اللغة يقولون: كان كثير القرى وطي المنزل فسمى بهذا . فعلى هذا طي الكتاب سرعة إدراجه . وكذلك أدرج الكتاب معناه أسرع طيه فدرجه إدراجاً . وقال أبو عبيدة: مدرجة الطريق التي يسرع الناس فيها . وناقة دروج سريعة . ورجع فلان على أدراجه إذا رجع في الطريق الذي جاء فيه . وسالت أبا تذكوان عن هذه اللفظة فقال: حقيقتها أن الكتاب إذا أدرج فهو على مطاو، فإذا نشر رجعت تلك المطاوي إلى ما كانت عليه . وقال ابن حذاق في أدرج: وغسلوني وما غسلت من تفل ... وأدرجوني كأني طي مخراق

(1/136)

والمشق في اللغة تأثير الشيء بسرعة . قال ذو الرمة: فكر يمشق طعناً في جواشنها ... كأنه الأجر في الإقبال يحتسب وكثر ذلك في كلامهم حتى صار كل مستلب شيئاً قد مشقه . قال الأخطل: والليل تمشق عنهم أسلابهم ... في كل معرتك وكل مغار وقالوا: درج يدرج درجاً بمعنى أدرج وليس بالجيدة وكله من الإسراع، ومنه درج الرجل إذا مات ولا نسل له .

يقال: طمس الكتاب أطمسه طمساً إذا عميت خطه حتى لا يقرأ . وقيل: طمس وطمس بمعنى واحد، كما قيل جب وجدب . وطمس الله بصره إذا أذهب نوره وأخفاه . قال القطامي: وليلة قد بت ما أناملها ... في بلدة طامسة أعلامها قوله عز وجل: " من قبل أن نطمس وجوهاً فتردها على أدبارها " . قال المفسرون: نجعلها كأفعانها منبتاً للشعر مثل وجوه القردة، وقد نجعل وجوههم إلى ظهورهم مكان القفا . وطمس الأثر محته،

عن أبي زيد والأصمي. وطلس الكتاب وطلسه أيضاً محاه. والطلسة السوداء. وبعض أهل اللغة يقولون: هو لون يقارب السوداء. وأكثر ما يوصف بالطلسة الذئب، يقولون: ذئب أطلس. والرياح الطوامس التي تذهب بمعالم المنازل تطمسها. ويقال: درس ما في الكتاب يدرس، إذا خفي شيء بعد شيء، حتى يذهب

(1/137)

أثره، ومنه درس البعير إذا جرب كأنه يلي بعض جربه بعضاً. وثوب درس أي مخلق لأنه يخلق حالاً بعد حال وشيء في أثر شيء. واختاروا في تعفي الأثر وفي الجرب درس دروساً وفي الثلاثة درس درساً.

درس الكتاب وسرده

درس الكتاب والقرآن يدرسه درساً إذا قرأه قراءة متصلة بعضها بعض أو في أثر بعض. وقرأ ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو عمرو وأهل المدينة: "وليقولوا درست"، قال المفسرون: يقولوا تعلمت ذلك من اليهود ودرسته معهم. وقرئ دارست، يريد دارستهم ذلك. وقرأ الحسن درست أي أخذت، يقولون: هذا الذي تأتي به قد جاء غيرك بمثله وهذا من الدروس لا من الدرس. وقال التوجي: درس الشيء إذا أكثر قراءته وتعدد فيه ومنه طريق مدروس تدرسه الناس كثيراً. وكذلك سرد الكتاب يسرده سرداً شبيه بقوله درسه درساً، ودرع مسرودة بعضها يتلو بعضًا حتى تتم. قال أبو ذؤيب المخزني:

وعليهما مسرودتان قضاهما ... داود أو صنع السوابغ تبع
يعني درعين منسوجتين وقضاهما عملهما. وقال المفسرون في قوله عز وجل: "وقدر في السرد" أي في نسج الحلق ونظمها. وقال مسرودة مسمورة بالحلق.

(1/138)

الخاتم وسببه وما قيل فيه

حدثنا إبراهيم بن عبد الله اللكجي قال: حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد عن المغيرة بن زياد عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتماً من ذهب فلبسه ثلاثة أيام ففتشت خواتيم الذهب في أصحابه، فرمى به واتخذ خاتماً من ورق نقش عليه: "محمد رسول الله" فكان في يده صلى الله عليه وسلم حتى مات. وفي يد أبي بكر حتى مات وفي يد عمر حتى مات، وفي يد عثمان ست سنين، فلما كثرت عليه الكتب دفعه إلى رجل من الأنصار ليختتم به فأتى قليباً لعثمان رحمه الله فسقط الخاتم في القليب فالتمسوه فلم يجدوه، فاتخذ خاتماً من ورق ونقش عليه "محمد رسول الله".

ولم يتخذ صلي الله عليه وسلم الخاتم حتى احتاج إلى مكاثة الملوك، منصرفه من الحديبية سنة ست
فقيل له: إن الملوك لا تقبل الكتاب إلا أن يكون مختوماً، فاتخذ خاتماً من فضة ونقش عليه: " محمد
رسول الله " محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر.
وحدثنا محمد بن أبي قريش، قال: حدثنا محمد بن عبد الله

(1/139)

الأنصاري قال: حدثنا حميد عن أنس أن رسول الله صلي الله عليه وسلم كتب إلى ملك الروم " فكتب ملك الروم " لا نقبل كتاباً إلا مختوماً فاتخذ خاتماً ونقش عليه محمد رسول الله محمد سطر وسول سطر والله سطر.
ويقال: ختمت الكتاب بغير ألف، ولا يقال: اختمت، فإذا أمرت قلت اختم كتابك وهو الخاتم والخاتم والخاتام والخاتيم وجمعه خياتيم. وختم فهو خاتم مثل ضرب فهو ضارب. وبجمع خاتم خواتيم وخفاتيم. وختمت الكتاب ختماً وخاتاماً وبجمونه ختم.
وختمت الكتاب وطبعته بمعنى قطعه باخر العمل فيه. ومنه " الأعمال بخواتيمها " أي بأواخرها التي ينقطع العمل بها. وفلان خاتم القوم وخاتتهم أي آخرهم.
وقيل: الختم الحظر وقد حكي عن أعرابي أنه قال: ختمت على العيون أن تراها، يريد امرأة، المعنى حظرت. " وخاتمه مسك " قال المفسرون: مقطعه يوجد معه رائحة المسك. واختم أمرك بكذا أي اقطعه به. ويروى عن ابن عباس أنه قال: كل كتاب غير مختوم فهو أقلف.
وقال عمر بن الخطاب رحمه الله يوصي بالختم: " طينه خير من طنه ". وفسروا قول الله عز وجل: " إني ألقى إلى كتاب كريم "، أي مخنوم.

(1/140)

والذي عليه الكتاب الحذاق أن الرئيس والنظير يختم رقاعه وتوقعاته إن شاء وأن من دونهم لا يختم، وإن ختم وهو دون الرئيس والنظير، لرمء إثبات اسمه على جانب كتابه الأيسر تصاعداً وتوضعاً.
وكتب بعض الكتاب إلى رئيس له: أنت - أيدك الله - تختم رقاعك لأنها مطايها بر، ولا أختم رقاعي
نها حوامل شكر.
وأحسن ما ختم به الرؤساء كتبهم ما عليه اسم الرئيس واسم أبيه.
وقال بعض الكتاب: الوزارة الختم والخاتم، لأن سائر الأعمال يباشرها بعض الكفالة إلا الختم فإنه لابد
أن ينتهي الكتب إلى الوزير وتعرض عليه فيختتمها بخاتم الملك.
وقال إبراهيم بن العباس الصولي: الكتب موات ما لم يوقع فيها توقيع الختم وتختم، فإذا فعل ذلك بما
عاشت. وقال عمر بن مسعدة: الخط صور الكتب ترد إليها أرواحها.
وكان محمد بن عبد الملك الزيارات، إذا أراد أن يختتم الكتب دعا بدرج فيه الخاتم، فإذا جيء به وهو

خاتم الملك، قام قائماً فأخذه إجلالاً له ثم جلس فأخرجه وختم به ورده إلى الدرج وختم عليه.
وكانت بعض الكتاب في أن الختم والتوفيق إلى الرؤساء:
ختام لا أنفك حارس سلبه ... أدعى فأسمع مذعنًا وأطيع
يتداول الناس الرياسة بينهم ... وأروم حظهم فلا أستطيع
وأكلف العبء الثقيل وإنما ... يبلى به الأتباع لا المتبوع

(1/141)

وعليهم الأثقال يحتملوها ... وعلى الرئيس الختم والتوفيق
قال آخر:

يا أيها الملك المنفذ أمره شرقاً وغرباً
امن بختكم صحيفتي ... ما دام هذا الطين رطباً
واعلم بأن جفافه ... مما يعيد السهل صعباً
وقال آخر:

قل لل الخليفة إن الله سربيله ... سربال ملك به تضي الخواتيم
وقال آخر في الخواتم:

أناس أبو العاصي أبوهم توارثوا ... خلافة مهدي وخير الخواتم
وقال آخر في الخاتام:

لو كان عندي مائتا درهم ... لجاز في أرضهم خاتامي
وفال أعرابي:

يا مي ذات المعجر المنشق ... أخذت خاتامي بغير حق
وحديثي عمرو بن تركي القاضي قال: حدثنا القحدمي قال: كان على خاتم البريد للأسرة صورة
ذباب، يريدون بذلك أن لا يحجب كما أن الذباب لا يمكن أحداً أن يحجبه.

(1/142)

قال: وكانت الخواتم في خزائن الملوك لا تدفعها إلى الوزراء، فأطمرد الأمر على ذلك حتى ملك بنو
أمية، وأفرد معاوية ديوان الخاتم، وولاه عبيد بن أوس الغساني وسلم الخاتم إليه، وكان على فصه "ككل
عمل ثواب". وكان سبب ذلك أنه كتب لعمرو بن الزبير إلى بعض عماله بمائة ألف درهم
ففرق عمرو الهاء وجعلها ياء وأخذ مائتي ألف درهم، فلما مرت بمعاوية ذكر أنه لم يصله إلا بمائة
الف درهم، فأحضر العامل الكتاب فوقف معاوية على الأمر فاتخذ ديوان الخاتم.

العنوان

يقال عنوان الكتاب وعنونته وهي اللغة الفصيحة. وبعضهم يقول: علونت فيقلب النون لاماً لقرب مخرجهما من الفم، لأنهما يخرجان من طرف اللسان وأصول الثناء العليا. وقد قيل: العلوان فعوال من العلانية لأنك أعلنت به أمر الكتاب ومن هو وإلى من هو. وسمعت أحمد بن يحيى يقول: أعلن أمرنا علوناً وعلناً.

والعنوان العلامة كأنك علمته حتى عرف بذكر من كتبه ومن كتب إليه. قال حسان بن ثابت يرثي عثمان بن عفان رضي الله عنه:

ضحوا بأشرط عنوان السجود به ... يقطع الليل تسييحاً وقرآن

وقال المؤمن لرجل رآه في موكبه فلم يعرفه، وكان جسماً: ما هذه الجسامـة؟ قال: "عنوان نعمة الله ونعمتك يا أمير المؤمنين".

ويروى أن معاوية قال لبعض العرب مثل ذلك، فأجيب

(1/143)

بهذا الجواب.

وأول من كتب "من عبد الله فلان أمير المؤمنين". كان يقال لأبي بكر رضي الله عنه وهو أول من سمي "أمير المؤمنين". كان يقال لأبي بكر رضي الله عنه "خليفة رسول الله"، ثم قيل لعمر: "خليفة رسول الله"، فدخل المغيرة بن شعبة على عمر فقال: "السلام عليك يا أمير المؤمنين"، قال عمر: وما هذه؟ قال: ألسنا المؤمنين وأنت أميرنا؟ فكان أخف من الأول فجرعوا عليه.

وكانوا يكتبون في العنوان "بسم الله الرحمن الرحيم" مثل ذكر من كاتب ثم ترك. قالوا: والأحسن في عنوان الكتاب إلی الرئيس، أن يعظم الخط ويفخمه، إذا ذكرت كنيته أو نسبته إلى شيء، وأن تلطف الخط في اسمك واسم أبيك وتجمعه. وقال المحققون من الكتبة: إن في ذلك إخلاً للكتاب له وفي مخالفته غض منه وتطاول عليه. وإن كانت آخر الكلمة ياء مثلاً، كأي على وأبي عيسى وأبي يحيى وأبي يعلى، غرقت الياء إلى قدام، ولم تردها إلى خلف، فقد حكي في ذلك شيء ملبح.

حدثني أبو المربزيان قال: قال لي محمد بن يزيد الأموي الشاعر: استحسنـت من عيسى بن فرخانشاه شيئاً، رأى كتاباً له قد كتب اسمه عيسى، فرد الياء إلى خلف عيسى، فقال: قولوا لهذا الكاتب لا تعد مثل هذا، فإن أيسـر ما فيه أن الياء إذا كانت إلى قدام كان ذلك فـلـلا للإقبال، وفي ردهـا فـلـ

(1/144)

للإدبار، وقالوا: مع هذا فهو أبى للخط وأفسح للشكل.
ويعنون إلى الأمير بالإسم والتأمير، بغير دعاء ولا كنية اكتفاء بجلالة التأمير، والإسم مع التأمير أجمل
من الكنية لأنها أشبه بمكاتبة الخلفاء لأنهم يقولون في التصدير للإمام "لعبد الله فلان الإمام أمير

المؤمنين "، ولا يأتون بكتيبة فكذلك شبهوا هذا به، فكان الإسم مع التأمير أجل من الكتبة. ثم يكتبون في التصدير للإمام "لعبد الله فلان الإمام أمير المؤمنين". ولو لي العهد للأمير أبي فلان فلان بن فلان، كناه الإمام أو لم يكنه فرقوا بينه وبين الإمام.

وقد يذكر الإمام في سكة الضرب باسمه، ويذكرون ولـيـ العـهـدـ يـكـيـتـهـ كـمـاـ ذـكـرـتـ لـكـ. وـقـوـهـمـ لأـيـ فـلـانـ حـقـيقـتـهـ إـلـىـ أـيـ فـلـانـ، وـالـأـصـلـ مـنـ فـلـانـ إـلـىـ فـلـانـ، فـلـمـ قـدـمـ ذـكـرـ المـكـتـوبـ إـلـيـهـ أـقـامـوـاـ الـلـامـ مقـامـ إـلـىـ إـلـىـ وـقـدـ قـالـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ: "بـأـنـ رـبـكـ أـوـحـىـ لـهـ "أـيـ أـوـحـىـ إـلـيـهـ. وـحـرـوفـ الـخـفـضـ يـنـقـلـ بـعـضـهـاـ مـنـ بـعـضـ قـالـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ: "وـلـأـصـلـبـنـكـمـ فـيـ جـذـوـعـ النـخـلـ "أـيـ عـلـىـ جـذـوـعـ النـخـلـ.

وقال الشاعر:

إذا رضيت علي بني قشير ... لعمر الله أعجبني رضاها
وهذا كثير جداً. وقال بعض الكتاب: اللام لمخاطبة الجليل، وإلى مخاطبة الأدنى فالأجل يكتب من
فلان بن فلان إلى فلان

(1/145)

بن فلان، والنظراء ومن دون يكتبون لأبي فلان من فلان.
وقد عنون أحمد بن يوسف كتابه بـشـعـرـ، فـكـتـبـ إـلـىـ طـاهـرـ بنـ الـحسـينـ:
لـلـأـمـيـرـ الـمـهـذـبـ ...ـ الـمـكـنـيـ بـطـيـبـ
ذـيـ الـيـمـنـيـ طـاهـرـ بنـ الـحـسـينـ بنـ مـصـعـبـ
وـكـتـبـ عـقـالـ بنـ شـيـةـ إـلـىـ الـمـسـيـبـ بنـ زـهـيرـ الصـبـيـ:
لـلـأـمـيـرـ الـمـسـيـبـ بنـ زـهـيرـ ...ـ مـنـ عـقـالـ بنـ شـبـةـ بنـ عـقـالـ
وـكـتـبـ آـخـرـ إـلـىـ نـصـرـ بنـ حـمـزةـ الـخـزـاعـيـ:
لـأـيـ الـقـاسـمـ بنـ حـمـزةـ نـصـرـ ...ـ مـنـ فـتـيـ قـائـمـ بـحـمـدـ وـشـكـرـ
وـكـتـبـ إـلـيـهـ اـبـنـ الـحـبـابـ:
لـأـيـ الـفـضـلـ شـيـةـ الـغـسـانـ ...ـ الـمـرجـىـ لـدـفـعـ رـيـبـ الزـمـانـ
مـنـ أـخـ لـمـ يـزـلـ يـجـدـ لـهـ الـوـصـ ...ـ لـ عـلـىـ حـيـنـ جـفـوـةـ الـإـخـوانـ
وـعـنـونـ أـبـوـ نـوـاسـ كـتـابـاـ لـهـ:
هـذـاـ كـتـابـ بـدـمـعـ عـيـنـيـ ...ـ أـمـلاـهـ قـلـيـ عـلـىـ لـسـانـيـ
إـلـىـ حـبـيـبـ كـنـيـتـ عـنـهـ ...ـ أـجـلـ ذـكـرـ اـسـمـهـ لـسـانـيـ
حدـثـنـاـ الـيـرـيـديـ قـالـ: كـتـبـ أـحـمـدـ بنـ إـسـمـاعـيلـ إـلـىـ عـرـامـ، وـهـوـ بـالـكـوـفـةـ مـعـ مـوـلـاـهـ كـتـابـاـ عـنـوـانـهـ:
دـمـوعـ الـعـيـنـ مـذـرـوـفـهـ ...ـ وـنـفـسـ الصـبـ مـشـغـوـفـهـ
مـنـ الـمـشـوـقـ إـلـىـ الـبـدـرـ الـ ...ـ ذـيـ يـطـلـعـ بـالـكـوـفـهـ

(1/146)

وحدثني أحمد بن محمد الأسدي، قال: كتب رجل إلى المهدى كتاباً عنوانه "عبده فلان"، فقال: لا أعلم أحداً نسب نفسه إلى عبودة في كتاب أو عنوان، فإنه ملق كاذب وليس يقبله إلا غبي أو متكبر.

وحدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، قال: رأى طاهر بن الحسين رقعة، كتبها ابنه عبد الله بن طاهر إلى المأمون، عليها "عبده" فقال: يا بني سميتك عبد الله وكذلك أنت، فلا تشركن في الملك أحداً، فإنه جعلك بإنعماته حراً لا مولى لك سواه.

وقال إبراهيم بن الحسن بن سهل يرثي أخاه:

قد كنت عنوان كرام مضوا ... فمت فاختلت أصول الكرام

وحدثنا أبو ذكوان عن التبوخي، قال: يقال: عنوان الكتاب وعينانه وعلوانه. والعنوان الأثر الذي يعرف به الشيء. وتقول العرب: ما عنوان بعيرك؟ أي ما أثره الذي يعرف به. وتقول علونت الكتاب أعلىونه علونة وعلواناً، فإذا أمرت قلت: علون يا معلوم، وعنونته عنونة وعنواناً، فإذا أمرت قلت: عنون يا وعنون. ومن قال: عننت الكتاب قال: عنن. ومن قال: عننت الكتاب أبدل مكان إحدى النونان ياء، فقال: عنٌ يا معنى مثل غُنٍ يا مغنى.

قال أبو بكر: حدثنا أحمد حدثنا أحمد بن يحيى قال: كتب رجل إلى الزبير بن بكار يستجفيه فكتب إليه الربيز:

ما غير الدهر ودأً كنت تعرفه ... ولا تبدل بعد الذكر نسيانا
ولا حمدت وفاء من أخي ثقة ... إلا جعلتك فوق الحمد عنوانا

(1/147)

المقادير التي يكتب فيها من القراطيس

قال أبو بكر: سمعت أحمد بن إسماعيل بن الحصيب الكاتب يقول: الأئمة يوقعون في السجلات، ويكتب الإمام في الثنين من الطومار إلى ملوك الملك وإلى عماله، ويكتب عماله إليه في مثل ذلك، ويكتابه وزيره في النصف في أمور العامة الديوانية.

فأما الخاص الذي يكتبه بخطه، أو يكتب بين يديه بإملائه، ففي خمسين، ويكتابونه في مثل ذلك في الخاص والعام، إلا من كان منهم في أدنى الطبقات، فإنه لا يكتب إلا في النصف في الحالتين جميعاً. وتنكّاتب الأكفاء في الأثلاث والأربع وتحتمل المودة بينهم كل شيء حملته من التسمح في ذلك، والأسداس للتوقيعات.

وقال بعض الكتاب:

أنت لما ابتدأت تكتب في الأن ... صاف خفنا من قلة الإنصال
وعلمنا بأن مثلك لا يج ... مع بين الإنصال والإنصال

وقال آخر وكتب إليه في سدس:
تكتابي بالسدس جهلاً بقدره ... لتن كان في التعريف يكتب بالأمس

إذا ما التعاويني فارق رسمه ... فليس بمؤمن التغير والنكس
ولولا حنين هاجه مثل سائق ... إلى الخط في التعاوين لم يعن بالسدس

(1/148)

إذا صح حس المرأة صح قياسه ... وليس يصح العقل من فاسد الحس
واحتاج آخر في أن كتب في ظهر فقال:
كتب إليك في ظهر علمي ... ومعرفتي بحبك للظهور
فقلبه ابن الرومي فقال:
عششك الغلمان ما أُم ... كنك النسوان أفن
إنما يكتب في الظه ... ر إذا أعزوز بطن
وقد كره الناس الظهور، وأمر بترك استعمالها في النسخ وإنشائها، فكيف في المكاتب. وقيل هي تفسد
النيات، وتذيع الأسرار بما في باطنها، وتشعر الخطوط، وتغضض من سمو الدولة، وتحقر من قدر المعنى
أكثر مما يقدر منها من الارتفاق والقيمة بينها وبين النقى. وأكثر ما يكون إنصاف كتب مقطوعة،
وإذا كانت كذلك كانت جنونا، ولهذا قال أبو تمام:
عذل شبيه بالجنون كأنما ... قرأت به الوراء سطر كتاب
واعتنى آخر من كتابته في الظهر فقال:
إن كتاي لك في الظهر ... يخبر أني ظاهر الفقر
فاعذر بنفسى أنت من سيد ... فالعذر أولى بالفتى الحر
واعلم وإن كت الذى علمه ... يفوق علم البدو والحضر
إن الغنى يصلح دين الفتى ... والفقير سواق إلى الكفر

(1/149)

الدعاء في المكاتب وترتيبه والزيادة والنقص فيه

قال أبو بكر: اختار مشائخ الكتاب، أن تكون كتب الوزراء النافذة عن الخلفاء بغير تاء المخاطب،
ولا نون الجمع، فيقول عنه: " فعلت كذا أو فعلنا كذا " بل يقول في كتبه عنه وتوقيعاته " فعل أمير
المؤمنين كذا فامتثل ما أمر به أمير المؤمنين " وقد ذكرنا في التكاليف ما يعني عن إعادته.
ويكتاب الوزير الناس على مقاديرهم ورتبتهم في السيف والقلم ومنازلهم، فدعاؤه لأمراء الأقاليم
الكثيرة، المجموع لهم حربها وخراجها وسائر أعمالها كدعاء النظير إذا نقص قليلاً في صدور كتبه
ويختتمها بمثل ذلك ولا بأس عندهم إن ذكر فيها تفدية. فأما دعاوهم له فاختاروا أن يكون بغير
التصدير وبالوزارة على حسب قوة أمرهم وتعززهم و مواقعهم من حسن رأي إمامهم. ومنهم من يدعو
بالتوزير راغباً وراهباً.

وكان عبيد الله بن سليمان نقص خمارويه بن طولون في دعائه، فرد عليه مثله. فأجابه عبيد الله بتمام الدعاء وأحال بالذنب على كاتبه.
وكان القاسم بن عبيد الله - لما استوزر مكان أبيه - يكتب للأمير بعد بالتأمیر والدعاء التام، فيكتبه بعد بالتوzier ويتم الدعاء له.
ومن الوزراء من يدعوا لبعض هؤلاء: "أطال الله بقاءك"،

(1/150)

أو "أدام عزك"، ومنهم: "أدام الله عزك وأطال بقاءك". فأما من دون هؤلاء فيكتابهم: "أعزك الله وأمد في عمرك". وإلى من دون هؤلاء: "مد الله في عمرك وأكرمك وأبقاءك" وإلى من دون هؤلاء: "وابقاءك الله وحفظك".

قال: وأول من كتب: "عافانا الله وإياك من السوء" معاوية.
وكتب عبد الحميد إلى صديق له: "جعلت فداك من السوء كله".
وحديثي أبو القاسم إسماعيل الحاملي قال: حدثنا أبو العيناء قال: كتبت إلى صديقي: "جعلت فداك من السوء كله"، فلقيني بعد ذلك فقال لي: أنا أستفيد منك أبداً لا عدمت ذلك، وقد كتبت إلى: "جعلت فداك من السوء كله". فلقيني بعد ذلك فقال لي: أنا أستفيد منك أبداً لا عدمت ذلك، وقد كتبت إلى: "جعلت فداك من السوء كله"، أعزك الله ما السوء كله؟ قال: فعجبت وضحك وقلت: نلتقي بعد هذا وتلقى الفوائد.
ولا يتسمى الوزير ولا يتكون على عنوان كتابه إلى أمثال هؤلاء، ولكن يجعل العنوان: "لأبي فلان" في أحد سطريه، وفي السطر الآخر: "فلان بن فلان".
وقال طاهر بن الحسين - وهو يحارب الأئمين، وكان أبو عيسى بن الرشيد معه - لكتابه: أكتبوا إلى أبي عيسى كتاباً تتقربون به إليه وتتباعدون، ولا تطعموه ولا تؤيسيوه. قلوا: إن رأى الأمير أن يعلمنا كيف ذلك ويجد لنا. فقال أكتبوا: بسم الله الرحمن الرحيم.
حفظك الله وأبقاءك وأمتع بك، وعزيز على أن أكتب إلى صغير منكم أو كبير بغير التأمير، وقد بلغني عنك مالاً للملوؤ!

(1/151)

فإن كان ذلك منك ميلاً على أمير المؤمنين فقليل ما أكتب به كثيراً، وإن كنت كما قال الله: "إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان" فالسلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته.
وقال بعض الكتاب: ما أدرى ما معنى المصارفة في تقديم إطالة البقاء في "أطال الله بقاءك وأعزك" ، وتأخيره في "أعزك الله وأطال بقاءك" الأفضل التقديم والتأخير في أنفسهم، وإلا فالاعطف بالواو، وهي تحيء للاشتراك فيدخل الثاني من الدعاء في معنى الأول، وقد قدم الله عز وجل، لما كان العطف

بالواو مؤخراً على مقدم، فقال: " واسجدي واركعي مع الراكعين " ، وقال: " يا عشر الحن والإنس: ..

وعلى أن المؤخر قد قدم، وأخر المقدم بغير الواو من حروف العطف، قال الله عز وجل: " اذهب بكناي هذا فالقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون " ، قالوا: وإذا تول لم يعرف شيئاً والمعنى مقدم ومؤخر كأنه فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم. وقال عز وجل: " من بعد وصية يوصى بها أو دين " والدين قبل الوصية، وهذا كثير في الشعر واللغة، قال: فلم تستن الكتاب بذلك، وصارت التقدمة لحرف على حرف تزول، إذ قدم الثاني من اللفظ على الأول.

وقال بعضهم: لا أعرف الصرف بين " أطال الله بقاك " وبين " مد الله في عمرك " إلا ما رتبوه واستعملوه ورسموه. ومن يصارف في القليل من هذا ويشرح عليه أكثر. وكان أحمد بن ثابة أشد الناس في هذا، كتب إليه ابن أبي خالد

(1/152)

رقة يؤانسه فيها ذكر أولادهما فقال: " ولو كانوا بني وبنيك " . فقال: يقدم ذكر بنيه على بني لا كاتبته أبداً.

واجتبوا أن يقولوا للوزير في الدعاء " جعلني الله فدائك " من أجل أن الشيء إنما يفدى بمثله أو بأجل منه، وليسوا كذلك. وفي هذا الذي ذهبوا إليه خبر مليح اعترضني حدثنا به أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب قال: حدثني عبد الله بن شبيب قال: كتب إلى بعض إخوانه من البصرة وقد تأخير عنه كتاباً أوجز فيه وملح: أطال الله بقاك كما أطال جفاك، وجعلني فداك إن كان في فدائك، وقال: كتب ولو قدرت هو وشوقاً ... إليك لكنت سطراً في الكتاب

قال محمد بن يحيى الصولي: والبيت لأبي تمام.

وكتب آخر إلى أحمد وإبراهيم ابني المدبر، وقد نالتهما محنـة وردـفـتهـما نـعـمة: بـسـمـ اللهـ الرـحـمـنـ الرـحـيمـ: لو قـبـلتـ عـنـكـمـاـ، أوـ دـانـيـتـ قـدـرـكـمـاـ، لـقـلـتـ: جـعـلـنـيـ اللهـ فـدـائـكـ لـكـمـاـ. وـلـكـنـيـ لـأـجـزـيـ عـنـكـمـاـ، وـلـأـقـتـلـ بـكـمـاـ. وـقـدـ بـلـغـنـيـ الـحـنـةـ الـتـيـ لـوـ مـاتـ إـنـسـانـ بـهـ لـكـنـتـهـ، ثـمـ اـتـصـلـتـ بـيـ الـعـمـةـ الـتـيـ لـوـ طـالـ إـنـسـانـ فـرـحاـ بـهـ لـكـنـتـهـ. وـتـحـتـ هـذـهـ:

وليس بتزويق اللسان وصوغه ... ولكنـهـ قدـ خـالـطـ اللـحـمـ وـالـدـمـاـ

(1/153)

حدثنا بذلك إبراهيم بن المدبر، وهذا رأي لم يكن القدماء يرونـهـ، بلـ كانواـ يـخـاطـبـونـ الـخـلـفـاءـ بـالـتـفـدـيـةـ فـضـلاـ عـنـ الـوـزـرـاءـ.

وحدثني محمد بن يزيد المبرد قال: سأـلـ الـمـأـمـونـ أـبـاـ مـحـمـدـ يـحـيـيـ بـنـ الـمـبـارـكـ عـنـ شـيـءـ فـقـالـ لـهـ: " لـاـ، وـجـعـلـنـيـ اللهـ فـدـائـكـ يـاـ أـمـيـ الرـؤـمـنـ " ، فـقـالـ: لـلـهـ دـرـكـ مـاـ وـضـعـتـ وـاـوـاـ قـطـ مـوـضـعـاـ أـحـسـنـ مـنـ مـوـضـعـهـاـ

في لفظك. ووصله وجمله.

قال: وهذا لفضل أدب المأمون، علم أن الفدية من أخلص الدعاء، والطف التوسل، وأن غاية موجود الإنسان، وأنفس ذخائره نفسه، جلت أم قلت. وقد قرئ في الكتاب خير الأولين والآخرين، وأجلهم قدرًا، وأعظمهم خطراً، محمد صلى الله عليه وسلم قال له بن ثابت في جوابه لأبي سفيان بن حرب:

هجوت محمداً فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء
أهجوه ولست له بند ... فشركمما خيركم الفداء

(1/154)

فإن أبي ووالده وعرضي ... لعرض محمد منكم وفاء

وقد اختار الكتاب أن يسقطوه من مكتبة القضاة هذا الدعاء، وذهبوا إلى أنه ليس من أبوابحقيقة الجد. وقال قمامنة كاتب عبد الملك بن صالح: يجب أن يوفر التأييد على أصحاب السيف دون القضاة، لأنكم أولى بأن يدعى لهم بالقوة. قال له عمرو بن مسعود: القضاء إلى التأييد في أحکامهم أخرج، لأنها في الدماء تفضي وفي الفروج والأموال.

وكتب ابن ثوابة إلى عبيد الله بن سليمان يعتذر إليه من تركه مكتابته بالنقدية: "الله يعلم - وكفى به عليما - لقد أردت مكتابتك بالتفدية فرأيت هيباً أن أفاديك بنفس لابد لها من الفناء، ولا سبيل لها إلى البقاء. ومن أظهر لك شيئاً يضرم خلافه فقد غش وألام، إذ كانت الضرورة توجبه، وتحقق أنه ملق لا يتحقق، وعطاء لا يتحصل؛ وإن كان عند قوم نهاية من نهايات التعظيم، ودليلًا من دلالات الاجتهاد وطريقاً من طرق التقرب".

وكتب ابن القرية إلى بعض أصحابه، وذكر نفسه فقال: " يجعلها فداءك طيبة لك بذلك ".
وما أحسن كتاباً كتبه أحمد إسماعيل إلى بعض الكتاب، وقد نال رتبة فقح إخوانه في الدعاء:
الكبر أعزك الله معرض يستوي فيه النبي ذكرأ، والخامل

(1/155)

قدراً. ليس أمامه حجاب يمنعه، ولا حاجز يحظره. والناس اشد تحفظاً على الرئيس المحظوظ، وأكثر اجتناء لأفعاله، وتبعاً لمعائمه، وتصفحأً لأخلاقه، وتنفيراً عن خصاله؛ منهم عن خامل لا يعبأ به، وساقط لا يكتثر به. فيسير عيب الجليل يقدح فيه، وصغر الذنب يكبر منه، وقليل الذم يسرع إليه. والحال التي جددها الله لك، وإن كنت أراها دون حنك، وناقضة عن همتك، وأرضاً عند سمائك؛ حال الحاسد عليها كثير، وآمال المنافسين إليها تسير.

المودة تقتضي النصيحة، والملقة تدعو إلى صدق المشورة. وليس يحرس النعمة ويحيط بها، ويحسم الأطماع ويصرفها، ويستجيب القلوب النافرة ويطلقها؛ إلا ترك ما أراك تستعمله في ترتيب المكتبة،

وتحيز المخاطبة، والمحاضرة في الفاظ الدعاء، والبخل بيسير الثناء. وتطبيق إخوانك فليس من حرقك أن تحطهم حال رفعتك، وأن تقصهم دولة زادتك. كما ليس من حرقك عليهم أن يغالطوك فيمسكوا عن خطابك، ويتحاموا عن عتابك".

تحرير الكتاب

قال أبو بكر تحرير الكتاب خلوصه كأنه خلص من النسخ التي حرر عليها: وصفا عن كدرها. وقال الله تعالى: "إني نذرت لك ما في بطني محراً"، قال المفسرون: جميعاً خالصاً لبيت المقدس لا تشغله بغير خدمته، وحررت الغلام جعلته حراً بين الحرية

(1/156)

والحرار.

قال الشاعر:

فما رد تزويج عليه شهادة ... ولا رد من بعد الحوار عتيق
قد صار الغلام حراً خالص من العبودية. ورجل حر خالص من العبودية. ورجل حر خالص من العيوب. وطين حر خالص من الحمأة والرمل.
وسائل أعرابي فقال: "أما تنفضل على حر كريم الحرورية، أو مولى كريم المولوية، أو عبد كريم العبودية".

وقال بعض الكتاب: ليس الكتاب كل وقت على غير نسخة، ويحرر بصواب، وكل أوان، لأنه ليس أحد أولى بالأناة والرواية وتوفي الأغترار، من كاتب يعرض عقله وينشر بلاغته، فينبغي له أن يعمل النسخ ويحمرها، ويقبل عفو القرحة ولا يستكرهها، ويعمل على أن جميع الناس له أعداء علماء بكتابه متفرغون له، منتقدون عليه.

وقال آخر: إن الابتداء بنظم الكلام ونشره فتنة تروق، وحدة تعجب. فإذا سكتت القرحة، وعدل التأمل، وصفت النفس، فليبعد النظر، ولتكن فرحة بإحسانه مساواً لعمه بإساءتهن فقد قال الخوارج لعبد الله بن وهب الراسي: نبأيك الساعة فقد رأينا ذاك. فقال: "دعوا الرأي يبلغ أناه، ولا خير في الرأي الفطير". وقال معاوية لعبد الله بن جعفر: ما عندك في كذا؟ فقال: أريد أن أصدق عقلي بنومة القائلة، ثم أروح فأقول بعد تأملي بما عندي. وقال الشاعر:
إن الحديث يقف القوم خلotope ... حتى يعبره بالسبق مضمار

(1/157)

فعند ذلك تستعلي بلاغته ... أو يستمر به عي وإكثار
وكان قلم ابن المفع يقف كثيراً فقيل له في ذلك فقال: "عن الكلام يزدحم في صدري فيقف قلمي

لتحيره .

والكتاب يتصلح أكثر من الخطاب لأن الكاتب والمخاطب مشافه مضطرب، ومن يرد عليه كتابك ليس يعلم أسرعت فيه أم أبوطاء، وإنما ينظر أصبت أم أخطاء، أو أحسنت أم أساءت؟ فإبطائك غير قادر في إصابتك، كما أن إسراعك غير معيب على غلطك.

ووصف بعض الكتاب النسخ فقال: ينبغي أن يصحبها الفكر إلى استقرارها، ثم تحرر على ثقة تصحبها، وتتأمل بعد التحرير من أو لها إلى آخرها. فقد كتب للمؤمن مصحف اجتمع عليه عليه، فكتب: بسم الله الرحيم وأغفل الرحمن فإن العين لم تعتبر ذلك حتى فطن هو. وقال محمد بن عبد الملك للحسن بن وهب: حرر هذه النسخة وبكر بها فتصبح بها. فقال له محمد: قد كانت النسخة تامة فلم تصبحت. فقال: حتى تصفحت.

وحدثني أحمد بن إسماعيل قال: كان بعض الأغبياء ينظرون في نسخة بعد نفوذ الكتاب فقيل له: مستنلب اللب معنى الشباب ... عذبه الهجر أشد العذاب
يؤمل الصبر وأئن له ... به وقد مكن منه التنصاص
كتناظر في نسخة يبتغي ... صلاحها بعد نفوذ الكتاب

(1/158)

قال بعض الكتاب: كانوا يسمون الحمر الإمام لأنه يأتي من الخط بما يؤتى. به قال: ومن هذا كتب الصجي أماه إنما هو ما يأتى به ويتعلم عليه.

من زيد في دعاء المكاتبة له فشكر

قال الصولي حدثنا محمد بن زياد أبو عبد الله الزبيدي قال: كان العتي محمد بن عبيد الله صديقاً لعمرو بن عثمان القيني فكتب إليه العتي كتاباً فراده في الدعاء فكتب إليه عمرو: يا ابن الذواب من قريش والذرى ... وسليل سادة ساكني البطحاء حاشا لملوكك أن يراني قائلاً ... بكرامة تزري لدعيه برائي لم ترض إذ كنيتني وبدأت بي ... حتى دعوت الله لي ببقائي ولو اقتصرت على التي هي قيمتي ... فيما بت قضية الحكماء لكتبت لي عمرو بن عثمان ولم ... تبعه في العنوان حرف دعاء فاترك جعلت فداك إكرامي بما أخشى به عند الورى استغباني فالعين تصغر أن تقدمها على ... أولاد حرب السادة الكبار حلوا من العز المنيع نيافة ... يحملون غيرهم ذرى العلياء حدثني أحمد بن يحيى الأسدى قال: كتب إلى الحسين بن سعد فنقضي في الدعاء في الدعاء، فكتب إليه: قد علمت أعزك الله أن السبب في العداوة بين محمد بن عبد الملك الزيارات وإبراهيم بن العباس الصولي، أنه لما ولـي وزارة المعتصم، نقص إبراهيم مما يستحقه من الدعاء، فلم تتحمل ذلك نفسه ورياسته وموضعه من الصناعة والدولة، فعاتبه في ذلك فلم

يعتبه، فأذهب له نار هجاء لا يطفيها الدهر، وعلامة ذلك قوله في كلام منثور قد ذكره ولد هذا الأمر، فما ظن أن الرياسة تنجذب إليه، ولا أن العز يتحصل له بخط إخوانه عن منزلتهم، ونقصهم عن مرتبتهم، فبخسني في المكتابة، وأساعني في المعاملة، في كلام له طويل، ثم نظم ذلك في شعر فقال:

من رأى في الأئم مثلك أخ لي ... كان عوني على الزمان وخلي
رفعته حال فحاول حطي ... وأبى أن يعز إلا بذلي
وكان الخطاب في أول الأمر، ثم أخني عليه بالهجاء.

فافتقد - أعزك الله - إنصاف إخوانك وتجنب ظلمهم يصف لك غدير ودهم.

وحدثنا محمد بن العباس الشلمغاني، قال: لما ولد ابن بشر المرثدي كتابة الموفق بالله نقص أحمد بن علي المازري في الدعاء حين كاتبه فكتب إليه:

كلما رمت أن أخلف من كا ... ن أمامي خلقت عمن ورائي
انقضت الدعاء لي منك ما ... زادك الله رفعه في دعائي
فلشن تم ما أراه وأصبح ... ت: وزيراً لتطعمني جزائي
قال: فاعتذر إليه وزاده في الدعاء.

وكان هذا في كلام منثور لمن كان قبل المازري: وكتب آمل لك الرفعه، ولم أدر أنها تكسيني الضرعه، وأرجو لك التروء ولم أدر أنها تؤديني إلى الإضافة، فكان المني طرد العنى، والدعاء سبب التراء. وكتب أبو حفص عمر بن أيوب إلى أبي الحسين أحمد بن محمد بن المديبر يعاتبه في أن دعا له " مد الله في عمرك " :

يا جواداً بالثنا ... وبخيلاً بالعطاء
إن " مد الله في عمرك " من كتب الجفا
ليس يستعمل هذا الصدر بين الأصفيا
فتفضل يا فتي الناس بتفحيم الدعا

وكتب أحمد بن إسماعيل إلى صديق له نقصه في دعائه ولحن في كتابه:
وما أنا والكتاب إلى صديق ... أدين من الوفاء بغير دينه
أعظمه ويحرقني وأدعوه ... له باللفظ يدعوه لي بدونه
وينقصني ولم أنقصه حقاً ... ويخشن لفظه من بعد لينه
فقام كتابه بالرد عني ... لكرهة ما تضمن من لحونه
وقال أيضاً لآخر فعلبه مثل فعله:

رأيت الرياسة مقرونةً ... بلبس التكبر والنخوة
 إذا ما تقمصها معجب ... تنايه في الجهل والخلوه
 ويقعد عن حق إخوانه ... وكلهم مسرع نحوه
 قالوا: وكما أن النقص عن الرتبة مذموم فكذلك طلب الزيادة مكروه، لأن من طالب من الدعاء بما
 فوق محله، تعرض لخططيته من استحقاق. وإسقاط الترتيب جحد للحقوق، وإلحاد للجليل بالدقيق.
 قال: وأنشدني علي بن محمد بن نصر لنفسه في رجل نقصه في الدعاء:
 لساي بالشأن عليك رطب ... وبالمكروره إن أحبت عصب
 أنتقصني الدعاء وذلك شيء ... على مثلي من الأحرار صعب
 فإن عاودته فأجابت عنه ... فما لك إن أساءت إلي ذنب
 وكتب عبد الصمد بن المعدل إلى صديق له كتاباً فيه: " وأمتع

(1/161)

بك " فكتب إليه عبد الصمد، وقد روی هذا لغيره:
 أحلت عما عهدت من أدبك ... أم نلت ملكاً فتهت في كتبك
 أم هل ترى أن في مكاتبتي ال ... إخواني نقصاً عليك في حسبك
 إن جعا كتاب ذي أدب ... يكون في صدره: وأمتع بك
 أتعبت كفيفك في مكاتبتي ... حسبك مما يزيد في تعبك
 ويروى هذا الجواب عن هذا:
 كيف يحول الإباء يا أ ملي ... وكل خير أنا في سببك
 إن كان ذنباً جناه ذو ثقة ... فعد بفضل عليه من أدبك
 فاعف فدتك النفوس عن رجال ... يعيش حتى الحمات في كتفك
 وقد يزيد الرئيس تابعه في الدعاء إذا كان مغيطاً عليه لشيء ضرره أو خالفه فيه، فيجري ذلك مجرى
 الاستهزاء به وليس ذلك مما ذكرناه أولاً.
 وكتب بعض الكتاب إلى بعض الأخلاط من إخوانه، وقد زاده في الدعاء: " علي - أعزك الله -
 الإعظام والهيبة في هذه

(1/162)

الحال، إلى ما لا لم أزل عليه قبلها من الإخلاص والطاعة، وعليك أن لا يمنعك النظر إلى بعين المودة،
 من الأخذ مني لنفسك بحق الرياسة، ومن أطاعك لها رجاء أو هيبة فإين أطيعك لها وداً ومحبة".

ما يتكتاب به الناس اليوم

يكتب الإمام إلى ولي عهد المسلمين: " من عبد الله أبي فلان الإمام الراضي بالله أمير المؤمنين إلى فلان ابن فلان. سلام عليك، فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ويسأله أن يصلني على محمد وآلـه " ، ثم يكتب بما يراد، ثم يقال: " فاعلم ذلك من رأي أمير المؤمنين، وكتب فلان ابن فلان باسم الوزير وباسم أبيه يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا " . ويكتب عن ولي العهد مثل ذلك، إلا أنه يجعل مكان أمير المؤمنين ولي عهد المسلمين. وكذلك كتب الإمام الديواني إلى الوزير.

وأما مكاتبة الوزراء، أمراء الناحية الأجلاء، المساوين والمقارنـين، فهي: " أطال الله بقاءك، وأدام عزك وكرامتك، وأتم نعمته عليك، وإحسانـه إليك وعندك " . وربما زيدت لفظة ونقصـت لفظـة دون هذا قليلاً " أطال الله بقاءك وأعزك أكرـمك وأتم نعمـته عليك وإحسـانـه إليك " . وأول من كتب: " أطل الله بقاء أمير المؤمنين وأدام عزه " سليمان بن وهـب، وكان: " وأعزـه " . ودون هذا: " أـدام الله عـزـك " .

(1/163)

وأطال بقاءك وأدام كرامـتك وأتم نعمـته عليك وأـدامـها لك " . ودون هذا: " كرمـك الله وأـبقاءـك وأـتمـ نعمـته عليك وأـدامـها لك " . ودون ذلك هذا الدعـاء بإسـقاطـه: " وأـدامـها " ، ودون ذلك: " حفـظـك الله وأـبقاءـك وأـمـتعـك " ، ودونـها: " عافـانـ اللهـ وـيـاـكـ منـ السـوـءـ بـرـحـمـتـهـ " . فأـماـ مـكـاتـبـاتـ النـاسـ إـلـىـ الإـلـامـ أوـ إـلـىـ وـلـيـ الـعـهـدـ أوـ إـلـىـ الـوـزـيـرـ، فـيـكـتـبـ: " لـعـبـدـ اللـهـ فـلـانـ بـنـ فـلـانـ، إـلـىـ كـذـاـ أـمـيرـ المـؤـمـنـينـ، سـلامـ عـلـىـ أـمـيرـ المـؤـمـنـينـ وـرـحـمـةـ اللـهـ وـبـرـكـاتـهـ. فـإـنـ أـحـمـدـ إـلـىـ أـمـيرـ المـؤـمـنـينـ اللـهـ الذـيـ لـاـ إـلـهـ إـلـاـ هـوـ، وـأـسـأـلـهـ أـنـ يـصـلـيـ عـلـىـ مـحـمـدـ عـبـدـهـ وـرـسـوـلـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ " ، وـيـكـونـ ذـلـكـ فـيـ سـطـرـيـنـ وـبـعـضـ آـخـرـ، ثـمـ يـقـالـ: " أـمـاـ بـعـدـ أـطـالـ اللـهـ بـقـاءـ أـمـيرـ المـؤـمـنـينـ، وـأـدـامـ عـزـهـ وـتـأـيـيـدـهـ وـكـرـامـتـهـ، وـسـعـادـتـهـ وـحـرـاستـهـ، وـأـتمـ نـعـمـتـهـ عـلـيـهـ، زـادـ فـيـ إـحـسـانـهـ إـلـيـهـ، بـفـضـلـهـ عـنـدـهـ وـجـبـيلـ بـلـائـهـ لـدـيـهـ، وـجـزـيلـ قـسـمـهـ لـهـ " ، وـيـكـونـ فـيـ سـطـرـيـنـ. ثـمـ يـقـالـ بـعـدـ ذـلـكـ: " فـقـدـ كـانـ كـذـاـ " ، لـأـنـ جـوابـ " أـمـاـ بـعـدـ " بـالـفـاءـ فـقـدـ كـانـ كـذـاـ وـكـذـاـ. فـإـذـاـ أـتـيـ عـلـىـ جـمـيعـ الـمـعـانـيـ الـمـخـتـاجـ إـلـىـ الـمـكـاتـبـ فـيـهـ، فـلـغـ إـلـىـ الدـعـاءـ قـالـ: " أـتـمـ اللـهـ عـلـىـ أـمـيرـ المـؤـمـنـينـ نـعـمـهـ وـهـنـاهـ كـرـامـتـهـ، وـأـلـبـسـهـ عـفـوهـ وـعـافـيـتـهـ، وـأـمـنـهـ وـسـلـامـتـهـ، وـالـسـلـامـ عـلـىـ أـمـيرـ المـؤـمـنـينـ وـرـحـمـةـ اللـهـ وـبـرـكـاتـهـ. وـكـتـبـ فـلـانـ بـنـ فـلـانـ يـوـمـ كـذـاـ فـيـ شـهـرـ كـذـاـ " . وـإـلـىـ وـلـيـ الـعـهـدـ وـلـوـزـيـرـ مـثـلـ ذـلـكـ، إـلـاـ أـنـ فـرـقـ بـيـنـ الـإـلـامـ وـبـيـنـهـماـ أـنـ يـكـتـبـ إـلـىـ الـإـلـامـ مـعـ السـلـامـ " وـبـرـكـاتـهـ " وـفـيـ آـخـرـ الـكـتـابـ مـثـلـ ذـلـكـ، وـيـحـذـفـ " وـبـرـكـاتـهـ " إـلـىـ هـذـيـنـ فـيـ التـصـدـيـرـ وـيـشـبـثـ فـيـ آـخـرـ الـكـنـابـ، وـقـدـ ذـكـرـتـ لـكـ فـيـمـاـ تـقـدـمـ " .

(1/164)

ويكاتب الوزير أيضاً الإمام لغير تصدير، إذا لم تكن الكتب منشأة من الدواوين. ويكاتب الوزير في الحوائج لغير تصدير، وإذا كوتب أمير أو قاض: "أطال الله بقاء الأمير أو القاضي"، لم يقل: أما بعد ولا سلام على أحدهما.
ومكاتبنة النظراء تحتمل كل شيء على حسب المودة.

قراءة الكتاب بعد كتبه وما جاء في ذلك.

قال محمد بن يحيى الصولي: حدثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عتاب قال: حدثنا الحسن بن عبد العزيز الجروي قال: حدثنا عبد الله بن يحيى، قال: أخبرنا نافع بن يزيد، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن ابن سليمان بن زيد بن ثابت، عن أبيه، عن جده، قال: "كنت أكتب الوحي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يلقي علي، فإذا فرغت قال: اقرأه، فأقرؤه فإن كان فيه سقط أقامه".
وقال بعض الكتاب: المح كتابك حين تكتبه... واحرسه من وهم ومن سقط واعرضه مرتاتاً لصحته... ما أنت معصوم من الغلط وروي عن الأوزاعي أنه قال: العجم نور الكتاب، وإذا لم يعرض الكتاب، فمثله مثل رجل دخل الخلاء فلم يستنق.

ما جاء في رد جواب الكتاب والخض على التكاثب

قال الصولي: حدثنا أبو القاسم محول المستلمي، قال: حدثنا محمد بن حميد قال: حدثنا حكماً، قال: حدثنا عتبة عن عباس بن

(1/165)

دريح عن الشعبي عن ابن عباس قال: أرى رد الجواب - جواب الكتاب - كرد السلام.
أنشدي عبيد الله بن عبد الله بن طاهر لنفسه:
حق الثنائي بين أهل الهوى ... تكاتب يسخن عين النوى
وفي التداني لا انقضى عمره ... تزاور يشفى غليل الجوى
ونحوه لغيره:
إذا الإخوان فاقهم التلاقي ... فلا صلة بأحسن من كتاب
إذا جاء الكتاب إلى صديق ... فحق واجب رد الجواب
ومن مليح ما قيل في التكاثب:
هل تذكرين إلى التجاوز بیننا ... ثمر على الشجر الذي لم يغرس
إذ سر قلبي في يديك ومثله ... لك في يدي من الفصيح الآخرون
ومن مليح ما قيل في استبطاء أجواب، أبيات كتبت بها في صدر قصيدة لي سيدنا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، وهو إذ ذاك أمير:

ليس يأتي من الأمير كتاب ... ابتداء ولا يرد جواب
 فإذا ما شكوت ذاك وعاتب ... ت: أتاني على العتاب عتاب
 وأطاف الملام ي في الذي قل ... ت: ولم يأتي له إعتاب
 ولسان الذي يغيب كتاب ... ناطق عنه حين عز الخطاب
 فإذا أبطأ الجواب عليه ... فهو كالناطق الذي لا يجاب
 وكمن رده وقد عرفوا منه حضوراً تجهم وعتاب
 عذت بالاعذار إن كان ذنب ... دية الذنب عذرة ومتاب
 ولما خرج يحيى بن عمر من المدينة إلى الكوفة فأقام بها كتب إليه أخيه أحمد بن عمرو
 أيا سيداً قد رماني البعا ... د منه بأمر فظيع عجائب

(1/166)

فلما تماذى رماني الفرا ... ق وطالت بنا مدة الاغتراب
 أقمت الكتاب مقام اللسا ... ن مني فاسمع لقول الكتاب
 كأني أناجييك إن جاءني ... ورود البشير برد الجواب
 ويقال: أجاب عن الكتاب يجيب إجابة، وقالوا: جابة، وفي المثل: "أساء سمعاً فأساء جابة"، ثم
 استعمل في غير المثل، فقال الشاعر:
 أصم الصدى لم يدر ما جابة الرقي ... ولم يمس في ضحك الندى يتبلبل
 وقالوا: أحبيته جيبة. وليس بجودة مما تقدم.
 حدثنا أشعث الضبي قال: كتب رجل إلى صديق له يستبطئ جوابه: "كتبت فما أجبت، وواصلت
 فما واترت، وأضيرت فما وحدت". قال: فكتب إليه صاحبه كتاباً عنونه فلما فتحه إذا فيه:
 الجفاء القبيح أحسن عندي ... من بغرض الخطاب للإخوان
 قال الصولي: قوله: وواصلت كنبي: جعلت واحداً في أثر الآخر، لا زمان بينهما ولا تمكث. فما
 واترت: أي كتبت كتاباً بعد كتاب. وأكثر الكتاب يساوون بين وواصلت الكتاب وواترتكا، وذلك
 جائز على القريب، فاما اللغة فإنها توجب أن المواصلة لا انقطاع بينها، وأن المواترة لابد من انقطاع
 قليل بينها.
 قال الأصمسي:

(1/167)

يقال: ما في سيره ولا وتيه أي ما فيه توقف. وأنشد لامرئ القيس:
 نجاء مجد ليس فيه وTİة ... وتذنبها عنه باسحوم مذود
 وأنشد لكعب بن زهير يصف بعر الناقة:

وسمر ظماء واترخن بعدها ... مضت هجعة من آخر الليل ذبل
وقال: قلت لزيد بن كثرة: ما السمر الظماء؟ فقال: البعرات، جعلني الله فداءك، ظمئت لعطشها
وذبلت. قال: واترخن تحب الوحدة، ثم يكون انقطاع ما، ثم تحب الآخرى، واضبرت وضبرت كتبت
إضباراً كتب وجمعها أضابير. وكذلك إضماماً وجمعها أضاميم مثل أضباراً وجمعها أضابير. وقالت
امرأة من قيس: وقالت امرأة قيس:

ليس بنا فقر إلى التشكي ... إضمامة كحمر إلا بك
أي لنا إبل مجتمعة أو خيل. وقال ابن الأحنف:
كتاب أتاني على نائيها ... يخبر عن بعض نباتها
فنفسي الفداء لهذا الكتا ... ب إن كان خط يملأها
وقال:

يا من جعلت فداه ... ومن براني هواه
وكم قد كتبت كتاباً ... يبكي له من قراء
أنا الفداء ملن خط ... ه ومن أملأه
الشمس أحسن شيء ... رأيته حاشاه
وقال أيضاً:

أيا من لا يجيب إذا كتبنا ... ولا هو يتدبرنا بالكتاب
أما في حق حرمتنا لديكم ... وحق إخائنا رد الجواب

(1/168)

وقال الأحنف:

ما لي أهان ولا تجاف صحائف؟ ... وإلى متى أقصى لديك وأحجب?
ما كان ضرك إذ كرهت إجابتي ... بيديك أن تستوصفي من يكتب
وقال أيضاً:

أعياني الشادن الريب ... أكتب أدعوه فلا يجيب
من أين أبغى دواء ما يبي ... وإنما دائني الطيب
آخر:

كتبت إلى ظلوم فلم تجني ... وقالت: ما له عندي جواب
فلما صرفت فكري أتاني ... وقد غفل الوشاة لها كتاب
وفيه الوصل يشرق جانبه ... وقد رق التأول والخطاب
كتبت إليك والرقباء حولي ... إذا ما مر طير واسترابوا
قوله: وقد رق التأول والخطاب من قول امرئ القيس:
وصرنا إلى الحسى ورق كلامنا ... ورضت فذلت صعبة أي إذلال
 وأنشدني علي بن الصباح:

يا ذا الذي ضن عني ... برقعة ومداد
 ضايقني في بياض ... تزينه بسواد
 وقد أخذت سواد ... ي ناظري وفؤادي
 ومن مليح ما قيل في تأخير الكتاب:
 يا جامعاً شيم السيادة والذي ... ورث النجابة منجباً عن منجب
 أشكو إليك هبيب نار في الحشا ... تصيبي بريح الشوق إن لم تجنب
 ماذا عليك وأنت بحر في الندى ... لوجدت من ماء المداد بمذنب
 تجلو القدى بسواد سطر لائح ... في وجهه غرر الكلام المذهب

(1/169)

أصبحت تدخل بالكتاب فخفت أن ... تلقي الدواة يد وإن لم تكتب
 حتى كأن المخوض جونة حنة ... منها وظهر الدرج ظهر العقرب
 أرضى خلك أن يرى مستعبتاً ... من جفوة ويراك غير المعتب
 ما كتت أخشى أن تضن بكاغد ... عني وقد يقع الذي لم أحسب
 لا تحسن كتبي فكاغد أرضكم ... عين الرخيص وأنت عين المسهب
 وحدثنا علي بن الصباح قال: حدثنا أبو حكيم قال: كان عبد الرحمن بن مسلم الباهلي باراً بزياد بن
 عبد الرحمن القشيري صديقاً له، ثم غاب فلم يكتب إليه، ولم يجهه عن كتاب فقال زياد:
 إخاؤك محض للصديق إذا دنا ... وعابنت مزوج إذا لم تعain
 دنونا فاحمدنا الدنو وربتنا ... بينك والتجريب عند التباین
 فلم يأتنا منك الكتاب تقرباً ... وطاح جواب واصل للقرائن
 فأجايه عبد الرحمن بن مسلم:
 ما ذاك من نخوة ولا صلف ... ولا لصيق في القول والعطاء
 نحن بلوناك في الأمور بما ... تعرف من سيء ولا حسن
 وقد قرناك بالوفاء بما ... تقرن إلا اعترضت بالقرن

من تعاطي الكتابة وادعواها وهو لا يحسنها
 قال أبو بكر من مشهور ما قيل في ذلك:
 حمار في الكتابة يدعىها ... كدعوى آل حرب من زياد

(1/170)

فدع عنك الكتابة لست منها ... ولو غرقت ثوبك في المداد
ولي من أبيات في بعض الكتاب:
إن كانت الكتبة بالشوم ... ورقني الأخطار واللوم
فصغر الحلقة حتى ترى ... وأنت معلوم كمعدوم
فأنت لا شك على ما أرى ... اكتب من في العرب والروم
الدهر ذو ظلم ولكنه ... منك تشكي حال مظلوم
يأنف أن تحييا ولكنه ... تحت قضاء فيك محظوم

حدثني عبيد الله بن عبد الله قال: حدثني فضل البريدي قال: كان ولد محمد بن نصر بن بسام يقرؤون علي الشعر، وكذلك أولاد عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم، وكانوا أدباء، وكان محمد بن نصر وعبد الله منفدين من الأدب، فجلسا يوماً في مجلس فيه أولادهما، ومدت ستارة لم يسمع الناس بأحدق في الغناء من خلفها، وفي المجلس ما يكون مثله في مجالس الخلفاء وأزيد، ففنت صاحبة الستارة شعراً جريراً:

ألا حي الديار بسعدي ... أحب لحب فاطمة الديار
فقال عبد الله لحمد ابن نصر: لولا جهل الأعراب ما معنى السعد هاهنا. فقال محمد: لا تغفل فإنه يقوى معدهم ويصلح أسنانهم. قال: فقال لي علي بن محمد: يا أستاذ واصفع أيما شئت منهما واجعله أبي.
وقال ابن بازان الأصبهاني يهجو رجلاً من كتاب أصبهان

(1/171)

وقد مات ختن له:
كاتب يبكي على ختنه ... دمعه جار على ذقنه
يعلم القرطاس في يديه ... أنه قد شذ عن وطنه
ليس يدرى في كتابته ... ما قبيح الأمر من حسنه
قال الصولي أنسدنا هذا الشعر لعبد الصمد بن المعدل.

دعاء المكاتبات وأصوله وما حمد منه وذم

قد كره قوم من أهل العلم: "أطال الله بقاءك". وروى عن حماد بن زيد أنه قال: أحدثها الزنادقة.
وقال الأصمسي: هي من دعاء الزنادقة. وقيل: أصل ييطل هذا ويطلق التكاثب بها إذا كان الناس كلهم الآن عليها.

حدثنا إسحاق بن إبراهيم البزار، ومحمد بن سعيد الأصم قال: حدثنا علي بن حرب قال: حدثنا زيد بن أبي الزرقاء، عن ابن هبيرة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن معاذ بن أبي خبيبة، عن رفاعة بن نافع قال: شهدت نفراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم علي وطلحة وعمر وعثمان

والزبير وسعد رضي الله عنهم يذكرون المؤودة فقال عمر: أنتم أصحاب رسول الله تختلفون في هذا، فكيف بم بعدكم؟ هم أشد اختلافاً. فقال علي:

(1/172)

إنما لا تكون مؤودة حتى يأتي عليها الحالات السبع. فقال عمر: صدقت أطال الله بقاءك. قال ابن هبعة: المعنى لا تكون مؤودة حتى تكون نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظماً ثم لحماً، ثم يظهر مستهلاً، إذا دفت فقد وئدت، لأن من الناس من قال: إن المرأة إذا أحسست بحمل فتداویت لتسقطه فأسقطته فقد وأدته. فأخبر أن ذلك لا يكون مؤودة، حتى يأتي عليها الحالات السبع.

وقد ذكر الله عز وجل: المؤودة فقال: "إِذَا مُؤْدَدَةٌ، بَأْيِ ذَنْبٍ قُتِلَتْ". وكانت العرب إذا ولد لأحدهم ابنة، دفنتها حية. فيقال: وأدتها يندها وأدأ. فدى صعصعة ابن ناجية الجاشعي خلقاً من البنات، يابل دفعها إلى آباءهن لأنهم كانوا يفعلون ذلك للضر والفقير فقال الفرزدق يفخر بهذا:

وَجَدِي الَّذِي مَنَعَ الْوَائِدَا ... تَفَاحِي الْوَئِيدِ وَلَمْ يَوَادْ
حَدَثَنَا عَلِيُّ بْنُ الصَّبَاحِ قَالَ: حَدَثَنَا أَبُو مُسْلِمِ السَّعْدِيُّ قَالَ: حَدَثَنِي ابْنُ عَلِيٍّ، عَنْ سَوَارِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
الْعَنَيْرِيِّ، عَنْ الْحَسْنِ قَالَ: دَخَلَ الزَّبِيرَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلِيلٌ قَالَ: مَا الَّذِي
بَعْدَكَ جَعَلَنِي اللَّهُ فَدَاؤَكَ؟ قَالَ: "يَا زَبِيرَ أَمَا تَرَكْتَ إِعْرَابِيَّتَكَ بَعْدَ؟"

(1/173)

كأنه كره قوله: جعلني الله فداوك. والفاء يمد ويقصر. وقد روى رافع ب جريج أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم وقد قال: "يكون قوم من أمتي يكفرون بالقرآن وهم لا يشعرون كما كفرت اليهود والنصارى". قال: قلت: جعلت فداك يا رسول الله وكيف ذاك؟ قال: "يقررون ببعض القرآن ويكتفرون ببعضه". في حديث طويل، حدثنا إبراهيم بن عبد الله النميري. قال: حدثنا حاج بن نصیر قال: حدثنا حماد بن إبراهيم الكرماني، عن عطية، عن عطاء بن رافع، عن عمرو بن شعيب، قال: كنت عند سعيد بن المسيب فقال: سمعت رافع بن جريج يقول. وذكر حديثاً طويلاً.

حدثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال: حدثنا عبد الله بن شيث قال: كتب إلي بعض إخواني من البصرة إلى المدينة كتاباً صدره: "أطال الله بقاك كما أطال جفاك، وجعلني فداءك إن كان في فداوك" وتحت ذلك:

كتبت ولو قدرت هو وشوقاً ... إليك لكن سطراً في الكتاب
قال: وكانت الكتب قد يقال فيها: "وأتم نعمته عليك" فلما قال ابن الرقاع العاملي:
صلى الإله على أمرئ ودعته ... وأتم نعمته عليه وزادها

وَزَادَ الْكِتَابَ عَلَى ذَلِكَ: "وَزَادَ فِي إِحْسَانِهِ إِلَيْكَ".
وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ثَعْلَبٌ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ الْأَعْرَابِيَّ يَقُولُ تَقُولُ الْعَرَبَ: "وَهَبْنِي اللَّهُ فَدَاءَكَ" بِعْنَى
جَعْلِنِي فَدَاءَكَ، فَأَمَّا

(1/174)

"وقدمني قبلك" ، فإن أبا تذكوان القاسم بن إسماعيل حدثني قال: سمعت إبراهيم بن العباس يقول: ما أظن قول الكتاب: "وقدمني قبلك" إلا مأخوذاً من قول الأغر بن كابس العبدى في أخيه الصقر:

أخي أنت في دين وقربى كالاهما ... أسر بأن تبقى سليماً وأخر
إذا ما أتى يوم يفرق بيننا ... نموت فكن أنت الذي تتأخر
قال: فقيل لإبراهيم: إن هذا يروى خاتم. فقال: " وما على من لا يدرى شيئاً في نسبته إلى غير قائله ". وهذا وأشباهه كثير. وقد ذكرته مستوفى في كتابي كتاب " اللقاء والتسليم "، الذي كتبت به إلى
القاضي عمر بن محمد بن يوسف.
ومن قديم ما قيل في " قدمت قبلك " : قول حنظلة بن عراة، أنسدناه المغيرة بن محمد المهلي، عن
أبي محلم له يخاطب قومه:
أسعد بن زيد أنطقني رماحككم ... وكنت مجرأ ضحكة للمواشر
فهذا أوان الصبر قد مت قبلكم ... فموتوا حفاظاً بالسيوف البواتر

اللغة في دعاء المكاتبة

التأييد في اللغة النقوية. والأيد القوة، قال الله عز وجل: "بنيناها بأيدٍ" أي بقوة. فإذا قال: وأيدك، فكانه قال: قواك. فإذا قالوا: وتأييده وكلاعته، فإنما قولون وحفظه. وفلان يكلاً القوم يحفظهم، فهو كالي لهم. فإذا قالوا: وزاد في إحسانه وآلائه لديك. فإن الآلاء النعم، واحدتها إلى وألي مثل عنب وأعناب. قال الله

(1/175)

عزم وجل: "فبأي آلاء ربكم تكذبان" أي فبأي نعمه لما عدد في سورة الرحمن نعمه على عباده، أتبعد كل نعمة بذلك توبيخاً من كفر به، وجحد نعمة. فإذا قالوا: "وأدام عزك" فإن العز ضد الذل وأصله المنع، وعز الشيء إذا امتنع وهو من قوله: أرض عزاز إذا كانت صلبة وقولهم "من عز بز" أي من غالب سلب، لأنه يقال بزه كذا أي أخذه منه.

قال الصولي: ودخلت يوماً على بعض الوزراء، وهو يقرأ كتاباً، من عامل له، فمر فيه على "قد علم الله نصحي واجتهادي وإيالي" فقال ما معنى إيالي؟ قلت يزيد حسن قيامي. حدثنا أحمد بن يحيى

ثعلب قال: سمعت ابن الأعرابي يقول: سمعت العرب تقول: آل ايلة فلان يؤوهها أو لا وإيالة إذا كان حسن القيام عليها.

فأما قوله: وجميل بالله لدליך، فإني سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلب وقد سئل عن بيت زهير: رأى الله بالإحسان ما فعلكم ... فأبلاهما خير البلاء الذي يبلو فقال المعنى رأى الله إحسانهما فصنع إليهما خير الصنائع الذي يبتلي به عباده لأنه يبتلي بالخير والشر والصحة والسوء. قال محمد بن يحيى الصولي: وقال أبو عبيدة: فاختبرهما بخير ما يختبر به لا بشره، لأن الاختلاء عنده الاختبار، ومنه "نبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين"، أي ولختبرهم، وقد علم ذلك عز وجل كيف يكون، ولكنه يريد أن يقع منهم فعل له يقع عليه الجزاء والعقاب، لأنه لا يذهب على علمه ماذا فعلوا، فقد علم كيف كان، وعلمه عز وجل سواء فيما يكون وفيما كان إلا أنه لا يوجب الجزاء للعباد، وعليهم على ما يعلم منهم من إحسان وإساءة إلا بعد وقوع الفعل من العباد.

وسائل محمد بن يزيد النحوي عن قول العجاج في الثور:

(1/176)

وفي الحجوز وفتى الولي ... ونية حيث انتوى منوي

قال: يريد الدعاء له كأنه يكون مكان فيه وسي ثم يأتي الولي. ونية يريد وجهة يفتقدها التور حيث انتوى توجيهه منوى، أراد حين ذهب فأي مصرف فاعلاً إلى مفعول فيريد رزق تبناً بهذا المطر حيث توجه إما دعاء له وإما إخبار عنه وعن حاله، فكان هذا عندي مما تفرد بالقول فيه حتى أنسدنا أح مد بن يحيى ثعلب بعد ذلك للأعشى أغشى شيبان:

يا عمرو اقصد نواك الله بالرشد ... وأقر السلام على الإبقاء والقصد
وبك عيشاً تولى بعد جدته ... طابت أصائله في ذلك البلد

فقيل له: ما معنى نواك الله؟ فقال: رعاك الله الرشد حين انتوت وحين نويت، فصح ذلك عندي، وعلمت أنه من كلام العرب.

ومن ملح ما قيل في "مت قبلك" ما حدثنا به المبرد قال: كنت عند أبي العباس بن ثوابه، فوردت عليه رقعة البحترى وفيها:

اسلم أبا العباس واب ... ق ولا أزال الله ظلك
وكن الذي يحيا لنا ... أبداً ونحن نموت قبلك

(1/177)

لي حاجة أرجو لها ... إحسانك الأولي وفضلك
والحمد مشترط علي ... لك قضاءها والشرط أملك

فلئن كفيت مهمها ... فلمثلها أعددت مثلك
فكتب إليه: قد قضاها الله، ولو أفيت المال، وهدمت الحال.

التاريخ وما قيل في معناه

تاريخ كل شيء غايته ووقته الذي ينتهي إليه، ومنه فلان تاريخ قومه في الجود أي الذي انتهى إليه ذلك.

وسئل بعض أهل اللغة ما معنى ذلك فقال: معنى التأخير. وقال آخر هو إثبات الشيء. وبقال:
ورخت الكتاب توريخاً لغة قيم، وأرخنه تأريخاً لغة قيس. وتاريخ وتاريخان وتاريخ. وأرخ كتابك هذا
وورخه.

ولكل نبوة وملكة تاريخ: فأما العرب فكانوا يؤرخون بالنجوم قديماً؛ وهو أصل، ومنه صار الكتاب يقولون: نجمت على فلان كذا حتى يؤديه في نجوم. وأنجمة جمع نجوم. والعرب تحص بالنجم الشريا،
يقولون إذا طلع النجم يربدون الشريا ومنه قوله:
طلع النجم غديه ... فابتغى الراعي كسيبه
والنجم بعد هذا سائر النجوم يدل الواحد على جميعها، كما يقال: أهلك الناس الدينار والدرهم يراد
الجنس. وعلى هذا قرأ أبو عمرو بن العلاء: " وسيعلم الكافر من عجي الدار "، والنجم ما نجم من
النبات، ومن الرأي ما ظهر وهو غير هذا.
وكانت العرب تُورخ بكل عام يكون فيه أمر مشهود متعارف،

(1/178)

فأرخوا بعام الفيل، وفيه ولد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان في السنة الثامنة والثلاثين من ملك
كسرى أنتو شروان.
وأرخت العرب بعام الخنان لأنهم تماوتوا فيه، وعظم عندهم أمره فقال النابغة الجعدي:
فمن يك سائلأً عني فإني ... من الشبان أيام الخنان
مضت مائة لعام ولدت فيه ... وعشرين بعد ذاك وحجستان
وأرخت قريش بموت هشام بن المغيرة المخزومي جلالته فيهم، ولذلك قال شاعرهم:
وأصبح بطن مكة مقشعراً ... كان الأرض ليس بها هشام
وروبي عن الزهري والشعبي، أنبني إسماعيل أرخوا من نار إبراهيم عليه السلام إلى بنائه البيت، حين
بناه مع إسماعيل، وأنبني إسماعيل أرخوا من بناء البيت إلى تفرق معد. ثم كانوا يؤرخون بشيء شيء
إلى موت كعب بن لؤي. ثم أرخوا بعام الفيل إلى أن أرخ عمر بن الخطاب رضي الله عنه من هجرة
النبي صلى الله عليه وسلم.
وكان سبب ذلك أن أبا موسى كتب إليه: إنه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب ليس لها تاريخ، فلا
ندرى على أيها نعمل.

وروي أيضاً أنه قرأ صكاً ملئه شعبان. فقال: أي الشعابين الماضي أم الآتي؟ فكان سبب التاريخ من الهجرة، بعد أن قالوا: نؤخر بعام الفيل، وقالوا: من المبعث، ثم أجمع الرأي على الهجرة. وقالوا ما يكون أول التاريخ؟ فقال بعضهم: شهر رمضان، وقال بعضهم: رجب فإنه شهر حرام والعرب تعظمه، ثم أجمعوا على الحرم، فقالوا: شهر حرام وهو منصرف الناس من الحج. وكان آخر الأشهر الحرم فصيروه أولاً لأنها عندهم ثلاثة سرداً ذو القعدة وذو الحجة والحرم، والفرد رجب، فكان الأربعة تقع في سنتين، فلما صار الحرم أولاً وقعت في سنة.

قال الصولي وسألت أبا ذكوان عن أرخت وورخت. فقال: مثله أكدت الأمر تأكيداً، ووكلته توكيضاً لغة تقييم، وبما نزل القرآن: " ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ". وأما التاريخ بلغة قيس فهو الذي يستعمله الناس، وأما التواريخ لغة تقييم فيما استعمله كاتب قط، وإن كانت العرب تتكلّم به.

وغلبت العرب الليلي على الأيام في التاريخ، لأن ليلة الشهر سبقت يومه ولم يلدتها ولولدهن ولأن الأهلة لليلي دون الأيام، وفيها دخول الشهر، وما ذكرهما الله عز وجل إلا قدم الليالي قال الله تعالى: " سخروا عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً ". وقال: " يوج الليل في النهار ويوج النهار في الليل ". وقال جل اسمه: " سيروا فيها وأياماً آمنين ".

والعرب تستعمل الليل في الأشياء التي يشاركتها فيها النهار دون النهار، لاستثنائهم الليل فيقولون: أدركني الليل بموضع كذا هبته. وقال النابغة: فإنك كالليل الذي هو مدركي ... وإن خلت أن المنتأ عنك واسع وقالوا: صمنا عشرة من شهر رمضان، وإنما الصوم للأيام، ولكنهم أجازوه إذ كان الليل أول شهر رمضان. وأنشد أبو عبيدة:

فصامت ثلاثة من مخافة رها ... ولو مكثت خمساً هناك لصلت وأما الشهور فإنها كلها مذكورة، إلا جمادى الأولى وجمادى الآخرة، ويكتبون من شهر كذا إلا في ثلاثة أشهر، يكتبون في شهر رمضان لقول الله عز وجل: " إن كنتم تعلمون شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن " . ويقولون: في شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر، لأن الربيع وقت من السنة، فخالفوا إذا قالوا: من ربيع ولم يذكروا الشهر أن يظن أنه من الوقت. قال الراعي: شهري ربيع ما تذوق لبونكم ... إلا حموضاً وحمةً وذوبلاً كل ما انكسر واسود من البيت فهو ذوبان. فإذا رأوا الهلال أول ليلة كتبوا " وكتب ليلة الجمعة غرة كذا ومستهل شهر كذا ومهل شهر كذا " ، لأنهم يقولون: استهل الهلال، وأهل الهلال، ولا يقولون: هل ولا أهل ولا مستهل،

ومن قال ذلك فقد أخطأ.
 والاستهلال الصوت والصياح، ومنه استهلال الصبي صياحه وبكاؤه إذا ولد. فلما كانوا يكبرون عند رؤية القمر كل أول ليلة من الشهر وفي أول سائر الشهور لترحهم بمضي الخارج من وقت الحج، وسرورهم بالموسم، نسبوا الرؤية إلى فعلهم فقالوا: استهل وأهل، وسموا القمر هلاً لهذا المعنى.
 وأهل مكة يجتمعون ويوقدون النار ويلعب ولدوكم وعيدهم عندها كل أول ليلة، من سائر الشهور، إلى وقتنا هذا لفرحهم بقرب وقت الحج.
 ويكتبون ليلة الإهلال لغرة كذا ولا يكتبون لليلة خلت، ولا لليلة مضت إلا من الغد لأن الليلة قد مضت. وإن كتبوا يوم الجمعة قالوا: أول يوم شهر كذا، ولا يكتبون مستهل ولا مهل لأن الهلال إنما يرى بالليل. ويكتبون في اليوم الثاني لليلتين مضتنا، فإذا جاز ذلك، كتبوا لثلاث خلون وأربع مضين، وكتبوا لثمان خلون في حذفون الياء ويشتون الألف في الخط.
 فإذا أضافوا الليالي أثثوا الياء للإضافة، لأنه لا يكون تنوين مع إضافة وإنما سقط الياء للتنوين، فيسقطون الألف عند ذلك في الخط، فيكتبون لثمان ليال، ومنهم من يشتتها. وسنذكر ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى.
 وإنما أنثوا إلى قوله: لعشر خلون، لتقدم الليالي على الأيام كما ذكرت، فإذا جاوز العشر قالوا:
 لإحدى عشرة ليلة خلت ومضت ولا ثنتي عشرة ليلة. وإنما قالوا: ههنا خلت ومضت لأن الترجمة

بليلة فوحدوا الفعل لذلك. ويكتبون: خمس عشرة ليلة خلت، وإن شاؤوا كتبوا: للنصف من شهر كذا، ولا يكتبون خمس عشرة ليلة بقية، كرهوا ذلك لأنه شبيه الاستثناء، ولا يكون إلا أقل مما استثنى منه، ولكن يكتبون بعد النصف بيوم: لأربع عشرة ليلة بقية. وقد كره أهل الورع ذلك، لأنهم لا يدركون كم بقي لنقصان الشهر وتمامه فيكتبون: لإحدى وعشرين ليل خلت، والكتاب على غير هذا. فإذا كان آخر ليلة من الشهر كتبوا: سلخ كذا لأنهم يقولون: انسلح الشهر انسلاخاً، وسلخت أشهر كذا سلخاً وسلوخاً. ولو كتب كاتب في ربيع الأول ولم يقل في شهر، أو في رمضان ولم يقل في شهر، جاز وليس بالمحظى. قال الشاعر:
 جارية في رمضان الماضي ... تقطع الحديث بالإعراض
 ولا يدخلون في شهر من الشهور الألف واللام إلا في الحرم

لأنه أول السنة معروفة لذلك كأنهم قالوا: هذا الذي يكون أبداً أول السنة. ولا يكتبون: للليلة بقيت وأنت فيها كما لم يكتبوا: للليلة خلت وأنت فيها.
والعرب تسمى أول ليلة من الشهر ليلة البراء لبرء القمر من الشمس، ويسمونها التحيرة، لأن الهلال نحرها، أي رؤي في نحرها وأولها. قال ابن أحمر:
ثم استمر عليها واكتف هم ... في ليلة نحرت شعبان أو رجب
نحرت شعبان كان في نحره وصدره لأنها أوله كما نحرها الهلال إذا رؤي في أولها، وتحيرة فعيلة من نحرت مثل قتلت فهي قبيلة.

قال بعض الكتاب: التاريخ عمود اليقين، ونافي الشك، وبه تعرف الحقوق وتحفظ العهود.
قال: ولا يقع التاريخ في شيء من الكتب السلطانية من رئيس أو مرؤس إلا في أعجاذ الكتب. وقد يؤرخ النظير والتتابع ما خلص من الكتب في صدورها.
وقيل: الكتاب بغير تاريخ نكرة بلا معرفة، وغفل بغير سمة. قال بعض الشعراء في تاريخ وفاة:
وكان يؤرخ علم القرو ... ن فيها هو ذا اليوم قد أرخا
فأما الذي يروي للمستوغر بن ربيعة فهو قوله - وهو عجيب من العمر في مثل زمانه:
ولقد سمعت من الحياة وطوها ... وازدلت من عدد السنين سينينا
مائة أنت من بعدها مائتان لي ... وازدلت من عدد الشهور مئينا

(1/184)

هل ما بقي إلا كما قد فاتنا ... يوم يكر وليلة تخذلنا
ويقال: سبت وسبتان وأسبت وسبوت وأسبات وأسبات وأسبايت. وأحد وأحدان وأحداد
وآحداد وأحدادات. واثنين واثنيان وأثنان وأثنين. وثلاثاء وثلاثاؤان وثلاثوات. وأربعاء وأربعاؤان
وأربعاواعات. وخميس وخميسان وأخمسة وخميسات. و الجمعة وجمعتان وجمع وجماعات.
ومحرم ومحرمات ومحاريم ومحارم، وصفر وصفران وصفرات وصفاري وأصفار وصفارين، وربيع
وربيعان وربيعات وأرابيع، وتقول: شهر رباع وشهرها رباع وأشهر رباع، وجمادي وجماديان وجماديات،
ورجب ورجبان ورجبات وأرجبة وأرجاب وأرجب ورجائب ورجابي. وشعبان وشعبانان
وشعبات وشعابين. ورمضان ورمضانات ورمضانات وأرمضنة وأرمضة وأرميضا ورماضي ورماضين،
وشوال وشوالان وشوالات وشواويل، وذو القعدة وذوا القعدة وذوات القعدة وذو القعدة، وذو
الحججة مثله.

وتقول: أكربت الدار مشاهرة ومساكحة ومية ومناهرة وملايلة ومساعدة من الساعات.
قال أبو بكر محمد بن يحيى: حدثني محمد بن سهل الأحوال ابن أبي يوسف قال: سمعت ابن إسرائيل
يذكر قلة مدة الوزراء فقال: كان هذا الأمر مزامنة، ثم صار معاومة، ثم صار مشاهرة، ثم

(1/185)

صار مياومة، ثم صار مسا وتلجلج ثم قال: مساعات، وأخطأ أراد مساوعة فلم يفهم.

الترجمة في المكاتبة

أصل هذه اللفظة فارسية، وكذلك الترجمان، وقد تكلمت بها العرب بعد ذلك وعربتها. وإنما ذكرها هنا لأن أحاب أن لا يصرف كتابي هذا من شيء يحتاجه الكاتب. فأنا الآن أعمل منها باباً أقربه جهدي على من يريد معرفته ليعلم كيف وجه الترجمة، فيعمل منها بعد هذا ما أراد. وهي شبيهة بالمعجم وهو ما يكتفى من الشعر كأن يسمى الألف فاخته، والباء صقراً، والباء عصفورةً ثم يردد الحروف على هذا وترجمت له الأمر أوضحته له. فحرف الله تعالى بـ تـ ثـ تسعة وعشرون حرفـ أوـ هـ الأـ لـ فـ، وهي همة لأنه لا يبدأ إلا بمحرك والألف ساكنة لا تتحرك.

وقال أحمد بن يحيى: من أجل ذلك قالوا بعد أن أتوا بالألف واللام ليعملوا أن هذه هي الألف الحقيقة، وهي التي تقع في آخر حتى ومتى وفي حياة وزكاة. فالحروف مع هذه تسعة وعشرون، ومنازل القمر في كل شهر ثانية وعشرون منزلًا، ثم يستهل، فجعلت القمر تماماً ليكمل تسعة وعشرين منزلًا بإزاء كل حرف منزل.

حدثني عون بن محمد الكندي قال: حدثنا العباس بن هشام بن محمد بن السائب الكلبي، عن أبيه، عن جده، عن

(1/186)

أبي صالح، عن ابن عباس أنه قرأ: "والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم". فقال: هي ثمانية وعشرون منزلًا ينزل القمر كل ليلة منزلة منها وهي: الشرطان، والبطين، والثريا، والدبران، والhecqua، والهمنعة، والذراع، والنشرة، والطرف، والجبهة، والزبرة، والصرف، والعواء، والسماك، والغرف، والزباني، والإكليل، والقلب، والشولة، والنعائم، والبلدة، وسعد الذابح، وسعد بلع، وسعد سعود، وسعد الأخبية، والفرغ المقدم، والفرغ المؤخر، وبطن الحوت، والقمر. فأتمتها بالقمر، حتى ساوت الحروف.

إذا أردت أن تكتب "أنا" كتبت: "السرطان، سعد الأخبية، الشرطان". فإذا أردت أن تتبعها بإليك، كتبت: "السرطان، سعد بلع، القمر، سعد الذابح". فقس على هذا جميع ما يرد عليك إن شاء الله.

الديوان

قال الصولي: هو اسم فارسي تكلمت به العرب فقالوا: ديوان ولم يقولوا: ديوان بفتح الدال، كما قالوا: ديماج ولم يقولوا ديماج.

قال الصولي: حدثنا أبو العيناء قال: حدثي الأصمعي قال: كنا عند أبي عمرو وعمنا خلف الأحمر، فقال له رجل أسمعت من يقول ديوان بفتح الدال؟ فقال أبو عمرو: ولو جاز هذا لقالوا في جمهه: دياوين. فقال خلف: قد سمعت بعض حمير ينشد: عديني أن أزورك أم عمرو ... دياوين تششقق بالمداد

قال أبو عمرو خلف: إن حمير لم يفدها هواء نجد. قال أبو العيناء: فسئل الأصمعي عن معنى البيت فقال: يعني أنه في بعث قد كتب اسمه فهو يخشى أن يحل به فيسقط.

قال محمد بن يحيى الصولي: والمعنى في أنه لو كان الواحد ديوان، جمعوا دياوين، إن الياء تكون صحيحة أصلية، مثل ريحان ورياحين، فإذا قالوا: ديوان كان الياء زائدة، فإذا جمعوا افتتحت الدال فقالوا: دواوين، وهذا الصواب لأنهم يقولون: دون هذا فالواو أصلية كما

قالوا: ميزان والأصل موزان، لأنه من الوزن، فالواو أصلية، فمن أجل استئقامهم الكسرة مع الواو، قالوا: ميزان قلبا الواو ياء فلما جمعوا قالوا: دواوين ردوا الواو لأنفتاح الدال. قال الشاعر:

يا زين كتاب الدواوين ... وفي سوف الخرد العين
يا فتنة سيقت إلى فتية ... عزاب كتاب مساكين

وكان سبب تدوين الدواوين، أن أبا بكر رحمة الله، لما تولى الأمر جاءه مال من البحرين، بعد أن وعد كل من له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عدداً به، فأعطي جابر بن عبد الله عدداً كانت له.

وجاء مال البحرين فقسمه، فأخذ الرجل عشرة دراهم والمرأة كذلك والعبد كذلك. جاء في العام الثاني أكثر من ذلك، فأصابهم عشرون درهماً لكل واحد منهم، فتكلمت الأنصار في ذلك فقالوا: نصرنا وأوينا فضلنا، فلم تساوي بيننا وبين من ليس له شيء مما لنا؟ فقال أبو بكر: صدقتم ذاك لكم، فإن كنتم عملتموه لله فدعوا هذا وإن كنتم فعلتموه لغيره زدتكم، فقالوا: عملناه لله وانصرفوا.

حدثنا الغلاي قال: حدثنا عبد الله بن الصبحان عن الهيثم بن عبيدي عن عوانة قال: جاء مال من البحرين إلى أبي بكر رضي الله عنه، فساوى فيه بين الناس، فقضبت الأنصار وقالوا: فضلنا، فقال لهم أبو بكر: صدقتم إن أردتم أن أفضلكم فقد صار ما عملتم للدنيا، وإن شئتم كان ذلك لله والدين! فقالوا: والله ما عملناه إلا لله وانصرفوا. فرقى أبو بكر المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال:

" والله يا عشر الأنصار، لو شئتم أن تقولوا: إنا آويناكم وشاركتناكم في أموالنا ونصرناكم بأنفسنا لقلتم، وإن لكم من الفضل ما لا نخصيه عدداً وإن طال به الأمد، فتحن وأنتم كما قال الغنوبي:
جزى الله عنا جعفراً حين أزلفت ... بنا نعلنا في الواطئين فرلت
أبوا أن يملونا، ولو كانت أمنا ... تلاقي الذي يلقون منا ملت
هم أسكنونا في ظلال بيتهم ... ظلال بيوت أدفات وأكنت "
ثم توفي أبو بكر رضي الله عنه، وقام عمر بعده، فأتى أبو هريرة بمال من البحرين، وكان مبلغه ثمانمائة ألف درهم، وفي أخرى خمسمائة ألف درهم خطب الناس فقال: " إنه قد جاءكم مال، فإن شئتم كلته لكم كيلاً، وإن شئتم عدتنا لكم عدداً "، فقال له الفيزران - وروي أن غيره قال له - إن العجم تدون ديواناً لهم يكتبون فيه الأسماء وما لواحد واحد. فأمر باتخاذ الديوان.
وقد روي أن عمر بعث بعثاً فقال له الفيزران: إن تختلف من هذا البعث أحد كيف تصنع به وكيف يعلم عاملك بخبره؟ قال: فما ترى؟ فأشار بالديوان فعمله، وجعل المال في بيت مال، وجعل الأرزاق مشاهرة، وكل ذلك برأي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتماع منهم فكان هذا أوله. ثم كثر المال عليه، فقالوا: من تبدأ؟ قال: أشروا على. فقالوا: أبدأ في الكتاب والقبض بنفسك. فقال: بل بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب عائشة في اثنين عشر ألفاً في كل سنة، وكتب سائر أزواج النبي صلى الله

(1/190)

عليه وسلم في عشرة آلاف، لكل واحدة وكتب بعد أزواج النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم علي بن أبي طالب صلوات الله عليه في خمسة آلاف، ومن شهد بدرأً من بن هاشم، ومن موالיהם، ثم كتب عثمان بن عفان في خمسة آلاف، ومن شهد بدرأً من بنى أمية وموالיהם على سواء.
ثم قال: قد بدأت بآل الرسول صلى الله عليه وسلم وبآقاربه فيما ترون أن نبدأ بعدهم؟ فقالوا: بنفسك. قال: بل بآل أبي بكر فكتب طلحة في خمسة آلاف وبلاً في مثلها. ثم قال للناس: من أبدأ؟ قالوا بنفسك. قال: صدقتم فكتب لنفسه، ولمن شهد بدرأً من بطون قريش، خمسة آلاف خمسة آلاف. ثم كتب لمن شهد بدرأً من الأنصار أربعة آلاف أربعة آلاف. فقالوا: قصرت بنا عن إخواننا المهاجرين. فقال عمر: لا أجعل الدين قال الله: " للفقراء والمهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يتغعون فضلاً من الله ورضواناً وبنصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون " كمن كانت الهجرة في داره، فرضوا. ثم كتب لمن شهد أحدها بثلاثة آلاف لكل واحد منهم. ثم فرض لمن شهد فتح مكة في ألفين ألفين. وأنشد الطالقاني:
يا قمر الديوان يا ... من صرت فيه علمأً
كأنما في كبدي ... أنت تحر القلما
وقال مجnoon بنى عامر يذكر أن للرقباء دواوين عليه:

إني أرى عائدات الحب تقتلني ... وكان في بدئها ما كان يكفي
في كل منزلة ديوان معرفة ... لم تبق باقية ذكر الدواوين

(1/191)

تحويل الديوان من الفارسي إلى العربي

قال أبو بكر: حدثنا القاضي عمرو بن تركي قال: حدثنا الفحذمي قال: كان بالبصرة والكوفة ديواناً لإعطاء الجند والمقاتلة والذرية بكتاب بالعربية، وديوان بالفارسية. وبالشام ديوان بالعربية مثل ذلك، وديوان بالروممية. فتحول ديوان العراق إلى العربية أبو الوليد صالح بن عبد الرحمن البصري، وهو مولىبني مروة بن عبيد منبني سعيد بن زيد منة بن قيم وكان من سيي سجستان. وكان صالح يكتب لزادان فروخ على الدواوين أيام الحجاج، وكان أول من جمع له الغزارة أن زياداً قال: فاستكتب عليها زادان فروخ الأعور، فمقي إلى هذا الوقت قال: فلما رأى الحجاج ذكاء صالح قربه، فقال لزادان فروخ: إن الأمير يقدمني عليك، وأنت سببي منه، وما أحب ذلك، فلم يزل يؤخره عنه والحجاج يطلبه، فقال له زادان فروخ: لا بد للحجاج مني لأنه لا يجد من يقوم بحساب ديوانه غيري، فقال له صالح: إنه إن أمرني بنقل الحساب إلى العربي فعلت، قال: فانقل شيئاً منه بين يدي ففعل، فقال زادان فروخ: لكتابه الفرس التمسوا مكسباً غير هذا.

قال وقدم الحجاج صالح قلب صالح الديوان إلى العربي وكان كتاب العراقيين كلهم غلمانه وتلاميذه. وكان ديوان الشام إلى سرجون بن منصور، وكان رومياً نصرانياً، كتب معاوية ولمن بعده إلى عبد الملك بن مروان، ثم رأى عبد الملك منه توانيأ، فقال عبد الملك لسليمان بن سعد مولي

(1/192)

حسين - وكان على مكاتبات عبد الملك والرسائل: ما أحتمل سحب سرجون، أفما عندك حيلة في أمره؟ فقال: بلى أنقل الحساب إلى العربية من الرومية، فقال: افعل. فتحوله، فولاه عبد الملك جميع دواوين الشام وصرف سرجون فلم يزل سليمان بن سعد على ذلك إلى أيام عمر بن عبد العزيز رحمه الله. ثم إن عمر بن عبد العزيز وجد عليه فعزله، واستكتب مكانه صالح بن كثير الصدائي من أهل طبرية.

قال الصولي: حدثنا علي بن الصباح يقول: سمعت الحسن بن رجاء يقول: ناظر فارسي عربياً بين يدي يحيى بن خالد البرمكي فقال الفارسي: "ما احتجنا إليكم فقط في عمل ولا تسمية، ولقد ملكتكم فيما استغبتم علينا في أعمالكم ولا لغتكم، حتى إن طبیخكم وأشربتكم دواوينكم وما فيها على ما سمعينا، ما غيرموج كالإسفيداج والسكباج والدوغباج، وأمثاله كثيرة وكالسكنجبين والخلنجيين والجلاب، وأمثالها كثيرة وكالروزنامج والاسكدار والفراونك، وإن كان رومياً ومثله كثير، فسكت عنه العربي. فقال له يحيى بن خالد: قل له: "اصبر لنا نملك كما ملكتكم ألف سنة بعد ألف سنة كانت قبلها لا

نحتاج إليكم ولا إلى شيء كان لكم".

قال: وما سمعته العرب فاحتاجت إلى استعماله في نظم أو نثر، فقد أعتبرته فصار عربياً بتكلمها به وإن عرّجها إياه. لا ترى إلى أمرى القيس لما خرج يريد ملك الروم فرأى الفراونك، وفعله وإن مقطوع الذنب كيف وصفه وعريه فقال في قصيده التي أوطاها:

(1/193)

سما لك شوق بعد ما كان أقصرا
فقال فيها:

إذا قلت روحنا أرن فرانق ... على جلعد واهي الأباجل أبتراء

بکی صاحبی لما رأى الدرب دونه ... وأيقن أنا لاحقان بقيصراء

قال أبو بكر: واعتذرني خبر لطيف في الفرقان ليس من الكتاب فذكرته: حدثني عون بن محمد الكلندي، قال: كان ابن شاهك عدواً لأحمد بن أبي أمية، وكان فيه تأنيث فولاه إسحاق بن إبراهيم عملاً، فقال ابن أبي أمية يخاطب إسحاق ويدرك ابنه بابن شاهك، وجعل الذي رماه به كالفرقان، وما معه كاشريةطة فقال له:

قال "للامير ادام الله نعمته ... قوله له عند أهل الرأي تحصيل
إن ابن شاهك قد وليته عملاً ... أضحي وحقك عنه وهو مشغول
بسكة أحدثت ليست بشارعه ... تفضي إلى عرصة في جوفها ميل
يرى فرانقها في الركض مندفعاً ... ينوي خريطنه والبغل مشكول
وهذا نحو قول أعرابي يصف صاحباً له، تزوج فلم يفق ليله فأنسد:

(1/194)

فبات يسري ليله ولم ينم ... ولم يجاوز سيره قيس قدم
وأنشد هارون بن عبد الله للدعبل، يهجو الحسن بن وهب، لما ولـي البريد بنـحو قول ابن أبي أمية:
ألا أبلغ أمير المؤمنين محمداً ... رسالة ناء عن جانبيه شاحط
بأن ابن وهب حين يشحـج شاحـج ... يمر على القرطاس أقلام غالـط
أحب بغالـ البرد حـباً مـداخـلاً ... دعـاه إـلـى غـشـيـاـنـها فـي المـراـبـطـ
ولـولا أمـيرـ المؤـمنـينـ لـأـصـبـحـتـ ... أـيـورـ بـغـالـ البرـدـ حـشـوـ الخـرـائـطـ
وقد هـجاـ عبدـ الرـحـمـنـ بنـ عـائـشـةـ مـيمـونـ بنـ إـبرـاهـيمـ صـاحـبـ البرـيدـ بنـحوـ معـنىـ ابنـ أبيـ أمـيةـ فـقـالـ:
أـلاـ قـولـاـ لمـيـمـونـ مـقاـلاـ ... يـدـبـرـ الـحـكـيمـ بـجـسـنـ عـقـلـهـ

أما ينهاك شيك عن كتاب ... شغلت بخارة عنا ودخله
يحيء به الفرائق مستعداً ... بغير يد فيأخذ برجله

(1/195)

الجزء الثالث وجوه الأموال التي تحمل إلى بي المآل وأصنافها ولمن تجب الأموال ثلاثة

الفيء ووجوهه خمسة: منها ما أفاء الله على المسلمين، مما يجدونه في المدينة التي تفتح، بعد سكون الحرب، وانتقال الدار من اسم الكفر إلى الإسلام، فذلك فيء وليس بغنية، كالمال الذي فعل عمر رضي الله عنه في كنز الفخيران، وقد أتى به السائب، وقد ولاه قسمة الغنائم بنهاؤنده، لما فتحها الله على المسلمين، جمع السائب الغنائم فقسمها، ثم جاءه من دله على الكنز، فاستخرجه، وكان سفين من جوهر فأتى بما عمر رحمه الله، فأمره أن يبيعهما ويقسم ثعهما بين الذرية، ولم يأمره أن يخمسه، فتبين أنه جعله فيما لم يجعله غنيمة.

والوجه الثاني: الجزية جزية رؤوس أهل الذمة.

والوجه الثالث: ما يؤخذ من نصارى تغلب وهو الزكوة مضاعفة.

والوجه الرابع: ما يؤخذ من تجارات أهل الذمة التي يختلفون فيها.

(1/198)

والوجه الخامس: ما يؤخذ من تجارات المشركين الذين يدخلون بلاد الإسلام بعهد. يؤخذ من تجارات أهل الذمة نصف العشر، ومن تجارات المشركين العشر.

والمال الثاني: الخمس ووجوهه أربعة فأولها الركاز، وهو دفن الجاهلية والكافر القدماء، إذا وجده إنسان أدى إلى السلطان خمسه وكانت له أربعة خمسه.

والثالث: المعدن وهو الموضع الذي يوجد فيه الذهب والفضة والرصاص والنحاس والحديد، وقد اختلف فيه، فقال أهل العراق: فيه الخمس كالركاز، وقال أهل الحجاز فيه الزكاة معجلة.

والثالث: ما استخرج من البحر من العنبر والملؤ، وقد اختلف فيه، فقال أهل العراق: لا شيء فيه وهو بمنزلة المسك. وروي عن عمر رضي الله عنه أن يعلى بن منهه كتب إليه، وهو على اليمين، أن رجلاً وجد عنبرة على ساحل البحر، فكتب إليه عمر أنها سبيبة من سيف الله، فيها وفي كل ما أخرج البحر، من حلبه الخمس. وقال ابن عباس رضي الله عنه: ذاكرأي.

والرابع: كل ما غنمته المسلمون من مال المشركين فيه الخمس.

والمال الثالث: الصدقة وهي في العين من كل عشرين ديناراً نصف دينار، وفي الورق من كل مائتي درهم وهو ربع العشر، والللي ما كان منه جوهرأ، فلا شيء فيه، وما كان ذهباً أو فضة ففيه ربع

العاشر، وكذلك كل ما يركب لا زكاة فيه.
والملماليك لا زكاة فيهم إلا زكاة الفطر. فإن كانوا للتجارة، كانت

(1/199)

فيهم الزكوة، ولم يكن فيهم زكوة الفطر، وزكوة هذا كله أن يقوم ويؤخذ ربع عشر قيمته.
وفي الإبل، إذا بلغت خمساً شاة، وإذا بلغت عشرة شاتان، وإذا بلغت خمس عشرة ثلات شياه، وإذا
بلغت عشرين ففيها أربع، فإذا بلغت خمساً وعشرين ففيها بني مخاض، فإن لم تكن ابنة مخاض فابن
لبون إلى خمس وثلاثين، فإذا زادت واحدة ففيها ابنة لبون إلى خمس وأربعين، فإذا زادت واحدة ففيها
حقة إلى ستين، فإذا زادت واحدة ففيها جذعة إلى خمس وسبعين، فإذا زادت واحدة ففيها حقتان إلى
مائة وعشرين، ثم يكون في كلأربعين ابنة لبون، وفي خمسين حقة.
وبعض الفقهاء يقول: تستأنف الفريضة بعد المائة والعشرين كما كانت في الابتداء لكل خمس شاة.
وفي الغنم، في كل أربعين شاة، ثم ليس فيها شيء، حتى تزيد على عشرين ومائة، فإذا زادت واحدة
ففيها ثلات شياه إلى ثلاثة ثم يكون في كل مائة شاة، ولا يؤخذ من الزيادة شيء حتى تكمل مائة
ويحول عليها الحول وهي على هذا التمام.
وفي البقر وجوميسها في ثلاثين بقرة تبيع أو تبيعة، وهو جذع أو جذعة، وفي كل أربعين مسنة، وليس
فيما بين الثلاثين إلى الأربعين شيء، وفي كل سبعين تبيع أو تبيان، وليس فيما بين الأربعين والستين
شيء، وحسابها بعد في كل ثلاثين تبيع أو تبيعة، وفي كل أربعين مسنة، ولا زكوة في شيء مما ذكرنا
حتى تكون سائمة، والسائمة الراعية التي ترعن في كلام المسلمين، الذين هم فيه

(1/200)

سواء، فأما من لم يوجد شيئاً من ذلك يعلمه ويكونه من ماله، فلا زكوة فيه وإن كثرا.
وقال أهل الحجاز: لا زكوة في خيل ولا رقيق، إلا زكوة الفطر التي تلزم الأحرار، ولا في شيء من
دواب الوحش، ولا زكوة في لؤلؤ ولا ياقوت ولا مرجان ولا لباس ولا في شيء من العروض، إلا زكوة
التجارة، فهي على ما سميت لك فقس على ذلك.
وصدقة الأرض العشر مما يخرج الله منها، إذا بلغت خمسة أوسق. والوسق ستون صاعاً، والصاع
خمسة أرطال وثلث بالرطل البغدادي في قول أهل الحجاز. وهو في قول أهل الكوفة خمسة أرطال
بهذا الرطل، إذا كانت الأرض تشرب سيحاً أو ماء السماء، وإن كانت تشرب بدولاب وما أشبهه
ففيه نصف العشر.

والنبي للمقاتلة والذرية وذوي الغناء عن الإسلام.
والخمس من قال الله عز وجل: "واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن الله خمسه ولرسول ولذي القرى"
"يعني قرابة النبي صلى الله عليه وسلم، وهم بنو هاشم بن عبد مناف، وبنو المطلب ابن عبد مناف

خاصة من سائر بني عبد مناف، لأن النبي صلى الله عليه وسلم جعل ذلك لهم، فكلمه عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف في أن يجعلهم في أسمهم القربي مثل إخوتهم بني المطلب بن عبد مناف إذ كانوا في القربي مثلهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا أفعل إن بني المطلب ما فارقونا

(1/201)

في جاهلية ولا إسلام وكانوا معنا كذا " وشبك بين أصابعه. وإنما روى لهم النبي صلى الله عليه وسلم فعلهم، لما دخلت قريش بني هاشم شعباً وقالوا: لا نتكلّمهم ولا نبايعهم، فدخل بنو عبد المطلب معهم وقالوا: لا نفارق إخواننا. واليتمامى ليتمامى سائر الناس ليس فيهم يتمامى بني هاشم ولا يتمامى بني المطلب.

والمساكين مساكين الناس عامة ليس فيهم مساكين بني هاشم ولا مساكين بني المطلب. وقد قال قوم: اليتمامى والمساكين يتمامى هؤلاء ومساكينهم. وابن السبيل الضيف الفقير. واختلف الناس في الله وسهم الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال قوم: المعنى في قول الله عز وجل: " فإن لله خمسة " مفتاح كلام، كما يقال: هذا لله ولك وقد أعتقك الله وأعتقتك. والخمس مقسم على خمسة كما قال الله عز وجل: وقال قوم: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا أتي بالغنية، ضرب بما وقع فيها من شيء جعله للكعبة وهو سهم الله. هذا قول مالك. ثم يقسم ما بقي على خمسة أسمهم: فسهم للنبي صلى الله عليه وسلم، ولذى القربي سهم، ولليتمامى والمساكين وابن السبيل سهم سهم. وقال ابن عباس: كان الخمس يقسم على أربعة: فريع للنبي صلى الله عليه وسلم ولذى القربي، فما كان لله وللنبي، فهو لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يأخذوا من الخمس شيئاً، والربع

(1/202)

الثاني للتيتمامى، والرابع الثالث للمساكين، والرابع الرابع لابن السبيل. وقال قوم: كان خمس الله وخمس رسوله صلى الله عليه وسلم واحداً، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي بعضه ويصرف الباقى فيما أسماه الله له، وفيما يراه صلحاً للمسلمين، والعدل قسمته والحق ما فعله عليه الصلاة والسلام.

وقد اختلف في سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم ذي القربي بعد وفاته، فقال قوم: سهم ذي القربي لقرابة النبي عليه الصلاة والسلام، وقال قوم: لقرابة الخليفة. وقال قوم: ما يكون سهم النبي صلى الله عليه وسلم للخليفة من بعده، ثم اجتمع رأيهما على أن يجعلوا هذين السهرين في الخيل والغزو، وفي سبيل الله ومصلحة المسلمين، فكانا يصرحان في ذلك أيام أبي بكر ومن بعده من الأئمة رضي الله عنهم.

والصدقات للأصناف التي ذكرها الله عز وجل فقال: "إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله علىم حكيم".

فالفقراء في اللغة هم الذين لهم قوت مجهودة أن يكفيهم لا فضل لهم ولا عندهم. واحتجو في ذلك يقول الراعي:

أما الفقر الذي كانت حلوته ... وفق العيال فلم يترك له سيد

(1/203)

قالوا: والمسكين الذي لا قوت له وقول الله عز وجل: "أما السفينية فكانت لمساكين"، يجب خلاف ما حده أهل اللغة في المسكين.

واختلف الناس في سهم المؤلفة قلوبهم، فقال قوم: قد انقطع اليوم سهم بقوة الإسلام وأهله فسهمهم يرجع على الباقين. وقال قوم: بل للإمام أن يتألف من يراه هذا السهم له.

وأما سهم العاملين في الفريضة فأمرهم إلى الإمام يفرض لهم ما أراد.

وفي الرقاب قيل: هو أن يشتري العبد فيعتق. وقال بعضهم، وهو الشافعي: لا يشتري من الصدقة عبد فيعتق، ولكن يعان المكاتب منها.

و"الغارمين": وهم قوم أذاناً دينياً في غير معصية.

وفي سبيل الله: في الغزو. وقال بعضهم: في سبيل الله في الذين يقاتلون عليها أهلها، إذا منعواها حتى يؤدوها.

وابن السبيل: المسافر الذي تقطع به نفقته يعطي منها ما يبلغه إلى بلده من الصدقة.

(1/204)

اللغة في أسنان الإبل وتعريفها

يقال لولد الناقة، ساعة تضعه أمها: "سليل" و "حوار" قبل أن يعلم أنها ذكر أو أنثى. فإن كان ذكراً فهو "سبب" وإن كان أنثى فهو "حابل". فلا يزال حواراً حتى يفصل عن أمها، فيقال له: "فصيل".

إذا كان في الوقت الذي يحمل عليه فيه، وهو عند تمام سنة ودخول الثانية، فهو "ابن مخاض"، يجوز في الصدقة لأن أمها قد تم خضت بحمله بعده، فلا يزال ابن مخاض حتى تدخل السنة الثالثة، فيصير "ابن ليون" لأن أمها قد صار لها لبن من غيره، فلا يزال ابن ليون، والأنثى ابنة ليون حتى تدخل السنة الرابعة فهو حينئذ "حق" والأنثى حقة.

إذا كان في السنة الخامسة فهو "جذع" والأنثى "جذعة" والجذوعة وقت من الزمن ليست بسن. فإذا تمت ودخلت السنة السادسة فهو "ثني" والأنثى "ثنية". فإذا ألقى رباعيته في السنة السابعة

فهو " ربع " والأئمـي " رباعية ". فإذا ألقى السن الذي بعد الرباعية وذلك في السنة الثامنة فهو " سدـس " و " سـدس " ، الذكر والأئمـي سواء . وهو في كل هذا " بـكـر " والأئمـي " قـلـوص " . فإذا فطر ثابـهـ، أي انشق للخروج وذلك في السنة التاسـعـةـ، فهو " باـزـلـ " ، والأئمـي باـزـلـ و " باـزـلـةـ " يـقـلـانـ جـمـيـعاـ، وهو عند ذلك " جـمـلـ " و " نـاقـةـ " للأئمـيـ . وليس بعد ذلك سن إـنـماـ يـقـالـ: " مـخـلـفـ " عـامـ " و " مـخـلـفـ عـامـينـ " وما زـادـ . فإذا كـبـرـ وـعـظـمـ ثـابـهـ فهو " عـودـ " والأئمـي " عـودـةـ " ويـسـمـيـانـ بأـسـماءـ كـثـيرـةـ فيـ الـكـبـرـ .

(1/205)

أسنان الغنم

يـقـالـ لـوـلـدـ الشـاةـ، حـيـنـ تـضـعـهـ أـمـهـ، مـنـ الصـبـآنـ كـانـ أـوـ منـ المـعـزـ، ذـكـراـ كـانـ أـوـ أـئـمـيـ: " سـخـلـةـ " و " بـحـمـةـ " . فإذا بـلـغـتـ أـرـبـعـةـ أـشـهـرـ وـفـصـلـتـ عنـ أـمـهـاـ، فـمـاـ كـانـ مـنـ أـولـاـدـ المـعـزـ فـهـوـ " جـفـرـ " والأئـمـيـ " جـفـرـةـ " . فإذا قـوـيـ فـهـوـ " عـرـيـضـ " ثـمـ " عـتـوـدـ " والـذـكـرـ فيـ هـذـاـ كـلـهـ " جـدـيـ " والأئـمـيـ " عـنـاقـ " وإنـ كـانـ مـنـ أـولـاـدـ الصـبـآنـ فـالـذـكـرـ " حـمـلـ " و " خـرـوفـ " ، والأئـمـيـ " رـخـلـ " و " خـرـوفـةـ " ، وـتـكـونـ فيـ السـنـةـ الـثـانـيـةـ " جـذـعـاـ " والأئـمـيـ " جـذـعـةـ " . قالـ الأـصـمـعـيـ: يـكـوـنـ جـذـعـاـ مـنـ يـأـتـيـ عـلـيـهـ ثـانـيـةـ أـشـهـرـ وـتـسـعـةـ وـنـحـوـ ذـلـكـ . وـفـيـ السـنـةـ الـثـالـثـةـ " ثـنـيـ " والأئـمـيـ " ثـنـيـةـ " ، وـفـيـ السـنـةـ الـرـابـعـةـ " رـبـاعـ " والأئـمـيـ " رـبـاعـيـةـ " ، وـفـيـ الـخـامـسـةـ هوـ " سـدـسـ " و " سـدـيسـ " ، وـفـيـ السـنـةـ الـسـادـسـةـ هوـ " صـالـعـ " و " سـالـعـ " و " صـالـعـةـ " بـالـسـيـنـ وـالـصـادـ ، وـيـقـالـ لـاـ كـانـ ذـكـراـ مـنـ المـعـزـ عـنـدـ الإـجـذـاعـ " تـيـسـ " والأئـمـيـ " عـنـزـ " .

أسنان البقر

يـالـقـ لـوـلـدـ الـيـقـرـةـ حـيـنـ تـضـعـهـ أـمـهـ " عـجـلـ " ثـمـ " تـبـعـ " وـهـوـ الـجـذـعـ، وـبـعـضـهـمـ يـقـوـلـ: هـوـ تـبـعـ إـلـىـ ثـانـيـةـ " أـشـهـرـ وـتـسـعـةـ، ثـمـ "

(1/206)

جـذـعـ " إـذـاـ قـمـتـ لـهـ سـنـةـ، ثـمـ فيـ الـثـانـيـةـ هوـ " ثـنـيـ " والأئـمـيـ " ثـنـيـةـ " ، وـفـيـ السـنـةـ الـثـالـثـةـ " رـبـاعـ " والأئـمـيـ " رـبـاعـيـةـ " ، وـفـيـ الـرـابـعـةـ " سـدـسـ " و " سـدـيسـ " ، الذـكـرـ والأئـمـيـ فـيـهـ سـوـاءـ، وـفـيـ السـنـةـ الـخـامـسـةـ " ضـالـعـ " والأئـمـيـ " ضـالـعـةـ " . وـمـنـهـمـ مـنـ يـجـعـلـهـ فـيـ السـنـةـ الـثـانـيـةـ جـذـعـاـ، وـفـيـ الـثـالـثـةـ ثـنـيـاـ، وـفـيـ الـرـابـعـةـ رـبـاعـيـاـ، وـفـيـ الـخـامـسـةـ سـدـيسـاـ وـسـدـسـاـ، وـفـيـ السـنـةـ الـسـادـسـةـ ضـالـعـاـ مـثـلـ الغـنـمـ .

أسنان الخيل

وـإـنـماـ ذـكـرـتـهـاـ هـاـ هـنـاـ لـأـنـ الكـاتـبـ لـاـ يـسـتـغـنـيـ عـنـ عـلـمـائـهـاـ، يـقـالـ لـوـلـدـ الـفـرـسـ، حـيـنـ تـضـعـهـ أـمـهـ " مـهـرـ " والأئـمـيـ " مـهـرـةـ " ، وـيـقـالـ لـهـ: " خـرـوفـ " إـذـاـ فـصـلـ عـنـ أـمـهـ فـهـوـ " فـصـيلـ " . إـذـاـ اـسـتـتـمـ نـبـاتـ

رواضعه فهو " فلو " يقال: فليت وأفليت، فإذا أتى عليه حول فهو " حول "، فإذا استتم حولين فهو " جذع "، فإذا أسقطت ثنياته وخرج مكائهما، وذلك في العام الثالث فهو " ثني "، وفي الرابع هو " ربع " وذلك إذا سقطت رباعيتها، وخرج مكائما، فإذا سقط قارحاه وخرج مكائما فهو " قارح "، وليس بعد القارح سن، ولكن يقال: " قارح عام " و " قارح عامين " إلى ثانية أعوام، ثم يقال له: " مذل " والجمع " مذال ".
ومن ألوان الخيل: أحمر وأخضر وأحمر وكميت وأشقر. والفرق بين الكميّة والأشقر أن يسود عرفة وذنبه فيكون كميّاً وإلا فهو أشقر. وأصفر وأشهب وأبلق وأبرش وملمع

(1/207)

وهو أيضاً بلقة. وكذلك المدمر والأشم والملوع، كل هذه شيات اللون يخالف لون الفرس يتشكل فيه، فيسمى مدمناً إذا كان فيه دارات؛ وإذا كان فيه لونان متساويان فهو أبلق، وقس على هذا. وفرس لطيم، إذا أصابت غرتة عينيه أو أحد هما أو خديه أو أحد هما، فإذا ابيضت أشفاره فهو مغرب فإذا لم تصب العينين والخددين واتسعت في جبهته فهي شادحة، وإذا دنت في جبهته وقصبة أنفه فهي شراخ، فإذا عرضت في الجبهة فهي سائلة.
والقرحة كل بياض كان في جبهته ثم انقطع قبل الأنف؛ والرثم كل بياض أصاب الجحفلة العليا قبل أو كثر فهي رثة.
واللمطة كل بياض في الجحفلة السفلية. والفرس المظ وأرم. فإذا شاب الناصية بياض فهو أسعف، فإذا خلصت بياضاً فهو أصيغ، فإذا انحدر البياض إلى منبت الناصية فهو المعنم.
والتحجيل بياض يكون في قوائم، أو في ثلاثة أو اثنين قل أو كثر. يقال: محل أربع، فإذا كان البياض في ثلاثة، قيل: هو محل ثلاثة مطلق يد أو رجل، والتحجيل مأخذ من الحجل وهو الخلخال كأنه صار البياض موضعه، فإذا كان البياض برجليه قيل: محل الرجلين، فإذا كان ب الرجل واحدة قيل: أرجل، ويتشاءم به، لأن الحسين صلوات الله عليه قتل وهو على فرس أرجل.

(1/208)

إذا كان البياض في اليد اليمنى والرجل اليسرى مخالفًا فهو مكسور، وإذا كان في اليد اليمنى والرجل اليمنى فهو مطلق الأيمن مسك الأيسر، وإذا كان بوجهه وضع وبأحدى يديه فهو اعصم، فإذا كان أبيض البطن، ولم يتصل بياض التحجيل فهو أصيغ، وإذا صار في عرض الذنب بياض فهو أشعّل، فإذا كان في أصل ذنبه فهو أصيغ، وإذا صار في عرض الذنب بياض فهو أشعّل، فإذا كان في أصل ذنبه فهو أصيغ، فإذا بلغ البطن فهو أنبط فإذا ظهر من البطن فهو أبلق.

أحكام الأرضين

قال الصوالي في الأرض ثلاثة أحكام: فأرض عشر غنمها المسلمين، فخمسها للإمام وتحل أربعة أخماسها بين الذين افتحوها ويبقى خمسها من سمي الله، فهي أرض عشر. وكل أرض استحياها إنسان، وقد كانت مواتاً قبل ذلك، فاستنبط لها ماء أو استخرج عيوناً فهي أرض عشر، إلا أن يكون الماء الذي أجراه إليها من ماء الخراج فتكون أرض خراج. فهذه الأرضون كلها لأهلها ملك إيمانهم لا شيء عليهم فيها غير العشر إن كانت تشرب سبيحاً أو من ماء السماء، وإن كانت تشرب بالدلالة وأشباه ذلك مما يعتمل فيه، وفيها نصف العشر.

وأرض افتحت صلحًا على خراج معلوم، فأهلها على ما صولحوا عليه إلا أن يلزمهم غيره، والأرض ملك لهم.

وأرض افتحت عنوة، فيها اختلاف؛ زعم بعضهم أن سبيلها سبيل الغنيمة تخمس وتقسم، فيكون أربعة أخماسها خططاً بين الذين افتحوها خاصة، والخمس الباقية من سمي الله تعالى، كما فعل

(1/209)

رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبير. وقال بعضهم: حكمها والنظر فيها إلى الإمام، فإن رأى أن يجعلها فييناً، فلا يخمسها ولا يقسمها، ولكن تكون موقوفة على المسلمين عامة ما بقوا كما فعل عمر بالسوداد؛ فإنه لما افتح المسلمين السوداد قالوا: أقسمه بيننا، فقال: فما من جاء بعدكم من المسلمين؟ وأخاف أن تفاسدوا بينكم في الحياة، فأقر أهل السوداد في أرضهم وضرب على رؤوسهم الجزية، وعلى أرضهم الطبق، وهو الخراج، ومعنى الطبق والخرج واحد.

القطائع

قال أبو بكر: يروى عن طاوس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "عادي الأرض لله ولرسوله ثم هي لكم" يعني أنها تقطع للناس.

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أقطع جماعة من المهاجرين والأنصار من أموالبني النضير وكانت صفياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة. فكان فيمن سمي من أعطى أبو بكر رضي الله عنه أعطاه بئر حجر؛ وعمر رضي الله عنه أعطاه بئر جرم، وعبد الرحمن بن عوف سؤالة، وأقطع صهيباً الصراطة، وأقطع الزبير وأبا سلمة بن عبد الأسد البريلية، وأقطع أبا دجابة وسهل بن حنيف مالاً يقال له حرسة، وأقطع رجلاً من الأنصار أرضاً، فكان يخرج إليها فيرجع فيقال: نزل بعده من القرآن كذا أو قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا. فقال: يا رسول الله إن هذه أرض تشغلي، فاقبلها متي فلا حاجة لي

(1/210)

فيها فقبلها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: أقطعنها فأقطعه إياها، وأقطع الزبير أيضاً بخير أرضًا فيها شجر ونخل، وقصورها، وكتب له بذلك كتاباً، وأقطع عتبة بن فرقد موضع داره بمكة مما يلي المروءة.

وما أسلم تيم الداري قال: يا رسول الله إن الله يظهرك على الأرض كلها فهب لي قريتين من بيت لحم، قال: " هي لك "، وكتب له بها كتاباً فلما ظهر عمر رضي الله عنه على الشام جاءه بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر: " أنا شاهد ذلك فأعطيه إياها ". وبيت لحم هذه من القرية التي ولد فيها عيسى عليه السلام.

واستقطعه أبيض بن جمال المازني الملحق الذي بجأرب، فأقطعه إياه، فلما ولَّ قال رجل: إنما أقطعته الماء العد، فرده ولم يمضه له كأنه عليه الصلاة والسلام، لما قال له: الماء العد، رأى أنه شيء بين الناس جميـعاً. ولم يكن صلى الله عليه وسلم يقطع حق مؤمن ولا معاهـد. فبـهذا جـرت السـنة في الإـقطـاعـاتـ. وأقطع أبو بكر الزبير الجرف أيضاً مواتاً، وأقطع طلحة أرضاً، وكتب له كتاباً وأشهد له ناساً فيهم عمر، فـأتـى طـلـحةـ عـمـرـ بـالـكـتـابـ لـيـخـتـمـهـ فـقـالـ هـذـاـ كـلـهـ لـكـ دـوـنـ النـاسـ!ـ لـأـخـتـمـ هـذـاـ فـرـجـعـ طـلـحةـ مـغـضـبـاـ إـلـىـ أـبـيـ بـكـرـ،ـ فـقـالـ أـنـتـ الـخـلـيـفـةـ أـمـ عـمـرـ؟ـ فـقـالـ عـمـرـ وـلـكـنـهـ أـبـيـ وـأـبـطـلـ إـلـقـاطـاعـ.ـ وأقطع أبو بكر لعيينة بن حصن الفزاري قطعة، وكتب له بها كتاباً، فـأتـى عـيـنـةـ عـمـرـ فـأـعـيـطـهـ الـكـتـابـ فـبـصـقـ فـيـهـ وـمـاهـ وـسـأـلـ

(1/211)

عيينة أبا بكر أن يجدد له الكتاب فقال: لا أجد شيئاً رده عمر.
وأقطع عمر بن الخطاب الزبير العقيق أجمع.

وخرج رجل من أهل البصرة، يقال له نافع إلى عمر فقال: إن قبلنا أرضاً بالبصرة وليس من أرض الخراج ولا بأحد من المسلمين، فإن رأيت أن تقطعنها أخذ فيها قضاء خيلي، فكتب له أبي موسى: إن نافعاً سألك أرضاً على شاطئ دجلة، فإن لم تكن أرض جزية ولا خراج ولا أرضاً يجري إليها ماء جزية فأعطه إياها.

وأقطع عثمان خمسة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: الزبير، وسعداً، وابن مسعود، وأساميـةـ بنـ زـيدـ،ـ وـخـبـابـاـ،ـ مـنـ صـوـافـيـ كـسـرـىـ وـمـاـ جـلـاـ عـنـ أـهـلـهـ.ـ ثـمـ أـقـطـعـ الـخـلـفـاءـ بـعـدـ ذـلـكـ.ـ حدـثـناـ فـهـدـ بـنـ إـبـرـاهـيمـ السـاجـيـ،ـ قـالـ حـدـثـنـاـ مـحـمـدـ بـنـ إـبـرـاهـيمـ بـنـ نـافـعـ قـالـ قـدـمـ الـمـهـدـيـ الـبـصـرـةـ،ـ وـقـاضـيـهـ عـلـيـهـ عـبـيـدـ اللـهـ بـنـ الـحـسـنـ الـعـنـبـرـيـ،ـ فـقـالـ لـهـ اـنـظـرـ بـيـنـ وـبـيـنـ أـهـلـ الـمـرـعـاتـ نـهـرـ مـنـ أـنـهـارـ الـبـصـرـةـ،ـ فـجـلـسـ لـهـ وـحـضـرـ الـمـهـدـيـ وـحـضـرـ مـنـ يـنـاظـرـهـ،ـ فـقـالـ عـبـيـدـ اللـهـ ماـ تـقـولـ يـاـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ؟ـ فـقـالـ الـمـسـلـمـينـ كـافـيـهـ وـفـيـ مـصـاـلـحـهـ إـذـاـ إـقـطـاعـ مـنـ إـمـامـ فـلـاـ سـبـيلـ لـأـحـدـ عـلـيـهـ.ـ فـقـالـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ لـأـنـهـ قـالـ:ـ "ـ مـنـ أـحـيـاـ أـرـضـاـ مـوـاتـاـ فـهـيـ لـهـ "ـ وـهـذـهـ مـوـاتـ.ـ فـقـالـ فـوـثـبـ الـمـهـدـيـ وـوـثـبـ الـنـاسـ حـتـىـ الـصـقـ خـدـهـ بـالـتـرـابـ عـنـ ذـكـرـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ،ـ وـقـالـ:ـ قـدـ سـمعـتـ

وأطع. ثم عاد فقال: نفي أن يكون مواطنًا وأماء محيط بها من جوانبها، فإن أقاموا البينة على هذا سلمت لهم. فلم يأتوا ببينة. وأحب عبيد الله أن يتحدث الناس بأنه حكم على المهدي بحكم، فخلط حكمًا بسؤال فضج المهدي ووثب، وتفرقوا. فعزله المهدي وقال: والله ما أردت إلا أن يقول الناس حكم على المهدي وإلا علمت أن الحق معى!.

وبالد المسلمين عامر وموات، فالعامر لأهله والموات شيئاً: شيء ملكه الناس فأحبوه ثم خرب ومات، فهذا الموات لأهله لا يملكه عليهم أحد، إلا بإذنهم وهو كالعامر. والموات الثاني ما لم يملكه أحد قط، فهذا الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أحيا أرضًا مواطنًا فهي له"، والإحياء أن يأتي إلى موضع لا ينزعه فيه أحد ولا لأحد فيه أثر فيحوزه ويسوق إليه بكلفة ومشقة أو يبني فيه بناء.

والعروق أربعة: عرقان ظاهران وهما البناء والغرس، وعرقان باطنان كالبتر والنهر.
وقيل: من أقطع معدناً ملكه ملك الأرض وقيل: لا يملكه ملك الأرض إلا إن عمل فيه وإلا دفع إلى من يعمل فيه.

جزية رؤوس أهل الذمة

قال أبو بكر بن يحيى الصولي: قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجرة من مكة، والناس أخلاق مسلمون وبهود

ومشركون ومنافقون. فوادع يهود المدينة كلهم، على أن يكفوا عنه ويكتف عنهم. فلما غزا تبوك، أمره الله بوضع الجزية، فصالح أهل أيلة، وأدرح، ووادي القرى، وتيماء، ووضع عليهم الجزية، وقدم المدينة فوضع الجزية على من بالمدينة ومكة وخبير واليمن ونجران، من أهل الذمة، ووضع الجزية على رقبهم: على الرجل ديناراً ونحوه، وليس في ذلك النساء ولا الصبيان، وفي تجارتهم نصف العشر، فلما فعل ذلك بجم صارت لهم ذمة وعهد وجب عليه صلى الله عليه وسلم أن يمنعهم من ظلمهم، ويقاتل عنهم، ولم يكن لهم، وهم موادعون، أن يمنعهم ويقاتل عنهم وإن ظهر عليهم عدوهم.

وقال قوم: أول من أدى الجزية أهل نجران. وقبل صلى الله عليه وسلم من الجوس الجزية.
حدثنا محمد بن يونس الكديني وإبراهيم بن عبد الله اللجي، واللفظ للكديني، قلا: حدثنا أبو عاصم قال: رأيت جعفر بن محمد رضي الله عنه بمكة، فقلت: يا ابن رسول الله حدثني قال: أفي هذا الموضع؟ فقلت: إن رأيت ولو حديثاً، فقال: سمعت أبي يقول: قال عمر بن الخطاب: لست أدرى ما

أصنع بالمحوس! فقام إليه عبد الرحمن بن عوف، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسئل عنهم فقال: "استنوا بكم سنة أهل الكتاب". قلت: يا ابن رسول الله زدني فضرب بغلته وسار.

(1/214)

وكان الجزية أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم، على كل حالم ديناراً، وليس على النساء ولا الصبيان شيء. ثم ضرب عمر على أهل الشام - وبعضهم يقول على أهل الذهب - على الرجل أربعة دنانير وحنطة وزبيباً. ثم زالت الحنطة والزبيب. وضرب على أهل السواد ديناراً، والصرف اثنى عشر درهماً بدinar على الطبقة السفلية، وعلى الوسطى دينارين أربعة وعشرين درهماً، وعلى العلية أربعة دنانير بثمانية وأربعين درهماً، وأسقط ذلك عن النساء والصبيان. وإنما فعل عمر ذلك على قدر اليسار والطاقة.

فالذين يؤخذون منهم الجزية اليهود والنصارى والمحوس والصابئون وقد أخذ عثمان رضي الله عنه من البربر.

واستثناء الجزية بغير ضرب ولا عنف. ويقبل منهم مكان الدنانير والدرهم الشيب وما أشبهها. وروي عن علي عليه السلام أنه كان يأخذ في الجزية من صاحب المال مالاً، ومن صاحب الحال حالاً. ولا يأخذ فيها خمراً ولا خنازير.

ولا يباع في الجزية بقرهم ولا حميرهم ولا مواشيهם. واختلف الناس في قوله عز وجل: "عن يد وهم صاغرون"، فقال سعيد بن المسيب: يتبعون عند أخذها. قال أبو عبيد: لم يرد تكليفهم فوق طاقتهم، إنما أراد أن لا يعاملوا عند طلبها بالإكرام لكن بالإستخفاف. وكتب عمر إلى أمراء الأجناد أن يختتموا رقاب أهل الذمة، وأن تجز نواصيهم، وأن يركبوا الأكف عرضاً ولا يركبوا كما يركب المسلمين، وأن يربطوا الكستجات في أوساطهم ليعرف زيهم من زى المسلمين. وقيل: لهم صاغرون يعطيها قائماً والذي يأخذها فاعد. وليس على عبد جزية. وإذا أخذت الجزية منهم لم يكن لهم أن يظهروا شركهم حتى يسمعوا المسلمين، ولم

(1/215)

يكن للمسلمين أن يتبعوهم فيما أخفوه عنهم. وعلى المسلمين أن يجروا عليهم أحكام المسلمين، قال: فهذا معنى وهم صاغرون.

حدثنا محمد بن زكريا العلائي قال: حدثنا العباس بن بكار قال: حدثنا أبو بكر المذلي قال: سمعت الحسن يقول: "كراء الدار جزية المؤمن؛ ولا يلزم الرهبان أصحاب الصوامع جزية، لفقرهم وتخليهم عن الدنيا".

مبلغ ما كان يرتفع من الخوارج

ارتفاع خراج الشام على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه خمسمائة ألف دينار، فلما أفضى الأمر إلى معاوية، قطع الوظائف على أهل المدن فوظف أهل قنسرين أربعمائة وخمسين ألف دينار، على الجمامج من ذلك الثناء. وعلى أهل دمشق أربعمائة

(1/216)

وخمسين ألف دينار، على الجمامج من ذلك الثناء. وعلى الأردن مائة وثمانين ألف دينار، على الجمامج من ذلك الثناء. وعل فلسطين مثل ذلك، ثم جعل بعد ذلك يصطفى الأرض الجيدة ويدفعها إلى الرجل بخراجها وعلوها، والخرج على أصله لا ينقص منه شيء.

ذكر مصر

دخل عمرو بن العاص مصر بصلاح وعهد، فوضع عليهم من الجزية، على كل إنسان دينارين وثلاثة أردادب قمحاً، والأردب عند أهل مصر ست وبيات، واللوبية كيل يكون ما فيه من الحنطة ثلاثة رطلاً بالبغدادي، إذا كانت الحنطة ثقيلة، فإذا خفت كانت سبعة وعشرين رطلاً، وجعل عليه مع الثلاثة أردادب قسطين زيتاً وقطفين خلاً وقططاً من عسل. والقسط كيل عندهم يكون ما فيه أربعة أرطاط.

ولهم من الشرط: أن لا تبع نساوهم، ولا أولادهم، ولا أرضوهم ولا ديارهم، ولا تباح كنوزهم، ولا يزاد عليهم في جزيتهم.

فلم يزل ذلك على ذلك حتى ولي عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فكان إلى أيام عبد الملك بن مروان ألفي ألفي دينار، فإنه ول أخاه عبد العزيز مصر فخط الأرضين، وذلك أنها كانت كثيرة فاقتطع أقواماً، وزاد ذلك على الجمامج فكانت تستأدي ألف ألف دينار، فرحلوا إلى عبد الملك يشكون، فلما رجعوا زاد عليهم عبد العزيز.

(1/217)

ذكر السواد

اختلاف الناس في خراج السواد، فروى بعضهم أن عمر رضي الله عنه، بعث عثمان بن حنيف لمساحة السواد، فمسح الأرض وجعل على جريب الكرم عشرة دراهم، وعلى جريب النخل خمسة دراهم، وعلى جريب البر أربعة دراهم، وعلى جريب الشعير درهرين. وروي أيضاً أنه جعل على كل جريب غاماً وعامراً، درهماً وقفيزاً، وعلى جريب الرطبة خمسة دراهم. وعلى جريب الشجر عشرة دراهم وعشرة أقزنة، ولم يذكر النخل. وقيل: جعل على كل جريب عامر وغامر يناله الماء بدلوا أو غيره عطل أو زرع درهماً وقفيزاً وألقى لهم النخل عوناً لهم. وجعل على كل جريب كرم عشرة دراهم، وعلى جريب الرطبة ستة دراهم، وعلى جريب السمسسم خمسة دراهم، وعلى جريب الخضر من غلة

الصيف، من كل جريب ثلاثة دراهم، وعلى جريب القطن خمسة دراهم.
وروي عن الشعبي أن عثمان بن حنيف مسح السواد، فوجده ستة وثلاثين ألف جريب، فوضع على كل جريب درهماً وقفيزاً ولم يذكر غير ذلك.
إلى هذا ذهب أكثر الفقهاء أن عمر رحمه الله، إنما أوجب الخراج على أهل الأرض خاصة، بأجرة مسمامة، لأن مخرج الخراج مذهب الكراء، فكانه أجرى كل جريب بدرهم وقفيز في السنة، وألقى من ذلك الشجر والنخل، فلم يجعل لها أجراً، لأن قباتها لا تطيب حتى تسمن، فيكون ذلك مع الشمر قبل أن يbedo صلاحه، وقيل أن يجعلوا. قال: وهذا الذي كرهه الفقهاء. وفي هذا الحديث

(1/218)

حججة ملن قال: السواد فيء للمسلمين، وإنما أهله عمال للمسلمين بكراء معلوم.
قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولي: وهذه الأحاديث كلها تدل على أن جعل الخراج على الأرضين، التي تغل من ذوات الحب والشمار، وعطل من ذلك الدور والمساكن التي ينزلونها فلم يجعل عليهم فيها شيئاً.

وقال أبو حنيفة ومالك والثوري وابن أبي ذئب: إذا عمرت الأرض رأينا أن يزداد عليها، وإذا نقصت رأينا أن يوضع عنها. وقالوا ليس على الغامر شيء وإن بلغه الماء.
وحد السواد التي وقعت عليه المساحة من لدن ت淮南 الموصل ماداً مع الماء إلى ساحل البحر ببلاد عبادان من شرقي دجلة هذا طوله. فاما عرضه فحده من ارض حلوان إلى منتهي طرف القادسية المنصل بعذيب.
فاما خراجه فإن الواقدي ذكر أنه سال عبد الحميد بن جعفر كم مبلغ خراج سواد الكوفة على عهد عمر؟ قال: سبعون ألف ألف درهم.

وروي عن محمد بن كعب القرطبي، قال: أخبرني أهل الأرض بالعراق، أنه بلغ الخراج على عهد عمر وعثمان رحهما الله مائة ألف ألف. فلما ولـي معاوية صار إلى خمسين ألف ألف وهـدايا النوروز والمهرجان خمسون ألف لنفسه، وكان قد اصططفى أموال كسرى فـكان يقطع فيها ويصل ويـجـيز من يشاء.

ثم بلـغ الخراج في فـتنـة ابن الزـير سـتين ألف وهـدايا النـورـوز والمـهـرجـان وصـوافـنـحو عـشـرـينـأـلـفـ، فـلـماـ ولـيـ الحـجـاجـ صـارـ

(1/219)

إلى أربعين ألف ألف، وما كان يصلـ إلى ذلك إلا بـضرـبـ الأـبـدـانـ، فـلـماـ قـتـلـ ابنـ الأـشـعـثـ، قـالـ
الـحجـاجـ: الآـنـ فـرـغـتـ لأـهـلـ السـوـادـ فـعـمـدـ إـلـيـ رـؤـسـهـ، وأـهـلـ بـيـتـهـمـ منـ الـدـهـاقـينـ، فـقـتـلـهـمـ صـبـراـ
وـجـعـلـ كـلـمـاـ قـتـلـ مـنـ الـدـهـاقـينـ رـجـلاـ، أـخـذـ مـالـهـ وـأـضـرـ بـمـنـ بـقـيـ إـضـرـارـاـ شـدـيدـاـ، فـخـرـجـتـ الـأـرـضـ

فمات الحجاج والخرج خمسة وعشرون ألفاً، فكان الأمر على ذلك حتى ولي عمر بن عبد العزيز، فولى عبد الحميد بن عبد الرحمن السواد، وتقدم إليه أن يرجع إلى ما وضع عليهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أرضهم ورقبهم، ولا يقبل من أطافهم شيئاً في أعيادهم. وأول من أحدث هدايا النوروز والمهرجان الوليد بن عقبة بن أبي معيط، ثم سعيد بن العاص بعده، فضج الناس إلى عثمان رضي الله عنه فكتب إليه فنهاه عن ذلك، فبلغ الخراج بعد هدية النبيروز في أيام عمر بن عبد العزيز ستين ألف ألف فكان يخرج أعطيات الناس وينفذ إلى عمر بعشرة آلاف ألف درهم.

حدثنا القاضي عمرو بن تركي قال: حدثنا الوليد بن هشام القحدمي، قال: قال الحجاج يوماً للدهاقين - وقد اجتمعوا عنده: كم كان عمر بن الخطاب يجيء السواد؟ قالوا: مائة ألف ألف درهم. قال: فكم جاه زياد؟ قالوا: مائة ألف ألف. قال: فكم نجيه نحن اليوم؟ قالوا: ثمانين ألف ألف. قال: فلم ذلك؟ فقال له ابن جميل بن بصيري دهقان الفلوجيين: هذا كله لبيتين قاهمما شاعركم الحارت بن حلزة. قال: وما هما قال لقوله:
لا تكسع الشول بأغبارها ... إنك لا تدرى من الناتج
وأصبب لأضيافك ألبانها ... فإن شر اللبن الواجل

(1/220)

فاستعمل عمالكم هذا فخررت الدنيا. ومعنى البيتين أن العرب كانت إذا أخصبت عاماً، لم تستقصن الحليب، وتركت في الضروع بقية، وكسبت الضروع بالماء البارد ليتراد اللبن، فيكون أقوى لظهورها، فإن كان في العام المقبل جدب، كان فيها فضل وقوه حتى لا ينقطع اللبن، فقال هذا الشاعر: " لا تكسع الشول " وهي التوق، بأغبارها وهي بقايا ألبانها، إنك لا تدرى من الناتج أي لعله أن يغار عليك فتؤخذ أو تموت، فيأخذها الوارث. فالصواب أن تتعجل منفعتها. أي فعمل العمال هذا وأخذوا العاجل، ولم يعمروا للعام المقبل فتقتص الخراج لذلك.
وهو الخراج والخرج. قرأ أهل الكوفة خراجاً بالألف في كل القرآن إلا عاصماً فإنه قرأها هو وأهل المدينة وأبو عمرو خرجاً بغير ألف، وكذا قرأ ابن عباس رضي الله عنه.
والخرج في اللغة الأجر، ومنه خراج الأرضين. وقال الفراء: الخراج أعم والخرج أقل، كأنه شيء من الخراج. ويقال للدمي: أذ خرج رأسك فخرجاً ربك خير. قال الكلبي: فرزق ربك خير.
وقال الحسن - وهو الصواب: فأجر ربك خير لك في الآخرة من أجورهم في الدنيا، إذ كان أكثر الناس على أن الخراج الأجر وأخرجه. وحكي التوجي أن أغراياً قال: ما مواعيدهم إلا أسرية فجمع سرابةً أسرية، وخرج وخروج مثل فلس وفلوس.

القبلات

قال أبو بكر: حدثنا محمد بن القاسم أبو العيناء قال: حدثني الأصمسي عن أبي الأشهب عن الحسن قال: جاء رجل إلى ابن عباس رحمه الله فقال: أتقبل منك الأبلة بمائة ألف؟ فضربه ابن عباس وصلبه.

وروي أن عبد الرحمن بن زياد قال: أنا قلت لابن عمر: إننا نتقبل الأرض فنصيب من ثارها يعني الفضل، فقال: ذلك الربا العجلان. وقال ابن عباس رضي الله عنه القبالات حرام. وقال سعيد بن جبير: لا خير في القبالة، وإنما كرهوها لأنها بيع ثم لم يخلق بعد، ولم يجد صلاحه، وزرع نابت لم يستحصد، ومن قبل أن يزرع فهذا هو الغر المنهي عنه.

وقال بعض الفقهاء فيها: إنه يحكم على الله أن يصير الأمر على ما يريد، فإذا كان الشيء معلوماً جازت القبالة والإجارة، كأنه قول الرجل: قد أجرتك هذه الدار بعشرة دراهم شهرأً معلوماً، فإن كانت الإجارة أربعة، أو جهل منها واحد جاز، فقد عرفت الدار وعرفت المدة ووصفته، وعرفت الدرة، وهذه ثلاثة إن كانت قد عرفت، ولم يعرف هل يسكن الدار وحده أو هو وعياله؟ ولا يعرف عدد عياله، فهو جائز.

ما يفضل من المال

قال محمد بن يحيى: حدثنا عبد العزيز بن معاوية القرشي، قال: حدثنا جعفر بن عون قال: حدثنا هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "اجتمعوا لهذا المال فانظروا ملئ ترون، إني سمعت الله عز وجل يقول: ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فللهم وللرسول ولذى القرى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم"، والله ما لهؤلاء وحدهم. "والذين تبؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم". والله ما هو لهؤلاء

وحدهم. "والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا أغرنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان". والله ما من أحد من المسلمين إلا وله حق في هذا المال، أعطي منه أو منع حتى راع بعده".

وقال عمر يوماً: قد أعطيت الناس حقوقهم، وفضل عندي مال ما ترون فيه؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين لك حاج، وتوبك نواب لا توب غيرك، فخذنه إليك لذلك فإن أنفسنا طيبة لك به. وعلى رضي الله عنه ساكت، فقال: ألا تتكلم يا أبو الحسن؟ فقال: قد أشار عليك القوم، فقال: لتقولن. فقال: لم يجعل علمك ظناً ويفينك شكًا، قال: قد قلت قولهً لتخرجن منه، قال: أما تذكر حين بعثك رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقة، فأتيت العباس فمنعك الصدقة، فأتيتني فقلت: إن العباس منعني الصدقة، فانطلق معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق معك فوجدناه مهموماً، فرجعنا ولم نقل شيئاً له، ثم رجعنا وقد طابت نفسه، فقال: "إن كان عندي ديناران فكأنهما يهماني حتى وجهتهما". فقلت: إن العباس قد منعني الصدقة، فقال: "إن عم الرجل صنو أبيه" قال: لا جرم إنيأشكر لك المرتين جيئاً قال: فأشر علي. قال: فانيأشير عليك أن تقسمه، فدعنا عمر عبد الله بن الأرقم، فقال: كم في بيت المال؟ قال: كذا وكذا، قال: "لولا أني أرى أن أقرب لمنفعته أن

يكون معاً، لقسمة الأول فال الأول "، فقام رجل من ثقيف فقال: يا أمير المؤمنين أعده للبواشق فقال: "كلمة شر يسنت بها أمراء السوء من بعدي، أعطاني الله جوابها، بل أعد لها ما أعد لها رسول الله صلى الله عليه وسلم تقوى الله وطاعته".

(1/223)

ولما حبس معاوية على الناس أعطيتهم، قام إليه أبو مسلم الخوارمي وهو يخطب فقال: يا معاوية إن هذا المال ليس لك ولا لأبيك وأمك، فلم حبس على الناس العطاء؟ فغضب ثم نزل فدخل وأومأ إلى الناس أن ثبتوها ولا تتفرقوا، ثم خرج فعاد إلى المنبر فقال: أيها الناس إن أبو مسلم الخوارمي قد قال ما قال فوجدت لذلك، وإن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا غضب أحدكم فليغتسل"، وصدق أبو مسلم فاغدوا على أعطياتكم فخذلوها على بركة الله. ثم كانت فضول الأموال تحمل إليه فيصل بها من أحب وينفق كيف يريد.

مكتبة المسلم وغيره

مضت السنة في المكتبة أن بيتدئ المكاتب نفسه على المكتوب إليه. يروى أن العلاء بن الحضرمي كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبدأ بنفسه. وروى الريبع بن أنس أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يكتبون إليه من فلان بن فلان إلى محمد رسول الله.

(1/224)

وقد رخص في تقديم المكاتب. روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "إذا كتب أحدكم فليبدأ بنفسه إلا إلى والد ووالدة أو إمام". وروى يحيى بن أبي زيد بن ثابت كتب إلى معاوية فبدأ باسم معاوية.

قالوا: والكتاب إلى المسلم: سلام عليك فإن أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. وإلى غير المسلم: والسلام على من اتبع الهدى. كذا كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل عظيم الروم وإلى كسرى وإلى مسيلمة الكذاب. وقد روي أنه رخص في رد السلام على الكافر، وأن رجالاً منهم كتب في آخر كتابه إلى النبي صلى الله عليه وسلم: سلام عليك. فأمر النبي صلى الله عليه وسلم الكتاب أن يرد عليه السلام.

إنما كتبوا في أول الكتاب سلام عليك، لأن اللكرات أوائل الأشياء والمعارف الثنائي، فافتتحوا بالنكرة فإذا ردوه عرفوا فقالوا: السلام عليك فعرفوه بألف ولا مأي هذا ذلك الأول. كقولك في الكلام مر بي رجل فكان من أمره كذا وكذا، ثم قال لي الرجل: كذا، فعرفت أنه ذلك الذي ابتدأت بذكره.

وقال بعضهم إذا كان الشيء مهماً لا ينفصل بعده من بعض تكلموا به مرة بالألف واللام، ومرة بطرحها كقوهم: قلت خيراً، وقلت الخير، وكسبت مالاً وكسبت المال، ولا أراك الله سوءاً ولا أراكسوء.

ما في الإنسان وغيره

وهذا شيء لا يسع الإنسان الثناء، وهي أربع: اثنان من فوق واثنتان من أسفل. ثم الرباعيات الواحدة رباعية مخففة الآباء، وهن أربع

(1/225)

ويقال هذه الثمان التغز. ثم الأنابيب وهن أربع، ثم الصوابح والنواخذ، وهن ثمان، ويقال لهن العوارض، ثم الأرحة وهي الأضراس: أربعة من فوق وأربعة من تحت في جانبي الفم، وهي الطواحن. وللحي مركب الأسنان وهو الفك، والله: اللحم الذي فيه الأسنان، والدردر مغارز الأسنان في اللثة، والعمور اللحم الذي بين الأسنان الواحد عمر، وأضراس الحلم ضرسان: ثنتان في آخر الأضراس من أسفل لا من أعلى إذا صار الإنسان رجلاً.
وما كان له خف مثل الجمل والنعامنة، فإنه يقال لفمه: مشفر وما كان له ظلف قيل له: المرمدة والمقدمة والمحفلة للحافر والخراطيم للسباع والمنسر والمنقار للطائر.

الأطعمة

يقال: الوليمة، ولطعام الأبنية الوكيرة، ولطعام الولادة الخرس، لأن ما تطعم النساء خرسة، وطعام الختان إعذار، وطعام القادر من سفر نقيعة.
ويقال: قرمدت إلى اللحم قرمة، وعمت إليه عيمة. ويقال: يدي من اللحم غمرة وزهمة لأن الزهم الشحم، ومن الزيد واللبن وضرة،

(1/226)

ومن السمك سهكة. وربما حمل بعض هذا على بعض.

ويقال: أرغم الله أنفه، خص الأنف لأنه اطلع ما في الوجه، والر GAM التراب يراد كبه الله على وجهه فإن أول ما يلتصق منه التراب بالأأنف، وقالوا: على رغم أنفه، ثم كثر حتى قالوا: على رغمه فألقوه الأنف.

وقدم الله عصبه جمعه حتى لا يحرك يداً لا رجلاً، والبحر قمقام من ذلك لأنه مجمع الماء. قالوا: والشافة قرحة تخرج بالقدم فتنذهب، فإذا قالوا: استأصل الله شافتة، فكأنما قالوا: أذهب الله كما أذهب الشافة. وإذا أصابه ذلك قيل: شفيت رجله شافاً.

أَسْكَتَ اللَّهُ نَائِمَتَهُ، النَّئِيمَ الصَّوْتُ الْمُضِيْفُ مُخْفَفَةً، وَنَامَتْهُ مُشَدَّدَةً مَا يَنْمِيْ عَلَيْهِ مِنْ حَرْكَتَهُ.
 سَخَمَ اللَّهُ وَجْهَهُ سُودَهُ مِنْ السَّخَامِ وَهُوَ سُوَادُ الْقَدْرِ.
 وَأَسْخَنَ اللَّهُ عَيْنَهُ أَيْ غَمَهُ وَحَزْنَهُ، لَأَنْ دَمْعَةَ الْحُزْنِ حَارَّةٌ، وَدَمْعَةَ الْفَرَحِ بَارِدَةٌ، فَلَذِكْ يَقَالُ: أَقْرَ اللَّهُ
 عَيْنَكَ مَأْخُوذَةٌ مِنَ الْقَرِ.
 وَأَبَادَ اللَّهُ خَضْرَاءِهِمْ أَيْ سَوَادِهِمْ يَرِيدُ أَشْخَاصَهُمْ، وَيَقَالُ لِلرُّوْضَةِ الْخَضْرَاءِ سَوْدَاءُ، وَمِنْهُ صَفَةُ الْجَنَّتَيْنِ
 "مَدْهَامَتَانِ" وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: أَبَادَ اللَّهُ غَضْرَاءِهِمْ أَيْ غَضَارَتِهِمْ. وَالغَضْرَاءُ طِينَةٌ خَضْرَاءٌ عَلَكَةٌ.
 وَفِي جَنَّيِ الْإِنْسَانِ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ ضَلْعًا، الْوَاحِدَةُ ضَلْعٌ وَهِيَ مَؤْنَثَةٌ وَيَقَالُ لِلْمُؤْنَثَةِ مِنْهَا ضَلْعُ الْخَلْفِ.
 وَهَهُنَا شَيْءٌ يَكْثُرُ فِي كَلَامِ النَّاسِ فَذَكَرَنَا هُنَّا: تَقُولُ لِلرَّجُلِ إِذَا أَمْرَتْهُ بِأَخْذِ الشَّيْءِ: هَا يَا رَجُلُ، وَلِلْإِثْنَيْنِ
 هَأْوَمَا، وَلِلْجَمْعِ هَأْوَمْ وَهَاءِيَا امْرَأَةٌ فَتَكْسِرُ الْهَمْزَةَ لِلْمُؤْنَثِ، وَلِلْمُؤْنَثَيْنِ هَأْوَمَا، كَمَا لِلْمَذَكُورِ فِي

(1/227)

الإثنين وفي الجمع هاؤن تدخل التون جمع المؤنث. فإذا أدخلت الكاف، قلت: هاك يا رجل، وهاك
 يا امرأة، وهاكاً للذكورين والأنثيين، وإن جمعت قلت للذكران: هاكم ولإيات هاكن. وإن أمرت
 بإعطائك شيئاً قلت للذكر: هات يا هذا، وهاتيا وهاتوا، وللمؤنث هاتي وهاتين. وإذا سألت
 رجلاً عن رجل قلت: كيف ذاك الرجل؟ وكيف ذاكما وكيف ذاك؟ وإذا سألت رجلين عن رجلين،
 قلت: كيف ذانكما وكيف أولنكم.
 وإذا سألت رجلاً عن المرأة، قلت: كيف تلك المرأة الخطاب للرجل وأول الكلام للمرأة، وفي التشبيه
 كيف تانكم؟ وفي الجمع كيف أولنكم؟ فإذا سألت امرأة عن رجل، قلت: كيف ذاك الرجل؟ أول
 الكلام للرجل وآخره للمرأة. وكيف ذانكما وكيف أولنكن؟ بالتون لأن آخر الكلام للمؤنث. فإن
 سألت امرأة عن امرأة، قلت: كيف تلك المرأة وكيف تانكم وكيف أولنكن؟.

مدح الإيجاز في ابتداء المكاتبة والجواب

قال محمد بن يحيى: حدثنا الحسين بن يحيى الكاتب قال: حدثنا إسحاق قال: سمع جعفر بن يحيى
 يقول لكتابه: "إن استطعتم أن تكون كتبكم توقيعات فافعلوا".
 وقال بعض الكتاب: الإيجاز في الابتداء أمكن منه في الجواب، ما لم يكن منه في إعداد وإنذار، وعود
 وبده، وفتح وعهود.
 قال أبو بكر: والذي عندي أنه يحتاج الكاتب والخاطب والشاعر، إلى أن يخرجوا معانيهم في أقوالها
 من الألفاظ، على الاختصار، ما لم يحتاج إلى إكثار، فإن احتاج إلى ذلك جيء به بما

(1/228)

لا بد منه. وأكثر ما يقع ذلك في الرغبة والرهبة، ألا ترى إلى كتاب الله عز وجل وكلامه المعجز، كيف يكون فيه ذكر الجنة والنار، وقصة الأنبياء عليهم السلام، والنقطة من كلامهم، والأمر بالاعتبار بما نزل بهم، فكانت الحكمة في تقرير ذلك مما يفعل العرب، وسنأتي بفعلهم بعد. ولأن الإنسان قد يقرأ بعض القرآن ويحفظ شيئاً منه دون شيء، فلم يدخل الله عز وجل: كل موضع منه من ترغيب وترهيب، وإذكار واعتبار تفضلاً منه على عباده، واستدعاء لطاعتهم، ونهاً عن عصيانهم فوق التكثير لذلك.

وقد حدثني محمد بن يزيد المبرد النحوي قال: حدثني أبو محمد التوجي عن أبي عمر الأستدي، قال: قيل لأبي عمرو بن العلاء: هل كانت العرب تطيل؟ قال: نعم ليس مع منها، قيل: فهل كانت توجز قال: نعم ليحفظ عنها.

وقد روى في هذا لأبي دؤاد الإيادي:

يرمون بالخطب الطوال وتارة ... وحي الملاحظ خيفة الرقباء
واحتاج من زعم أن الجواب ينبغي أن يكون أكثر من السؤال، لأن السؤال عنده استعلام، والجواب
إعلام، وقد قال الله عز وجل: " وما تلك يمينك يا موسى " ، فاقتضى الجواب أن يقول: " هي
عصاية أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي " . ثم رأى

(1/229)

أن منافعه بها كثيرة فاختصر ذكرها وقال: " ولها مآرب أخرى " .
وقالوا: " البلاغة لحة دالة " . وقالوا: " لا تنفق كلمتين إذا كفتك كلمة " وأنشدي أَمْدَنْ إِسْمَاعِيل
الكاتب لنفسه:

خير الكلام قليل ... على كثير دليل
والعي معنى قصير ... يحويه لفظ طويل
وفي الكلام فضول ... وفيه قال وقيل

أولاً ترى إلى موضع الإيجاز بذكر الحجة في القرآن كيف أتى مختصرًا معجزًا وهو فيه كثير، فمنه قوله تبارك وتعالى: " وضرب لنا مثلاً ونبي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم " ثم قال عز وجل في مكان آخر يذكر هذا: " ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة " . ثم قال في مكان آخر، وقد أمرهم أن يعتبروا، فقرب ذلك عليه فقال: " وفي أنفسكم لأنفلاً تتصررون " ففي كل شيء من خلق الله عز وجل: للإنسان عبرة إلا أن أفروها وأخسرها أمر نفسه.

ثم اختصر عز وجل أمره ونفيه، وتحليله وتحريميه، واستثنى في الذي أحل، ما نذكره بعد من حرامه، وفي الذي أحل وقتاً يحرم فيه كل ذلك. إذا كتب أجزاءه فيه سطراً واحداً، وهو قوله عز وجل: " يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم ب Hickمة الأنعام إلا ما يتل عليكم غي محل الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد " فأمر بأن نفي بعقوده ثم أحل بعائمه الأنعام، واستثنى ما يحرم منها ما يحيى بعد، ثم

ذكر أن هذا الحال يحوم على المحرم. ولو أراد أبلغ الكتاب أن يجيء بهذه في أسطر كثيرة ما أمكنه على عجزه في

(1/230)

حسن اللفظ والنظم. وهذا كثير يطول به الكتاب ذكرت هنا طرفاً منه.
قال وأنشديني محمد بن يزيد المبرد في وصف خاطب:
إذا ما انتدى خاطباً لم يقل ... له أطل القول أو قصر
انتدى تكلم في النادي وهو مجلس القوم، وقد روی إذا ما ابتدأ
طبيب بداء فنون الكلا ... م لم يعي يوماً ولم يهدئ
فإن هو أطبب في خطبة ... قضى للمعلم على المكثر
وحكى سيبويه أن امرأة من العرب كانت بغيا، فكان يقول لها القائل: خطب، فتقول: نكح وتمضي
معه.

وحكى أن رجلاً كان عود رجلاً أن يجيئه في وقت من الزمان، فيمضي معه إلى موضع معروف، حتى
ألفا ذلك وعرفاه فكان يأتيه فيقول "ألا تا" فيقول: "بلى فا" يزيد ألا تمضي؟ فيقول: بلى
فامضي. وهذا كله إنما يجوز مع الإفهام والمعرفة.
 وأنشديني الحسين بن عمر الكاتب قال: أنشديني علي بن الحسين الإسکافي عن أبي حلم للأحimer
السعدي في كلمة:
وحادر جواب المصمتين إذا سمت ... عيون العدى فالقول تبدو شواكله

(1/231)

من القول ما يكفي المصيب قليله ... ومنه الذي لا يكتفي الدهر قائله
يصد عن المعنى فينزل ما تحاً ... ويذهب في التقصير منه تطاوله
فلا تك مكثراً تزيد على الذي ... عنيت به في خطب أمر تزاوله
وكلم رجل سقراط في أمر بكلام أطاله وزاد فيه على ما احتاج إليه فقال له سقراط: "أنساني أول
كلامك بعد آخره، وطول عهده مع تقارب أقطاره".
وقال آخر: الكلام أوعية والمعانٍ أمتعة، وقد يجمع في الوعاء الواحد ضروب من الأمتعة.
وقالوا: السؤال بغي والجواب نصير.
وقال آخر: البلاغة في الجواب أوحد وأظهر.
وقالوا: الأجبوبة أمهات الفوائد، تلدها بتلقيح السؤال.
وقالوا: "الجوابات المستكدة" ولم يقولوا: المسائل المستكدة.
وقالوا: لكل كلام جواب.

وقال سهل بن هارون: من فضل الجواب على الابتداء أن الابتداء يوجد في الجواب ولا يوجد جواب في ابتداء.
وقال آخر: "إني أدع الكلام خوفاً من الجواب، أنه يقع ولم

(1/232)

يذكر" ، يزيد قوله: السكوت جواب.
قال الصوالي: حدثنا يونس بن محمد الكديمي، قال: حدثنا عبد الله بن داود الحذمي، قال: سمعت الأعمش يقول: "السكوت جواب" ، وهذا إنما أخذه من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم.
قال الصوالي: حدثني محمد بن يونس الكديمي قال: حدثنا أبو بكر الحنفي قال: حدثنا سفيان الثوري قال: حدثنا مالك بن أنس عن عبد الله بن الفضل، عن نافع بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الأئم أحق ب نفسها من ولها، والبكر تستامر وإذنها صمامها" .
وحدثني إبراهيم بن عبد الله قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم قال: حدثنا شعبة قال: حدثنا مالك بن أنس وذكر مثله.
وقال آخر:

يا من بنا يرتاب ... ترك الجواب جواب
وقال بشار وذكر أن السكوت يعني من لا ونعم:
وإذا قلت لها جودي لنا ... خرجت بالصمت من لا ونعم
 وأنشديني أحمد بن يزيد المهلي عن أبيه قال: أنشدني الحسين بن الصحاح لنفسه:
وإبأبي مفحم بعزته ... قلت له إذ خلوت مكتتما
تحب بالله من يخصك بالحب ... فما قال لا ولا نعم
ثم تثنى بمقاتي خجل ... أراد رجع الجواب فاحتشما
فكنت كالمبتغي بحيلته ... براءاً من السقم فابتدا قسما

(1/233)

وقال بعض الكتاب: أكثر حيل الكاتب في بلاغته يقصد شيئاً فيأتي بغيره ويدرجه فيه.
قال محمد بن يحيى الصوالي: ومن ذلك ما حدثنا الحسين بن فهم قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن يوسف عن أبيه قال: دخلت على المأمون وفي يده كتاب ورد من عمرو بن مسعدة وهو يردد النظر فيه مرات، ثم قال لي: أظنك قد أفكرت في تردادي النظر في هذا الكتاب. قلت: قد أفكرت في ذلك. قال: إني عجبت من بلاغته واحتياله مراده كتب: كتاي إلى أمير المؤمنين، أعزه الله، ومن قبله من قواده وأجناده، في الطاعة والانقياد على أحسن ما تكون عليه طاعة جند، تأخرت أرزاهم واختلت أحواهم" ألا ترى يا أحمد إلى إدماجه الخلة في الأجناد وإعفاء سلطانه من الأكثار، ثم أمر

لهم بربق ثمانية أشهر.

ونحوه هذا ما حديثي به أبو علي السجسي قال: لما ولي عبد الله بن سليمان الوزارة أوصلت إليه كتاباً من عبيد الله بن عبد الله وفيه شعر له:

أبى دهرنا إسعافنا في نفوسنا ... وأعفنا فيمن نحب ونكرم

فقدت له: نعمك فيهم أنتها ... ودع أمرنا إن المهم المقدم

فلما قرأ عبد الله هذا الشعر قال: ما أحسن ما احتال في شکوى حاله، بين أضعاف مدحه، فأوصل رقاعه إلى فقضى كل حاجة كانت له.

وحدثني علي بن الصباح، عن حماد، عن الهيثم بن عدي، قال: كان الحجاج يستبطئ المهلب في حرب الأزارقة والمهلب، محسن مجتهد يستحق مكان الذم الشكر. فكتب إليه المهلب:

(1/234)

"إن من البلاء أن يكون الرأي ملن تملكه دون من تبصره" فلما قرأ الحجاج هذا أقصر عن مكاتبه بمثل ذلك.

وحدثني الحسين بن علي العنبري قال: حدثني محمد بن معاوية الأنصاري، قال: لما ظفر المهلب بالخوارج وفرغ من أمرهم قال الحجاج: الآن يرد كتاب المهلب طويلاً بوصفه، جامعاً لوصف يشرح أحواله، وإنه لحقيقة بكل وصف، وأهل لكل مدح. قال فورد كتابه.

"بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الكافي بالإسلام فقد ما سواه، المعجل النعمة ملن بغاه، الذي يزيد من شكره، ويزرق من كفراه.

أما بعد فقد كان من أمرنا ما أغنت جملته عن تفصيله. وكنا نحن وعدونا في مدة هذا التنازع على حاليتين مختلفتين: يسرنا منهم أكثر مما يسؤولنا ويسؤلهم مما أكثر مما يسرهم؛ على شدة شوكتهم، واجتماع كلمتهم، وانزعاج القلوب لخافتهم؛ حتى نوم بذكراهم الرضيع، وأصم ثوفيقهم السميع. فانتهزت منهم الفرصة عند إمكانها، بعد أن تنظرت وقت إباها؛ واستدعيت النهل عليه، وبلغ الكتاب أجله. فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين".

ونحو هذا، إلا أنه في التهدد، ما حديثي به عبد الواحد بن العباس الهاشمي، قال: سمعت الرياشي يقول: كتب ملك الروم إلى المعتصم كتاباً يتهدده فيه فأمر بجوابه. فلما قرأت الأجبوبة عليه لم يرضها وقال للكاتب: "اكتب فأملي عليه:

(1/235)

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد قرأت كتابك، وسمعت خطابك. والجواب ما ترى لا ما تسمع.
 وسيعلم الكافر ملن عقبى الدار".

وكتب أحمد بن يوسف إلى إسحاق الموصلي يدعوه ويعلمه أن عنده قلماً "المعنى أنا وقلم وأنت أعلم

"

وكتب عبد الملك إلى الحجاج: " أما بعد فقد بلغني سرفك في سفك الدماء، وتبذير الأموال في الباطل، ومنعك الحق؛ فلا يؤنسنك ي إلا طاعتك، ولا يوحشنك مني إلا معصيتك ".
 قال: فكتب إليه الحجاج: " أما بعد فقد وصل كتاب أمير المؤمنين، وما قتلت إلا فيه، ولا أعطيت إلا له. فإن رأى أمير المؤمنين أن يمضي لي سالفني، ويأمر لي بما أحب في مستأنفي؛ فعل إن شاء الله ".

قال الصوالي: حدثني محمد بن يزيد المبرد قال: حدثني العتبى قال: كتب عبد الملك بن مروان إلى بعض ولده، وقد خالفه في شيء: " أما بعد فإني أمرتك بأمر فاتيت غيره، ووصيتك بوصية فأبىت إلا عصته. وخفت أنك بمنزلة الصبي الذي إذا أمر بشيء أباه، وإذا نهى عن شيء أتاه؛ فيحتمل له فيما ينفعه بأن ينهى عنه، وفيما يضره بأن يؤمر به. ويا سوأى من هذه حالة والسلام ".

مکاتبة الإخوان

قال الصوالي: حدثني محمد بن موسى بن حماد قال: سمعت الحسن بن وهب يقول: كاتب رئيسك بما يستحق، ومن دونك بما يستوجب، واكتب إلى صديقك كما تكتب إلى حبيبك.
 وقال بعض الكتاب: غزل المودة أرق من غزل الصباية.

(1/236)

وقال غيره: إني لألذ للمؤانسة كلذتي للملامسة.
 وحدثنا أبو العيناء قال: حدثنا الأصممي قال: قال هشام: قد مرت لذات الدنيا كلها على يدي وفعلني، فما رأيت ألذ من محادثة صديق ألقى التحفظ بيبي وبينه.
 قال الصوالي: أو ما ترى حدق أبي تمام في قوله لآل وهب:
 كل شعب كتتهم به آل وهب ... فهو شعبي وشعب كل أديب
 إن قلبكم لكالكبد الحر ...ى وقلبي لغيركم كالقلوب
 وهو القائل:
 واجد بالخليل من برحاء الشو ... ق وجدان غيره بالحبيب
 وأنشدنا أحمد بن إسماعيل لنفسه:
 صدود الحبيب دعاء الغلي ... ل وأغلظ منه صدود الخليل
 صدقت فاشتت بي حاسداً ... عليك وحققت قول العذول
 وقال أبو تمام إلى ابن الهيثم:
 سلام الله عدة رمل خبت ... على ابن الهيثم الملك الباب
 ذكرتك ذكرة جذبت ضلوعي ... إليك كأنها ذكري تصاير
 وقال إبراهيم بن العاص الصوالي:
 أميل مع الذمام على ابن عمي ... وأفضي للصديق على الشقيق

وإما تلفني حراً وطاعاً ... فإنك واحدي عبد الصديق
وقالوا: طرف الصداقة أملح من طرف العلاقة.

(1/237)

ذكر الحساب

قال الصولي: لم نرد بذكر الحساب أن نذكر الضرب والقسمة والمعاملة، إما أردنا أن نذكر اللغة فيه ووصف الكتاب به إذ كان الحساب قد عملت فيه كتب يزيد بعضها على جملة كتابنا هذا، ولئلا يخلو هذا الكتاب من ذكره إذ كان أصلاً لا يستغني عنه الكاتب ولا بد لكل أحد منه.
يقال: حسب يحسب حساباً وحساباً مثل بني يبني بناء وبنياناً والفعلان في مصدر فعل وفعل قد جاء، وإن لم يكثروا قالوا: رفع رفعاناً وخسر خسراً وغنى غيناناً. قال الحارث بن خالد:
أجد بعمره غينانها ... ففهجر أم شاننا شانها
والحساب العذاب، ومنه قول الله عز وجل: " ويرسل عليهما حساباً من السماء " ، والحساب
الاتكال، ولم نسمعه إلا مع ذكر الله عز وجل: يقال على الله حسيبي وتتكلاني قال الشاعر:
على الله حسيبي إن النفس أشرفت ... على طمع أو خاف شيئاً ضميرها
وقال الله تعالى: " الشمس والقمر بحسبان " أي يطلعان ويغيبان بأوقات وقتهما لا تزيد ولا تنقص،
فكانت كصحة ما يحسب. قال الله عز وجل: " وجعلنا الليل والنهار أيتين فمحونا آية الليل وجعلنا
آية النهار بمصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلاً ".
وأجمع الحساب من كل جنس وملة، بكل خط ولغة، على

(1/238)

أن تراكيب الحساب لا تعددوا أربعة: عدد يضرب في عدد، أو قسمة عدد على عدد. أو إلقاء عدد من عدد. أو زيادة عدد على عدد، وتكلموا في أوائل العدد ونهاياتها بكلام كثير، أحسنهم ما قال الهند: إن الأعداد تبتدئ من واحد وتنتهي إلى تسعه، ثم تكون العشرة راجعة إلى حال الواحد على الرتبة.

وعلى هذا وصفوا حروفهم التسعة وقالوا: الحساب الهندي أخرج لكثير العدد إلا أن الكتاب اجتنبه لأن له آلة، ورأوا أن ما قلت آلة، وانفرد الإنسان فيه بالله من جسمه، كان أذهب في السر وأليق بشأن الرياسة، وهو ما اقتصرت عليه من العقد والبناء وإخراج رؤوس الجمل في أواخر السطور، وحط التفصيات عنها واحداً دون آخر، وفرعاً دون أصل. وعني بعض الكتاب بذلك، حتى خف عقده وصار يلحق ببنائه، مثل ما يلحق ببصره، ولا يستبين الناظر موقع أنامله.

وقد شبه عبد الله بن أيوب بن محمد التيمي وميض البرق بخفة يد الحاسب فقال:
أعني على بارق ناظر ... خفي كوحيك بالحاجب
كأن تالقه في السما ... يداً كاتب أو يداً حاسب
وقال بعض الكتاب:
وناطق تخير الفاظه ... عن نغمات العود بالزمر
بينا تراه عاقداً خمسة ... وستة صار إلى عشر
وصار من بعد إلى واحد ... كحاسب أخطأ في كسر
ومن أحسن ما قيل في تشبيه يد الحاسب بوميض البرق بعد قول التيمي قول عنترة من أبيات:
وفرضت للناس الكتابة فاحتذوا ... فيها مثالك والعلوم فرائض
إذا خططت فأنت غيث معشب ... وإذا حسبت فأنت برق وامض
إذا نحضت فأنت نجم ثاقب ... وإذا جلست فأنت ليث رابض
فبك التمثال حين ينعت فاضل ... وإليك يرجع حين يشكل غامض
وقد زعم قوم أن قول الله عز وجل: " فصيام ثلاثة أيام في الحج وبسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ". إنما قصد به الإفاداة إذ كانت العرب لا تعرف دقيق الأعداد وليس من يحسن الحساب واحتجوا
بقول الفرزدق:
ثلاث واثنتان فهن خمس ... وواحدة تميل إلى سام

قالوا: فلو لا أنه رأى ذلك فائدة ما قاله. واحتجوا بقول النبي حديثنا، حين أخبر أن الشهر قد يكون
تسعاً وعشرين "الشهر هكذا" وفتح أصابع يديه العشر "وهكذا وهكذا" وثني إحدى أصابعه في
الثالثة. وقيل: المعني أنه لما فصل بين السبع والثلاثة بإفطار آخر أنها كامتصولة، إذ كان قد أتى بها
كما أمر فقد كملت له. وقيل: بل أراد أنها كملت فدية حين وصل السبعة بالثلاثة.
وكان بعض العرب باع جوهرًا نفيساً بألف درهم فقيل له: قد كان يساوي أكثر من هذا فقال: ما
ظننت أن عدداً أكثر من ألف. وقال ابن الرومي:
وكنت حسبت فلما حسبت ... زاد الحساب على المحسبة
وقال الخليل بن أحمد يهجو رجلاً كانت يداه مقوبضتين عن البذر فقال:
كفاك لم يخلقا للندى ... ولم يك بخلهما بدعة
فكف ثلاثة آلافها ... وتسع مئتها لها شرعه
وكف عن الخير مقوبضة ... كما نقصت مائة سبعه
وقال النابغة للنعمان في اعتذاره إليه: كن حكيمًا في إنصافي، كما حكمت جارية كانت لها حمامه،

فرأت قطاً محرته ستاً وستين فقالت:
ليت الحمام ليه ... إلى حمامتيه
أو نصفه قد يه ... ثم الحمام مائه
قالوا: وكانت لها قطة وجعلت القطا حماماً. وقيل: أراد

(1/241)

النابغة: أحكم علي بعدل، كما حكمت هذه في العدد فأصابت. والأول أجود وهو قول الأصمسي،
أفلا ترى إلى النابغة كيف حكى هذا ونسب هذه الفتاة إلى حكمة وعدل حين أحسنت العدد فقال.
واحکم کحکم فتاة الحی إذ نظرت ... إلى حمام سراع وارد الشمد
الشمد اماء القليل.

قال أبو عبيدة: وكان يقال للجارية: الزرقاء واسمها عنز، وكانت من جديس. وقال غيره: القائلة لهذا
هند بنت الحسن:
قالت: ألا ليتما هذا الحمام لنا ... إلى حمامتنا أو نصفه فقد
قوها " فقد " أي حسي وقدك حسبك.
فحسبوه فألفوه كما زعمت ... تسعًا وتسعين لم ينقص ولم يزيد

(1/242)

فكلمت مائة فيها حمامتها ... وأسرعت حسبة في ذلك العدد
ومن المشهور الذي يتطارحه الناس أشعار:
طا الثالثان من قلبي ... وثلثا ثلثها الباقي
وثلثا ثلث ما يبقى ... وثلث الثالث للساقي
وتبقى حصص ست ... لقسم بين عشاق
الأصل مائتان وثلاثة وأربعون، ذهب الثالثان مائة واثنان وستون، الباقي أحد وثلاثون، ذهب ثلاثة
ثلثه، يبقى سبعة وعشرون فيذهب ثمانية عشر وهو قوله: وثلثا ثلث ما يبقى وتبقى تسعة ثلاثة
للساقي، وهو قوله: وثلث الثالث للساقي ويبقى ستة فصیرها حصصاً ليستوي له الشعر. فقال:
ويبقى حصص ست لأنه لو قال: اسمهم كانت ستة.

نقاص الألف وإسقاطها

ألف الوصل لا يجوز إسقاطها من الخط إلا في ثلاثة مواضع: تمحض من بسم الله الرحمن الرحيم وقد
ذكرنا ذلك.
وتسقط من ابن إذا جاء بعد اسم ظاهر في معنى فلان، وكان مضافاً إلى اسم ظاهر كالإسم الأول،

وكان الابن نعتاً للإسم كقولك: مرت بزيد بن محمد، وجاز إسقاط الألف لأن الإسم الأول والآخر قد دلا على الابن فعرف موضعهما فحذفت، وإنما فعلوا ذلك للإجاز، فعلى هذا أجر الابن ما دام الابن واحداً، فإذا ثبتت كتبت: جاءني زيد ومحمد إبنا عبد الله كان بالألف، وإذا كان الابن

(1/243)

مبتدأ لم يجز إسقاط الألف منه لأنه لم يأت قبله ما يدل عليه، وكذلك إذا كان خبراً قبح إسقاط الألف كقولك: إن حمداً ابن زيد لأنه كالمبتدأ، ولئلا يشبه الخبر النعت، وكذلك إذا أضيف إلى اسم ليس في معنى فلان كقولك: زيد ابن الرجل الصالح، وكذلك إذا أضيف إلى مكني عنه كقولك: زيد ابنك، ثبتت الألف في هذه كله، فإذا صرت إلى المؤنث ثبتت فلانة ابنة فلان بالألف لا يجوز إسقاطها، لأن النسب بالسباء لم يكن فيعرف موضعه، كما كثر في الرجال، ولأن في ابنة لغة أخرى يقال: بنت بالقاء، ومن العرب من يجعل الماء في ابنة تاء لأنه يبني الكلام على الإضافة لأن الماء تصير في ابنة تاء لئلا يتبس فيقال: ابنت.

والموضوع الثالث أن تكون ألف الوصل مع لام، كقولك: "الرجل" فإن هذه الألف تسقط إذا كانت لام الصفة معها، وهي اللام الزائدة مكسورة أو مفتوحة، فالمكسورة مثل قولك: "للرجل" مال. والمفتوحة كقولك: "للتوب" خير من ثوبك وأشباه ذلك، وإنما فعل ذلك لأن الحرف علم مع إسقاطها فمالوا إلى التخفيف فهذه قصة ألف الوصل.

فأما حذف الألف إذا كانت حشوا نحو خالد ومالك وما يشبه ذلك فأكثر ما تحذف إذا كانت في الأسماء المستعملة لمعرفتهم بالحرف فإذا كانت في اسم فهو نعت لم تحذف، مثل شاكر وصابر وظالم وصادق، وأشباه ذلك، لأن النعت لا يتكرر للإنسان فيتكرر الاسم فيعرف. وقد أسقطوها من صالح نعتاً ولا نعلمهم أسقطوها من غيره، وذلك أنهم شبهوها بالإسم لما كثر صالح في أسمائهم، وهو رديء في القياس. فإذا صرت إلى الجمع

(1/244)

سهل إسقاط الألف لقلة إشكاله، مثل الظالمين والكافرين وإثباتها أجود. فاما ما كان من بنات الياء والواو نحو: الراضين والساعين وفي الرفع: لراعون وأشباه ذلك فلا يجوز طرح الألف منه لأنه قد حذف منه موضع اللام من الفعل، وهو الياء، لأن الأصل الراعيون في الرفع والراعيين في النصب والخفض، فاللياء الأولى تسكن لأنها معتلة وياء الجميع أو واوه ساكنة، فأسقطوا الياء الأولى للالتقاء الساكدين، واستقبحوا أن يحذف الألف، وقد حذفوا لام الفعل فيجحفوا بالحرف.

فإما ألف دراهم وإنما يجوز حذفها إذ تقدمها ما يدل على الجمع كقولك: ثلاثة دراهم وأشباه ذلك وإذا كانت مفردة لم يجز إسقاطها وما كان مثل عمران ومروان وسفيان وسلطان فإثبات الألف فيه

أجود، وإن سقطتها من الاسم الذي يعرف بسقوطها فجائز. وفي الجملة إن إسقاطها يحسن فيما كثر استعماله من الأسماء.

وقد حذفوا ألف أولئك الثانية استغناء عنها لعلمهم بالحرف. وقد حذف قوم ألف النداء في المصحف فكتبوا: يداود ويعيسى بغير ألف، وإنما حملهم على ذلك علمهم بالنداء وإثبات الألف أجود وأقيس، والسلام عليك إذا أردت التسليم، فكلهم يكتبه بغير ألف. فإذا قلت كان برأً وسلاماً وهذا عبا السلام فاللّف أجود، وإن كتبت بغير ألف جاز. وبكتبون: ثمنية دراهم وثمني ليال، بغير ألف لمعرفتهم بالحرف فإذا قالوا: ثمان أنتبوا الألف كراهية حذفها مع حذف الياء، فيجحفوا بالحرف كما ذكرنا متقدماً.

(1/245)

نقصان الألف

قال الصولي: لا يكادون يزيدون الألف إلا بعد واو الجمع، مثل آمنوا وكفروا. قال الفراء: وإنما فعلوا ذلك ليفرقوا بين واو الأصل واو الجمع، وواو الأصل التي تكون في مثل: يغزو ويدعوا وأشباه ذلك. وقال الأخفش: إنما فعلوا ذلك لئلا يشبه واو الجمع وواو العطف، إذ كان يحيى في الكلام كفر وفعل وهذا القول يصح إذا كانت واو الجمع تنفرد وتنكسر إذا اتصلت مثل آمنوا وكفروا وظلموا لأنه لا يشبه أمر و فعل.

قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولي. وحدثنا أحمد بن يحيى النحوي ثعلب قال: سأليني محمد بن عبد الله عن إتيان الألف في: ضربوا وقاموا، فقلت له: قال الفراء: فرقوا بين الواو الأصلية في أرجو وأخوه وحمو وبين التي ليست بأصلية في ضربوا.

قال الأخفش: كرهوا أن يظن أنها واو نسق إذا كتبوا كفر و فعل ثم بنوا على ذلك. وقال الخليل: الضمة تقطع إلى همزة فاستوثقوا بالألف، فقال محمد: لا يقع مثل هذا إلا في طبع الخليل.

قال أبو العباس: والذي عندي فيه أن اللّف جعلت بدلاً من المكفي، وهو اهاء لأنّهم إذا قالوا: ضربوه، سقطت الألف، فإذا قالوا: ضربوا، ثبتت، ليعلم أن الحرف قد انفرد، وأخوه وأبوه، لاشتت الألف فيه لأن الواو أصلية فالحرف قائم بنفسه: أخوه زيد وأبوه. والألف في: مائة زيدت فيما ذكر الأخفش لفصل بينها وبين منه، إذا قالوا: أخذت مائة، لم يشبه أخذت منه، وقالوا أيضاً: فعلوا

(1/246)

لئلا يشبه مية. وهذا قول مرذول لأن مية متى تذكر وتقع في كتاب. والناس من أهل البصرة والковفة على ما قاله الأخفش.

الهمزة

الهمزة إذا كانت لام الفعل – ومعنى الفعل أن تكون آخر الحرف مثل قرأ ونبأ واستهزاً – فإنها تثبت في الحرف ولا تسقط كما تسقط الياء وتكتب على ما قبلها فإن كان الذي قبلها مفتوحاً، كتبت بالألف وإن كان مكسوراً بالياء، وإن كان مضموماً، كتبت بالواو؛ ومن ذلك أن تكتب، إذا أمرت من قرأت: إقرأ بالألف، ومن نبات نبيء بالياء، ومن سوت سؤ بالواو. فإن لم تكن في موضع جزم، وانضم ما قبلها، كتبت بالواو، كقولك: وهو يسوء زيداً فإذا انكسر ما قبلها، كتبت بالياء مثل يستهزاً.

وإذا انفتح ما قبلها فقد اختلف في كتابتها في الرفع، فكتب بعضهم: هو يقرأ ويجب، بالألف والواو للزروهمم القياس، في كتابتهم الهمزة بالألف، إذا انتفتح ما قبلها، فإذا انتفتح ما قبلها زادوا الواو في الرفع، وقد كتب في المصحف على هذا المذهب بالياء نحو: "ولقد جاءك من نبأ المسلمين" ،

بالألف والياء بعدها، وهذا قبيح لأن فيها اشتباه المقصور بالممدود. قال: وإذا قالوا: الهمزة لام الفعل فهي آخره، مثل الياء من ضرب واللام من فعل، فإذا قالوا: هو عين الفعل، وقعت موقع العين من قولهم فعل مثل الراء من ضرب والناء من قتل، فإذا قالوا: هي فاء الفعل فإنما وقعت أولاً مثل الفاء من فعل وهي مثل الضاد من ضرب والكاف من قتل.

وإذا كانت الهمزة فاء الفعل، مثل: أتى وأبى وأذن فإنها تأتي

(1/247)

مختلفة. تقول: إذا أمرت: إيت فلاناً وإيذن له فتصير الهمزة ياء، وذلك لأنهم يكرهون اجتماع الهمزتين فتصير الثانية ياء، لسكونها وانكسار ما قبلها. فإذا أدخلت عليها حروف النسق، أسقطت الياء فلم تتبّتها في الكتاب فتقول: إيذن لفلان وأذن لفلان إيت فلاناً وآت فلاناً، وإنما فعلوا ذلك لأن الهمزة إذا انتفتح ما قبلها صارت ألفاً فكرهوا اجتماع الألفين في الكتاب، فحدفوا إحداهما وهي ألف الأمر. وإنما حذفوا لأنها تذهب من اللفظ في الوصل والهمزة تثبت في اللفظ فالقوها كذلك. وأما في ذوات الأربع، وهو أن تصيب الحرف إلى نفسك، فتجده على أربعة أحرف مثل: أكلت وأمرت، فإن الهمزة تسقط في هذا الباب، في الأمر فتقول: مر فلاناً بكذا وكل طعامك وكان الأصل: أو كل أو مر، فلما سكتت الهمزة وانفتح ما قبلها، صارت واواً، وكل واو وقعت بين ضميين أو كسرتين تسقط، فلما سقطت الواو، بقي أمر، فأسقطت الألف الجتنية للأمر، لأنما إنما تدخل لسكون أول الحرف، ذلك كان لا يبتدئ بالساكن فلما تحرك أول الحرف أسقطوها استغناه عنها فبقيت مر وكل. فإذا أدخلت حرف النسق، فالأرجو أن يكون الحرف على حاله، وإن شئت رددت الهمزة، فأثبتت الألف.

وفي القرآن: "وأمر أهلك بالصلة واصطبر عليها" بإثبات الهمزة، وإنما ترد الهمزة لأن ألف الأمر التي أسقطتها تذهب في اللفظ فترجع الهمزة فثبتت الألف في الكتاب وترك الهمزة أكثر ولا نعلم جاء

الهمز إلا في: " وأمر "، وكانت تجوز على القياس فإذا سكن ما قبل الهمز، فإن أكثر ما جاء عن العبر إسقاطها من الكتاب إلا أن يكون أثر جاء فيه، من ذلك قول

(1/248)

الله عز وجل: " لكم فيها دفء ومنافع " و " يخرج الخبر " و " يحول بين المرء وقلبه "، كتبوا بغير ألف هذه كلها من العرب من يكتبها على لفظها، إذا سكت ما قبلها فإن كانت مضمومة، كتبها بالواو وإذا كانت مفتوحة كتبها بالألف، وإذا كانت مكسورة كتبها بالياء، كتبوا: " هن نساء صدق "، بالواو و " رأيت نساء صدق " بالألف ومررت بنسائي صدق. بالياء.
إذا كانت المهمزة آخر الحروف، والحرف ممدوح، كتب بألف واحدة في النصب والخفض والرفع، كقولك: رأيت عطاء وشربت ماء ومررت بعطاء وهذا عطاء. فأما في الخفض والرفع، فلم تثبت الواو ولا الياء لأنهم يستثنونهما طرفاً.
وأما في النصب فالأنهم يكرهون اجتماع شهين، فإذا اجتمعت في الحرف ألفان، كتبوا بألف واحدة كقولك: شربت ماء، لا ترى أن هنا ثلاث ألفات الأولى والمهمزة المفتوحة وألف الإعراب. وكل ممدوح من صوب فالصواب أن يكتب بألفين لأن فيه ثلاث ألفات.
وما يستحسن فيه الجمع بين ألفين: قوله: قد قرأ وجاء، وذلك ليكون فرقاً بين الواحد والثاني، وكتب لفلان برأت ليكون فرقاً بين الواحدة والجمع، لأن من العرب من يقف على براءة بالناء، فلو كتب بألف واحدة لم تعرف الواحدة من الجمع.

(1/249)

الماء

كل ما كان من ذوات الياء، وكانت فاء الفعل فيه واواً مثل: وفيت ووعيت وأويت، فإنه يكون في الأمر حرفًا واحدًا لأن الأصل " أوى " بالياء، تذهب الياء للجزم وتسقط الواو، لأنها صارت بين كسرتين فبقي " أف " فتسقط ألف الأمر، لأنه قد استغنى عنها لتحرك أول الحرف فتبقي الفاء وحدها، فإذا اتصل الكلام ببعضه لم تثبت الماء في اللفظ، فإذا وقفت وقفت بالماء، كقولك: فهو من وفيت وويفيت، وشبهه من وشيت الشوب، لأنه لا ينطق بحرف واحد استبقاء له، فإذا كتبت كتبت بالماء، لأن الكتاب على الوقف ألا ترى ان اختيار العرب في كتابتهم رأيت محمد بن عبد الله أن يكون بالألف لأن القارئ رما وقف على " محمدًا "، فإن لم يثبت فيه ألف أشبه ما لا يجري من الأسماء كقولك: رأيت عمر، وإن كان الكتاب قد استجاوزوا إسقاطها لكثرة استعمالهم، وذلك من لا يعرف أصل الكتاب فيقف على فساده.

إإن جعلت قبل الحرف الذي وصلته بالماء، حرفًا لا ينفصل منه، جاز أن تكتبه بغيرها، كقولك: اذهب، وف لزيد، وقالوا: لزيد، وإنما جاز لأن الواو والفاء لا ينفصلان وكأن الكلمة قد صارت على

حروف وإثبات الهاء أجود.

فاما هاء التأنيث فأصلها إن تكتب بالهاء، إذا كانت مضافة إلى اسم ظاهر، لأن الوقف عليها بالهاء مثل: امرأة زيد، وفتاة عمرو، فإذا أضفتها إلى مكني عنه كانت بالباء، لأنه لا يمكن الوقوف عليها

(1/250)

بالهاء، كقولك: أمرأتك وفتاتك، فهذا الوجه. وقد كتب في المصحف "رحمت الله" "ومريم بنت عمران" ومثله "نعتت الله"، وذلك لكثره اصطلاحهما ليس يفصلان في القراءة، فصار كحرف الواحد الذي لا ينفصل منه، والهاء في ذلك أجود لأنها تفصل منه ويسكت عليها. فاما هيئات فمن وقف عليها بالباء، كتبها بالهاء، ومن وقف عليها بالهاء، كتبها بالهاء لأن الكتاب على الوقف.

ويا أيها الرجل، ويا أيها القوم، تكتبه بالألف، وذلك الوجه. وقد كتب في المصحف "ياب المؤمنون" و "ياب القلادن". و "ياب الساحر" بغير ألف. وفي جميع القرآن بالألف وهو الصواب.

الواو

الواو تزداد في ثلاثة مواضع: فمن ذلك الواو في: "عمرو"، زيدت ليفصل فيها بينه وبين عمر فإذا كتبت عماراً بالنصب وجنت بالألف لم تحتاج إلى الواو، لأن عمر لا ينصرف ولا تدخل الألف. وزيدت في "أولنك" لتفصل بينها وبين إيلك.

وزيدت في "يا أؤخي"، لتفصل بين التصغير وبين الاسم على جهته. فاما الموضع التي نقصت منها فواو "طاوس" و "داود" كتبهما بواو واحدة، كراهية للشبهين والحرف معروف. ومن

(1/251)

كتبه بواوين على الأصل فقد أصاب.

إذا صرت إلى ما قبلها واو، مثل "آروا ونصروا" و "لووا" و "جاروا" و "باروا بغضب". فيه ثلاثة أوجه: أجودهن أن يكتب بواو واحدة وألف وقد كتبها بعضهم بواوين وإسقاط ألف وكل قد كتب به.

الياء

كل اسم كانت لام الفعل منه ياء فإنها تحذف في الحفظ والرفع، فإذا نصبت لم يكن من إثباتها بد كقولك: رأيت قاضياً وغازياً، إذا صرت إلى جمع المؤنث السالم من هذا الباب، مثل: جوار وقواض كتب ذلك أيضاً في الرفع والحفظ بغير الياء، وأثبتت في النصب الياء ولم تثبت الألف، فتقول: هذه

قواض، ومررت بقواض وبحوار، ولا تثبت الياء، فإذا أثبته قلت: جواري ولم تثبت الألف لأنه حرف لا يجري فإذا أدخلت الألف واللام أثبته الياء في الواحد والجمع، كقولك: القاضي والجواري. ومن العرب من يسقط الياء في الحفظ والرفع، فيقول: هذا القاض ومررت بالغاز، وهؤلاء الجوار ومررت بالجوار، فإذا صاروا إلى النصب أثبتو الياء كما كان قبل دخول الألف واللام والأول أجود. وإذا كان الجمع بالنون مثل القاضين والمصلين، كتبته باء لأن

(1/252)

الياء الأولى منها قد سقطت لالتقاء الساكنين.

ما يكتب بالياء والألف من الأفعال

قال الصولي: امتحن كل فعل ورد عليك من ذوات الواو والياء بأن تصييفه إلى نفسك، فإن ظهر بالياء، كان الأجود أن تكتبها بالياء وجاز كتابتها بالألف على اللفظ مثل قضى ورمى، ألا ترى أنك إذا أضفتها إلى نفسك قلت: قضيت ورميت. وإن ظهر الفعل بالواو، كتبته بالألف لا غير مثل دعا وعلا، ألا ترى أنك إذا أضفتها إلى نفسك قلت: دعوت وعلوت. فقس على ذلك كل ما ورد عليك إن شاء الله تعالى تصب.

وكل ما كان من ذوات الواو والياء، رددته إلى ما لم يسم فاعله فاكتبه بالياء فيما كان ماضياً ومستقبلاً معاً، كقولك: دعي يدعى وغزي يغزى ورمي يرمي. وكل فعل من ذوات الياء والواو، زدت في أوله شيئاً، فاكتبه بالياء، فإنه أجود، وإن كتبته بالألف جاز على اللفظ مثل ادعى واستقصى واستدعي، لأنك إذا لفظت به كان بالياء، لأن ذوات الواو إذا زيد في أولها شيء ردت إلى الياء.

المقصور والممدود

كل اسم ممدود فإنه يكتب بالألف، كان من ذوات الواو والياء لا اختلاف في ذلك.

(1/253)

فأما المقصور فامتحنه بالتنمية، فإن كان بالياء، كتبته بالياء وجازت كتابتها بالألف، وذلك نحو فتي ورحى لأن تثنيةهما بالياء نحو فتیان ورحیان، وإن كانت تثنية بالواو كتبته بالألف لا غير، نحو فقا وعصا لأن تثنيةهما فقوان وعصوان.

وكل اسم في أوله ميم مفتوحة أو مكسورة فاكتبه بالياء مثل المثنى والمدعا والمرمي والمقضي. وإن كانت في أوله ميم مكسورة فاكتبه أيضاً بالياء ما كان اسمًا مثل المقرى الذي يقرى فيه الماء أي يجمع والمهدى الذي يهدى عليه، فإن كان نعتاً، فاكتبه بالألف لأنه ممدود مثل معطاء ومهداء.

إِذَا كَانَ الْاَسْمُ عَلَى فَعْلٍ أَوْ فَعْلٍ بِكَسْرِ الْفَاءِ وَضَمْهَا مَعَ فَتْحِ الْعَيْنِ فَأَكْتُبْهُ بِالْبَاءِ مِنْ أَيِّ النَّوْعَيْنِ
كَانَ مِثْلَ هَدِيٍّ وَسَدِيٍّ وَحْمِيٍّ وَرَضِيٍّ.
وَكُلُّ مَقْصُورٍ كَانَتْ لَامُ الْفَعْلِ فَأَكْتُبْهُ بِالْأَلْفِ مِثْلَ الدُّنْيَا وَالْعُلْيَا وَالْخَيْرَا وَرَوَايَا وَخَطَايَا، إِنَّمَا كَتْبُوهَا
بِالْأَلْفِ لَأَنَّهُمْ كَرِهُوا جَمْعَ بَيْنِ يَاءِيْنِ فِي الْكِتَابِ.
وَأَمَّا الْقَصْوَى وَالْهَوَى وَمَا أَشْبَهُهُمَا فَإِنَّمَا تَكْتُبْ بِالْبَاءِ لَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَسْمَائِهِمْ فَأَخْرُجُوهُ مُخْرِجَ عِيسَى
وَمُوسَى وَيَحْيَى.
وَأَمَّا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: " وَيَحْيَا مِنْ حَيٍّ عَنْ بَيْنَةٍ " فِي الْأَلْفِ لَا غَيْرُهُ وَ " زَكْرِيَاً " كَتْبُوهُ بِالْأَلْفِ لَأَنَّهُ لَيْسَ
لِغَيْنِ بِالْمَدِ وَالْقَصْرِ كَتْبُوهُ بِالْأَلْفِ لَأَنَّ الْأَلْفَ كَمَعْهُمَا وَكَذَلِكَ " الزَّنَنَا "

(1/254)

وَ " الشَّرَا " بِالْأَلْفِ لَأَنَّ فِيهِ لِغَيْنِ.
وَذَا كَانَتْ عَيْنُ الْفَعْلِ هَمْزَةً. وَمَعْنَى عَيْنِ الْفَعْلِ أَنْ تَقْعُدْ وَسْطًا مِنْ مَثْلِ فَعْلِ نَائِيْنِ يَنْأِيْ وَشَائِيْ
يَشَائِيْ، كَتْبُتْ بِالْبَاءِ، إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ بَنَاتِ الْوَاوِ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ: نَأْوَتْ قَالَ: إِنَّمَا فَعَلُوا ذَلِكَ
كَرَاهِيَّةً نَيْجِمُوا بَيْنَ أَلْفَيْنِ فَقْسٌ عَلَى ذَلِكَ.

ما كتب على غير القياس

مِنْ ذَلِكَ الْصَّلَوةُ وَالْزَّكُوْهُ وَالْغَدُوْهُ وَالْخَيْرُ وَالْمَشْكُوْهُ وَالرَّبِيْوُ، كَتْبَ كُلُّ هَذَا فِي الْمَصْحَفِ بِالْوَاوِ، وَكَانَ
يُجَبُ أَنْ يَكْتُبَنَ بِالْأَلْفِ لِلْفَظِ، إِنَّمَا كَتَبَنَ كَذَلِكَ عَلَى مَثْلِ أَهْلِ الْحِجَازِ لِأَنَّهُمْ تَعْلَمُوا الْكِتَابَ مِنْ أَهْلِ
الْخِيَّرَةِ، وَهَذَا إِنَّمَا فَعَلَ بِسَبِيلِ قَلْتَهُ الْكِتَابَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانَ، إِنَّمَا كَتْبُوهُ أَهْلُ الْحِجَازِ، وَأَنْتَ الْيَوْمُ
بِالْخِيَّارِ، إِنْ شَئْتَ كَبِيْتُهُمَا بِالْأَلْفِ وَإِنْ شَئْتَ أَقْرَرْتُهُمَا عَلَى مَا فِي الْمَصْحَفِ.

كتاب النون الخفيفة

النونُ الْخَفِيفَةُ تَكُونُ عِنْدَ الْوَقْفِ عَلَيْهَا فِي الْنَصْبِ أَلْفًا، وَفِي الْخَفْضِ يَاءُ، وَفِي الرَّفِعِ وَاوًّا. وَكَذَلِكَ
تَكْتُبُ نَحْوَ: اضْرِبِنَ يَا رَجُلٌ، فَإِذَا وَقَفْتَ عَلَيْهِ قَلْتَ: اضْرِبَاً، وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: " لَنْسَفَعًا بِالنَّاصِيَّةِ "
، كَتْبَتْ فِي الْمَصْحَفِ بِالْأَلْفِ لَا نَفْتَاحَ مَا قَبْلَهَا، مَعْنَاهُ لِتَجْذِبَنَ بِنَاصِيَّتِهِ وَالسَّفْعِ الْجَذِيبِ بِشَدَّةِ،
وَالنَّاصِيَّةِ مَقْدِمُ الرَّأْسِ، يَرِيدُ جَلْ وَعَزَ لِنَذْلِنَهُ بِذَلِكَ. وَتَقُولُ: اضْرِبِي يَا امْرَأَةَ بِالْبَاءِ لَأَنَّ

(1/255)

الْوَقْفُ بِالْبَاءِ وَاضْرِبُوا يَا رَجُلَ بِالْوَاوِ لَأَنَّ الْوَقْفَ عَلَيْهَا بِالْوَاوِ.
وَمِنْ الْعَرَبِ مَنْ يَقْفَ عَلَى النُّونِ، فَمَنْ كَانَ هَذِهِ لِغَتِهِمْ كَتْبَتْ بِالنُّونِ. وَتَقُولُ: اضْرِبِنَ يَا رَجُلٌ
نَصْبَتِ الْبَاءِ، وَمَوْضِعُهَا جَزْمٌ لِلأَمْرِ لِسْكُونِ النُّونِ كَرَاهِيَّةُ اجْتِمَاعِ سَاكِنِينَ، وَتَشْنَى اضْرِبَانَ يَا رَجُلَانَ

واضرين يا رجال. وفي المؤنث اضرين يا امرأة واضربان مثل الذكر. وفي الجميع اضرين يا نسوة، فتشدد النون ضرورة لأنهما نونان نون جمع المؤنث والنون الخفيفة. والنون الخفيفة والثقيلة، تقع كل واحدة منها موقع الأخرى، وتقول في النون الثقيلة: اضرين يا رجل واضربان واضرين يا رجال. وفي المؤنث اضرين يا امرأة والتثنية كالذكرين، وفي الجميع اضربنان، استقلوا ثلث نونات نون الجمع والنون الشديدة وهي نونان فأبدلوا الوسطى ألفاً. والدعاء كالأمر والنهي كقولك: اللهم ارزقنا فلاناً وفي الاستفهام أتقونم يا رجل.

الإدغام

الإدغام في الحرفين إذا كانا من جنس واحد، يتلو أحدهما صاحبه، وتحركا كتباه حرفاً واحداً، مثل: غض ومد، لأن الأول منها يسكن ويبدع في الثاني. وإذا كانا من حرفين كتباه حرفين، وفي اللفظ كانوا واحداً مشدداً نحو: لم يفق قاسم، ولم ينصف فرعون، فإذا سكن الثاني أثبنا حرفين مثل: لم يمدد ولم يغض، فإذا كانا من حرفين وهما متحركان، أحدهما سakan كتباه حرفين، مثل: لم

(1/256)

يتراك كبارهم لصغيرهم شيئاً، إن افترقا أو اتصل أحدهما بصاحبها وإنما يكون الاتصال إذا كان الثاني حرف كناية كقوله تعالى: "أينما تكونوا يدرككم الموت". وكقول زهير:
فتعركم عرك الرحي بشقاها
وكذلك هو مذهبهم في الفتح ليس في ذلك اختلاف. فإذا كان الحرفان نونين، فإن من العرب من يدغمهما، ومن من يظهرها: فيقول الذي يدغم: أنتم تضربوني، ويقول الذي لا يدغم أنتم تضربونني فيكتب في الإدغام بنون واحدة ليكون فرقاً بين المدغم وغير المدغم. وإن كان الحرفان المدغمان من جنسين أظهرا على جنسيهما، كقولك اخترت ووعدت، فإذا كان المدعمان يتولد منهما حرف غيرهما كتب ذلك المتولد مثل مذكر ومظلم قال زهير:

(1/257)

هو الجود الذي يعطيك نائله ... عفوا ويظلم أحياناً فيظلم وأما اللامان اللتان تكتبان في أول الحرف، إحداهمافاء الفعل والأخرى تجيء مع الألف للتعريف، فإنك تكتبها حرفين نحو اللحن والليل. وإنما كتبوا الذي بلا م واحد لأنها لا تنفرد عن الأخرى وكذلك الذين. فاما اللدان في التثنية فإنما كتبت على الأصل لتفرق بين التثنية والجمع.

ما يقطع ويوصل

يكتبون: أحب "أن لا" تفعل كذا بـألف ونون، وتكون "لا" مقطوعة منها وهو أجود، لأن القارئ

رِبَّا احْتَاجَ أَنْ يَقْفَى عَلَى النُّونِ. وَالْكِتَابُ عَلَى الْوَقْفِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكْتُبُ بِالْأَلْفِ وَلَامٍ مَوْصُولَةً لِأَنَّ
النُّونَ تَدْغُمُ فِي الْلَّامِ إِذَا نَطَقَ بِهَا، وَكَتَبَتْ عَلَى الْلَّفْظِ. وَ "كَلِمَا" إِذَا أَرَدْتَ بِهَا الْجُزْءَ كَقُولُكَ: كَلِمَا
فَعَلْتَ فَعَلْتَ، كَتَبَتْهَا حِرْفًا وَاحِدًا لِأَنَّهَا أَدَاءٌ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِهَا الْجُزْءَ كَقُولُكَ: كُلَّ مَا فَعَلْتَ
فَصُوَابٌ، فَاقْطَعْ "كُلَّ" مِنْ "مَا" وَكَذَلِكَ: إِنَّمَا وَكَانَا وَلَكِنَّمَا إِذَا أَرَدْتَ بِهِنَّ الْأَدَوَاتَ فَاجْعَلْهَا حِرْفًا
وَاحِدًا.

(1/258)

وَإِذَا أَرَدْتَ بِمَعْنَى "مَا" الَّذِي فَاقْطَعْ، وَذَلِكَ أَنَّ الْوَقْفَ فِي الْأُولَى لَا يَسْتَقِيمُ عَلَى بَعْضِ الْحُرُوفِ دُونَ
بَعْضٍ. وَإِذَا كَانَتْ بِمَعْنَى الَّذِي وَقَفَتْ عَلَى مَا قَبْلَهَا. فَقَسَ عَلَيْهِ تَصْبِيرٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَكَتَبُوا: "
لَثَلَاثًا" مَوْصُولَةٌ وَهِيَ "لَأَنْ لَا"، فَجَعَلُوهَا كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ وَكَتَبُوا: "هَأَنْتُمْ، هَأَنَا" بِالْأَلْفِ وَاحِدَةٌ، وَلَمْ
يَكُنْ بِأَلْفَيْنِ جَعَلَا كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ.

تَمَ الْكِتَابُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَعَوْنَهُ وَحْسَنِ تَوْفِيقِهِ

في يوم الخميس المبارك السادس عشر من شهر الحجة الحرام ختام سنة 1107 ألف ومائة وسبعين من
الهجرة النبوية على مهاجرها أفضل الصلاة والسلام. على يد كاتبه يوسف بن محمد الشهير بابن
الوكيل الملوي غفر الله له ولوالديه ومشائخه والمسلمين.

(1/259)